

في سوريا ولبنان

وهو كتاب جمع وصف الحفلات التكريمية التي أُقيمت للنابغة
ماري زيادة «مي» اثناء زيارتها لوطنها في صيف ١٩٢٢
وما قيل فيها نظماً ونثراً

— عُنيت بجمعهِ وطبعهِ ادارة —

مجلة

المرأة الجديدة

مطبعة وزنكوغراف طباره — بيروت سنة ١٩٢٤



في سوريا ولبنان

وهو كتاب جمع وصف الحفلات التكريمية التي أُقيمت للنابغة

ماري زيادة «مي» اثناء زيارتها لوطنها في صيف ١٩٢٢

وما قيل فيها نظماً ونثرا

— عُنيت بجمعهِ وطبعهِ ادارة —

مجلة

المرأة الجديدة

مطبعة وزنكوغراف طباره — بيروت سنة ١٩٢٤





الآنسة ماري زيادة

المعروفة في عالم الادب باسم « مي »



مثال مصغر من غلاف مجلة المرأة الجديدة لعام ١٩٢٤

الى مي

— المبسومة ، والمحزونة —

تُهدى هـذه المجموعة التي تضم بين دفتيها انفس ما جاد به السوري من الحفاوة والتكريم للنبوغ النسائي .

عزيزتي مي

لقد لقبكِ ابناء بلادي بالنابغة فخاطبكِ العالِم وقرّظكِ الشاعر ، وناجتكِ الفتاة بهذا اللقب حتى أصبحتِ « النابغة » صفة مشبهة لاسمك بل جزءاً متمماً لشخصيتكِ . إنما هم فعلوا ذلك مسوقين بعامل الخشوع والاعجاب بعد اطلاعهم على نتائج عقلك النادر المثال .

أما ابنتي الصغيرة وليس لها من العمر غير السنوات السبع الأُولى فما الذي دهاها لاختياركِ من بين فئة تُعد بالمئات من السيدات المتأنقات الجميلات وقد ضمّهم اكبر نادٍ في هذه البلاد فقالت : ماما : انا احب هذه الست — مشيرةً إليكِ — اكثر الكل .

اذا ؟

مي

يسرنا كثيراً ان نعلن وصول الكاتبة المتفننة « مي » الى هذه الديار في اوائل الشهر المنصرم . وكما انتشر صيتها في القطر المصري قد ذاع أيضاً في القطر السوري الذي يستقبلها بما هي اهل له من الترحيب والاكرام

وان المرأة الجديدة ترحب ترحيباً خاصاً بصديقتها المخلصة وتود لو تمدها بملاحظاتها الثمينة عما تراه من الانقلاب في القطر السوري بعد عودتها اليهِ . وخصوصاً عما يتعلق بالنهضة النسائية والحالة العامة الادبية

وان ما نعهده في صديقتنا من الدقة في البحث والرغبة في الافادة يجعلنا على ثقة من سداد رأيها وعلو قيمة ملاحظاتها

«المرأة الجديدة» الجزء التاسع — اول ايلول ١٩٢٢

***

هي : لأنها « مبسومة ». أليس جميع الناس يبسمون ؟
ولم يمض يوم واحد على هذا التصريح حتى قالت لي ثانيةً :
ماما : انا احب هذه الست اكثر من الكل .
انا : ولماذا ؟

هي : لانها « حزونة » . أليس البشر كلهم يحزنون ؟
وهذا هو اول عهد الصغيرة بوجوب الافصاح عن القوى الغير المنظورة ، عن حبٍ تغلغل في اعماق نفسها فصاغت له الاوزان دون ان تستشير استاذاً اوِ « قاموساً » . نعم انما هي ترجمت بذلك عواطف امها فأحبت منكِ تلك الشخصية النادرة . تلك النفس التي تبعث شعاعها تارة بالابتسام وأخرى بالدموع .

فبينما الناس يا « مي » يحيّون فيك الذكاء ويكرمون النبوغ انا أحيي فيكِ الابتسامة وأكرم الدمعة...

جوليا

« إذا أردت معرفة أسرارهم فسل صغارهم »

***

ثناء طيباً على الشاعرة مشجعين . نذكر منهم شاعر القطرين خليل بك مطران

يحتوي هذا الكتيب على قطع شعرية لطيفة ، وقصائد رقيقة تتضمنها روح فتاة شرقية في الجيل العشرين

كتب كل ذلك باسلوب جميل ، وعبارة رشيقة ، ومؤثرة في بعض الاحيان

ثم ظهر كتاب « ابتسامات ودموع » معرباً عن الالمانية ، وكان قد درج تدريجياً في ذيل جريدة المحروسة وهو تذكارات طفولية احد مشاهير كتبة الالمان جمعها له احد اصدقائه

لما عربت مي هذا الكتاب كانت لا تزال مبتدئة في درس اللغة الالمانية . لكنها متدسنة اعادت طبع الكتاب المذكور بثوب عربي قشيب . ومن مطالعته تظهر للقاري مقدرة المعربة وتلاعبها بالكلمات . إلا انه يظهر له ايضاً تكلفها بالعبارات

ثم اخرجت مي الى عالم الادب كتاب « باحثة البادية » بعد ان نشرته متتابعاً في مجلة المقتطف . وهذا الكتاب من تآليفها الثمينة النادرة في بابها

اجادت مي في هذا الكتاب في وصف المرأة الشرقية . وتحليل افكارها ومطامعها ، مدافعة دفاعاً عظيماً عن بعض المسائل

خواطر

«مي»

١

وان كنت لا اعرف مي معرفة شخصية فقد قرأت قسماً كبيراً من مؤلفاتها ، ودرست ذلك درساً تحليلياً مكنني من الاطلاع على سعة معارفها ، ومقدرتها الكتابية ، واسلوبها الخيالي الجميل : وادراك روحها اللبنانية السامية — روحها التوّاقة الى التحليق في فضاء العلوم والمعارف

اذاً انا اعرفها بدون ان تعرفني

أَجل ، اعرفها كما عرفت فولتير وروسو وشابنهور واناطول فرانس والريحاني والرياشي ... الخ



تخرجت مي في مدرسة الناصرة ثم اتت الى عينطوره لتتعلم فن العزف على المعزف . وبعد ذلك سافرت الى مصر القاهرة فنشرت ديوان شعر باللغة الافرنسيــة عنوانه « زهرات حلم » بقلم «ازيس كوبيا» ،فقرظه عدد وافر من الشعراء والناثرين واثنوا

مي الخطيبة

شاق ميّ حب الاوطان فغادرت وادى النيل وأمّت بلاد الشام ولبنان فكانت حيث حلَّت تستقبل بالاعزاز والاكرام وتُقام لها الحفلات الشائقة كأميرة الكاتبات . إلا انه لم يدر في خلد السواد الاعظم من ابناء بلادها انها الخطيبة البليغة التي ترقص لذكرها المنابر وتطرب بسحر بيانها اندية الخطابة حتى وقفت امامهم وقفات ونطقت بآيات بينات خلبت بها البابهم . فاعجبوا بمقدرتها الخطابية كما أعجبوا من قبل بمقدرتها الكتابية . وقد سألني كثيرون من تلاميذي واخداني أن أبين لهم سرّ مقدرتها الخطابية فلبيت الطلب آملًا ان يثير كلامي همم الجنس اللطيف لاقتفاء اثر هذه الخطيبة السورية النابغة :

لم ارَ في حياتي خطيباً اشرأبت اليه الاعناق وشخصت اليه الاحداق كميّ فكانت وهي تخطب في النادي الادبي ونادي الجامعة الاميركية كأنّ اجفان سامعيها مشدودة اليها بالاهداب وما ذلك إلا لانه اجتمع في الخطيبة اهم مقوّمات الخطابة وهي :

(١) سلامة الذوق في انتقاء الموضوع مما يجعل الكلام

الاجتماعية — الامر الذي يساعد على درس اخلاق الكاتبة ومعرفة ميولها وآرائها في المجتمع البشري

وللانسة مي كتاب عنوانه « رجوع الموجة» وهو معرب وآخر عنوانه « العذاب في الحب » وهو معرب ايضاً . ولها محاضرة في « غاية الحياة » ومقالات في امهات مجلات القاهرة

منذ سنة تقريباً جمعت مي خطبها في كتيب صغير

لها في خطبها هذه آراء اجتماعية سامية في المرأة : تطلب فيها حقوق المراة ومساواتها للرجل مستندة على حوادث تاريخية منتقدة بوسيه Bossuet المطران والخطيب الافرنسي الشهير، قادحة في آرائه العقيمة التي ابداها بخصوص المراة في الجيل السابع عشر ...

وهذا الكتاب ثمين ايضاً لانه من بنات افكار الكاتبة كباحثة البادية وزهرات حلم ...

واقول في الختام ان مي نابغة لبنان والشرق عامة !

« ملاحظ »

***

(٤) أشاراتها وعيناها — أشاراتها رشيقة طبيعية تأتي في وقتها عفواً بلا تصنع ولا كلفة. وأمّا عيناها فكأنّ فيهما قوة سحرية تجتذب بهما اليها الابصار والافكار . وقد أجمع رأي الخطباء على أن ثلث تأثير الخطاب لعبارته وثلثاً لاشارات الخطيب الرشيقة وثلثاً لنظراته الساحرة وقد استتب لمي الاثلاث الثلاثة

(٥) صوتها — يتفاهم الناس بطرق متنوعة بالكتابة والاشارات والعيون والاصوات . ولكن أهم هذه الطرق الصوت لانه حيٌّ وله قوة عجيبة في إثارة العواطف واذابة حبّات القلوب ولا سيما اذا صحبته الحركات الرشيقة والنظرات السحرية وصوت مي جميل ناعمٌ رخيمٌ ليس بالاجش الخشن الذي يعافه السمع ولا هو بالضعيف الذي لا يكاد يسمع ولا بالحاد الذي يوشك ان يمزق طبلات الاذان

(٦) قوة التصور فيها — يفتقر الخطيب الى قوة التصور ليس فقط ليكون لكلامه صورة جلية في ذهنه بل ليتمكن من أن يتلاعب بالمعاني وصور التعابير على نسقٍ شائقٍ يأخذ بمجامع القلوب . وقوة التصور للخطيب بمثابة الريش للطائر يحلق بها الى سماء الخيال فيُوحَى اليه من سور الحكمة وآيات البلاغة ما لا يوحى الى من كان عاجزاً عن هذا التحليق . ومي معروفة بسمو

مطابقاً لما تقتضيه الحال —وذلك عين البلاغة . والخطيب كالطبيب يجب ان يشخص الداء قبل وصف الدواء . فالانسة مي القت في بيروت خطبتين رائعتين احداهما في النادي الادبي حضرها كبار رجال الحكومة والعلماء و كثيرون من كرام البيروتيين والاخرى في نادي الجامعة الاميركية حضرها الاساتذة وطلبة الدوائر العليا في الجامعة وفريق كبير من متخرجيها في المدينة وكان لكلامها وقع حسن جداً لدن من سمعها لانها احسنت جداً في اختيار الموضوع في كلا الناديين

(٢) معارفها—مي جمعت في صدرها الشيء الكثير من العلوم والمعارف العصرية كالطبيعيات والفلسفة القديمة والحديثة وعلم المنطق والتاريخ القديم والحديث والاقتصاد السياسي وفلسفة العمران والشرائع الدولية ولها معرفة تامه بآداب اللغة العربية وبضع من لغات الاجانب

(٣) نفسها العالي— كلامها من السهل الممتنع غاية في السلاسة يدخل الآذان بلا استئذان والمعاني آخذ بعضها برقاب بعض فلا يعرو سامعها كلال ولا ملال . ومما تمتاز به على كثيرين من الخطباء أن كلامها سالم من معرة اللحن الذي كثيراً مايشوه الخطاب ويذهب بطلاوته

حضرة الفاضلة السيدة جوليا طعمه دمشقيه المحترمة

جواباً على كتابك الكريم سنثبت في اللسان كلمتك بشأن الانسة مي وبمقتضى طلبك اقدم في طيه كلمتي في هذه الانسة النابغة وقد توخيت فيها قول الحق لا المديح المجرد . وفي الختام اشكر لحضرتك اندفاعك في سبيل هذه النهضة المباركة . اطال الله بقاءك

الداعي

رامز سركيس

كانت مي في الايام القليلة التي قضتها في بلاد آبائها موضوع احترام وتكريم فقال فيها المنشئون كل جميل ملؤه الاخلاص والاطراء واصفين هذه الكاتبة اللبنانية بما فيها من نبوغ وعبقرية . حتى كانت بلا مكابر اكبر منشئة في الشرق حاملة لواء دولة الادب والانشاء ولها اسلوبها الحديث وطريقتها الخاصة ولو لا علم في صدر مي صحيح لخشيت عليها من هذا المديح

أجل ان مياً عامل كبير في النهضة النسائية وقد اظهرت أن المرأة لها من مواهبها الغزيرة ما تضارع الرجل النابغ بعلمه وفلسفته واذا كانت اوربا واميركا قد عرفتا قيمة نبوغ المرأة فأننا بدأنا نشعر بهذه الحقيقة من عهد غير بعيد ومي عامل قوي في تحقيق هذا الشعور

خيالها فلا بدع ان نزلت سور الحكمة على جنانها وجرت آيات البلاغة على لسانها

(٧) مغنطيسيتها الشخصية — اللغة ليست الموصل الوحيد لافكار الخطيب الى عقول وقلوب سامعيه بل ان هنالك موصلاً آخر روحانياً لا يُدرك بالحواس الظاهرة يساعد على ايصال أفكاره اليهم وقد دعا بعضهم هذا الموصل بالمغنطيسية الشخصية وكل من أصغى الى جماعة من الخطباء على التعاقب يدرك الفرق بين من كلامه يخدر الاعصاب وينوم وبين من يكهربها وينبهها ومي قد خصها خالقها بنصيب كبير من هذه المغنطيسية حتى صح فيها قول الشاعر

كأنما اوجد الرحمان صورتها : من مغنطيس لها الابصار تجتذب

(٨) إخلاصها — مي مخلصة فيما تقول لا تنطق الا بما تعنيه ولا تعني الا ماتقوله . والصلة بين قلبها ولسانها تامة . ولا يبلغ كلام الخطيب الى القلوب مالم يكن من القلب

فهذه هي الاسباب التي جعلت مي تحوز قصب السبق في الخطابة

داوود قربان

***

الى حضرة الفاضلة السيدة جوليا طعمه دمشقية المحترمة

سيدتي

سلام واحترام وبعد فقد اتصل لي من البعض ان في نيتك جمع الخطب والقصائد التي انشدت او لم تنشد في الحفلات الاكرامية التي اقيمت للانسة مي . فاستحسنت رأيك تخليداً لذكر رحلة تلك النابغة الى ربوعنا بل الى بلادها وياحبذا لوهي تصف تلك السفرة بقلمها السيال ثم يختم كتابها بتلك الخطب والقصائد

حسب طلبك في احدى الجرائد مرسل اليك طيه قصيدة لم استطع انشادها في تلك الحفلات لكثرة الخطباء وقلة الوقت . فاذا كانت الانسة مي لاتزال هنا وجمعتك بها فرصة او حفلة ما ارجو من فضلك انشادها عني ونشرها بمجلتك الغراء . هذا وفي الختام اشكر لك فضلك على كل ذلك واسجد بكل احترام امام نبوغ مي

بيروت في ٣ ت ٢ سنة ١٩٢٢ اميل باز

مي وما ادراك ما هي مي

مـاذا نقول وكلنـا كالحائر	في وصف من هي فوق وصف الشاعر
ميّ وما ادراك مـاهي ميةً	هي منتهى ذاك النبوغ النادر
ان كان جاء بها الزمان مؤخراً	فالحلو يؤكل دائمـاً في الآخر
في قلب يمٍّ اسم ميَّ ظـاهر	وبقلب ميٍّ يمُّ علمٍ زاخرِ

قيل في ميّ ما قيل وذكرت بكل محاسن الفضيلة فبقي علي أن أَضيف الى تلك السلسلة الذهبية درة لامعة تقدم اليها بعواطف الثناء والاعجاب

هي منشئة مبدعة ، عالمة مجتهدة ، نرجو ان تضيف الى ما ادخرته في صدرها من علم واسع عملاً ظاهراً بدأت به فتكون قد وزعت بما عندها من الوزنات الطيبات

رامز سركيس

٭٭٭

لكنْ اقول لك اقصدي لبنان من | حين الى حين كاكرم زائر
لك عندنا ذكرٌ مقيمٌ طائرٌ | ابـدًا واعجب من مقيم طائر
«قد كان يحسد ناظري بك سمعي | والآن يحسد مسمعي بك ناظري»
ورأيت اكثر ما سمعت ولم اكن | كالبعض يخدع غالبًا بالظاهر
والكل فينا معجب بك قائلٌ | هذي وحيدة عصرها في الحاضر
مهما اقلْ فكأنني انا لم اقلْ | شيئًا وهذا بعض ما في خاطري
ياشعب إنْ ترَ من نسائك نهضةً | بشّرْ بلادك بالنجاح الباهر

اميل باز

٭

مثل اسمها ابداً تزيد « زيادة » والاسم قد يأتي بمعنى ظاهر
نزلت الى قاع العلوم واغنا صعدت لاعلى موقف عن ناظر
نالت — وهاهي في ازدياد — رتبةً ما نالها احدٌ بعصر غابر
وتدفقت منها المعارف واغتدت ترمي الينا من علٍ بجواهر
لله بارك في يدٍ نظّامةٍ وفم لانواع الجواهر ناثر
تحيا وما احلى حياةً بين اوراق واقلام وبين محابر
وتحب لب العلم وهي تنيله تصل النهار بكل ليل ساهر
تسعى وراء « حقيقة » وتصونها بيراعها لا بالحسام الباتر
وتخوض ان كتبت ادقّ مباحث بترسلٍ وافٍ ورأيٍ وافر
وتسيل هادئةً ارقّ عواطف في مرقمٍ بين الانامل ثائر
ويكاد يرقص منبرٌ من لفظها ويغيب من معناه عقل الحاضر
باشارة او لحظة او لفظة منها تجيء بكل معنى ساحر
عقل يسيل ذكاً وصيتٌ سائر فاعجب هناك لسائل ولسائر
مثل البخور يسيل ضمن مجامر وتطير نكهته بجو ناشر
بل نفسها هذي تذوب كشمعة حتى تضيء لغيرها بدياجر
وسلاسة الاخلاق يظهر شخصها بسلاسة الانشاء طي دفاتر
لاحاجةٌ — فيما اقول — اشهد فلها شواهد من اجلّ مآثر
كل يقرّ بنبلها ونبوغها اي امرىء منا لذلك ناكر

***

يا ميُّ لست اقول : ابقي عندنا علماً بانكِ جئتنا لتسافري
ارض العلوم هناك اخصب من هنا اين الجبال من المكان العامر

فصاغت منها جسداً انثويا لطيفاً نفخت فيه من روحانيتها وعلويتها فكان منه شخص النابغة — مي

نشأت « مي » ولها مميزاتها وفوارقها التي ترفعها عن مستوى طبقة البشر العاديين وفي روحها ذلك الشمم المقدس الذي يدفعها نحو العظائم ، ويقودها الى المجد الخالد !

وسارت في مهمتها العلوية التي انتدبتها لها الالهة :

سارت وعلى شفتيها بسمة الفوز وفي قلبها بذور الامل الحي وبيدها مشعال الحرية ينير امامها الطريق !

انتقلت « مي » وهي صغيرة غضة من سفوح لبنان الى ضفاف النيل ، وهناك شرعت تسكب الحانها الصامتة وتقطر من عصير قلبها الشريف ذلك الذوب الحلو — خمر الالهة — التي تحمل شاربها الى ما وراء الامواج الخضراء — الى عالم الهدوء الروحي العالي .

* * *

ومر الزمن الابدي حاملاً في جلبابه السري رسم الحوادث وصور ماآتي الايام ، وقد مشت في اثره مواكب الشعوب تجر وراءها اذيالا من المجد واذيالا من الهوان

في ذلك اليوم التذكاري من تلك السنة الذهبية ، سارت

سيدتي صاحبة مجلة المرأة الجديدة

قرأت لك في بعض جرائد بيروت كلمة موجهة الى الادباء والاديبات الذين قالوا او كتبوا كلمة في اديبتنا النابغة « مي » . فانا ، ياسيدتي كشرقي يقدس كلما هو وطني ويمجد كل نبوغ ينتسب الى هذه البلاد المحبوبة كتبت كلمة وجيزة خيالية ، في الاطلاع عليها كفاية . . .

انت ياسيدتي ، امام اسطرها الشرقية الوطنية المصوغة بقالب الاخلاص — مخيرة في ان تحشريها في مجموعتك التذكارية او ان تهمليها !

اسمحي لي ، ياسيدتي ، ان احيي ، بهذه المناسبة الفريدة فيك « النبوغ الانثوي الشرقي » وقائدة مرأتنا الجديدة التي على اعمال يديها يرتكز مستقبل هذا الوطن العمراني الادبي في عهدنا الجديد !

واقبلي في الختام اعذاري مع فائق احترامي　　　　لك باخلاص

ميشال الخوري

فردوس مي

ولما ذكرت الالهة عهد فراديسها المعلقة وامجادها الغابرة في مطلع الشمس وشاءت ان تتمجد مرة أخرى في هـذا الشرق الهاجع هبطت ذات ليلة قدسية من ليالي القدر وجمعت من مهابط لبنان آثار وحيها القديم ، ومن أغوار الناصرة بقايا النبوية الاثيلة



يمثل هذا الرسم مغارة افقا التي يتدفق منها نبع افقا او نبع ادونيس الشهير الذي يتجمع نهراً يصب في وادي يحشوش الجميلة . ومنها في نهر ابراهيم المعروف ويظهر الجسر الذي تتدفق تحته مياه النبع ومكان العلامة هو المغارة وفوقها طبقات الجبال ومنظر الاشجار الباسقة (وهو من تصوير الشيخ ابراهيم الجر) وهذا هو المكان الذي كانت الشبيبة الفتوحية تستعد لاستقبال « مي » فيه

مواكب المحتفلين واحتشدت جموع المتفرجين في باحة كبيرة من باحات المدينة، امام تمثال كبير من المرمر الصافي، أسدل عليه ستار مهلهل من الحرير الشفاف!

احدقت تلك الجماهير المزدحمة بالنصب التذكاري والخشوع يوعب نفوسها سكينة، والاحترام يعقد شفاهها، ويحبس الكلمات في حلوقها، فتتراجع الى القلب وتتحول مع الدم الى عاطفة خالدة تتكلم بصمتها الشريف في الوجوه والعيون عن شعورها العميق

في تلك الهنيهة السموية وقفت في وسط القوم فتاة جميلة وافتتحت الحفلة بخطاب عذب موضوعه

« تمجيد امرأة الشرقية »

وتوالى بعدها الخطباء والخطيبات، وقد رفع الستار فظهر من تحته تمثال امرأة بيدها الواحدة مصباح وبالاخرى رسم قلب يقطر دوماً في اناء ذلك المصباح وعلى رأسها اكليل من الارز الاخضر

فكان ذلك خير مثال للنابغة «مي»

سرعل — لبنان ١ ت ٢ — ١٧٢٢ ميشال الخوري

***

تلك المعاهد والخطوب تنوشها   هي لسان زهوها المتقدم
ايام ما بالروض غير مغرد شاد   وما بالحي غير مرنم
الناز حون تنكبوا عنها فما   من زائر غير البلى وميمم
من لي بهاتيك الوجوه تمشت   فتظل من تحت الظلام كانجم

***

يامي قد خلت المضاجع بالحمى   من اهلها هلا سمعت لتعلمي
ورموا بثوب العيد وضاء السنا   واعتيض عنه من البرود بمعتم
غشي السواد ربوعنا فبدت لنا   والشمس مشرقة كليل مظلم
يا للمنازل اقفرت عرصاتها   تبدو لعينك كالغراب الاسحم

***

يا مي يهنيك الجلاء عن الحمي   ان التغرب حلية المتعلم
لبنان ان من الفراق واهله   والنيل ضحاك لاسرة والفم

***

ماذا دهى ارض الشآم فاعولت   وبكت بكاء اليائس المستسلم
والعهد بين الامتين اذا عدا   كرب هبن بدرئه بالحزم
ما تلك عادية الكروب وانما   دمع الصبابة للشجي المكلم
يا مي كان الامس آخر عهدنا   والغد ظلاع عما لم نعلم
والدهر لاينفك يعبث بالمنى   والمرء من دنياه قيد توهم

ممثل الجامعة الفتوحية واحد اعضائها
ومؤسسها •
شكر الله الجر

يا مي

« وقفة على رسوم الدار »

يادار (مية) (بالمفتوح) تكلمي | اين الخليّ من الشجي المغرم
أخلت معاهدك النوى فتصرفت | فيك الخطوب تصرف المتسلم
وعدتك مي واحبتك وهل ترى | دارا تنكّب اهلها لم تهدم
يامن جزعت لفقد باهلها | صرف النوى لم ذلة المتألم
اسلمت قلبك للغرام مخيرا | فاستنجد الصبر الجميل وسلّم

***

يا ميّ والدنيا منى ورغائب | ومناك مصر منى المدائن فانعم
هلّا بكيت على الطلول بوانيا | وسقيت سفح الارز دمع متيم
وجثوت من تحت السفوح بحيثما | ثوت الجدود على بقية اعظم
وذكرت ايامً درجت بظلها | نعم الحياة بعهدك المتصرم

***

ميُّ ومن نكد الطوالع انها | من بقعة شقيت ولم تتعلم
بنت الفتوح وبالفتوح شبيبةٌ | تفديك بالمهج العزيزة والدم
نهاضةٌ تغزو النجوم بهمة | ترمي بشم النيّرات فترتمي
ما كان ضرك لو عطفت بنظرة | تحييهم او قطرة من مرقم
دُرست معاهدهم وعمّ بلاؤهم | فحياتهم رهن القضاء المبرم

كان اصدقاء « مي » في مسقط رأسها الفتوح ينتظرون زيارتها لهم ولم تفعل فنظم الشاعر هذا العتاب

مي في قصر غمدان [١]

في الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت الواقع في ٥ آب سنة ١٩٢٣ اقام استاذنا الكبير جبر افندي ضومط في مصيفه في سوق الغرب حفلة شاي شائقة دعا اليها عدداً كبيراً من الادباء والاديبات والوجهاء والصحافيين ليرحبوا بالكاتبة النابغة الآنسة « مي »

وما ان ازفت الساعة المعينة حتى غص قصر غمدان بالقوم وكلهم مجاهر باكرام الفتاة التي رفعت اسم الشرقي وبينت بما قامت به من الاعمال ان المرأة الشرقية قادرة على النهوض من هوة جهل لتسير مع اخيها الشرقي جنباً الى جنب في معترك الحياة والعمران متعاونين على رفع الوطن نحو ذرى المجد والفلاح ، الفتاة التي اظهرت ان الفتاة الشرقية قادرة ان تجاري الغربي والغربية في جميع فنون العلم والادب والاصلاح

وبعد ان اديرت اكواب الشاي واطباق الحلوى وصحون الاثمار مما دل على تجسم روح الضيافة الشرقية في نفس الاستاذ . وقف الاستاذ ضومط والقي كلمة ترحيبية اتى فيها على قول احد ائمة العرب المشهورين حيث يقول ما خلاصته : « الفرد من النوع البشري فقط يتمكن من ان يَفْضُلَ عشرة من جنسه ،بل مئة بل الفاً ، بل عشرة آلاف ، بل قبيلة باسرها وهذا لا يصح مطلقاً على سائر الانواع الحيوانية » وهنأ الياس بك زياده والد الآنسة « مي »

---

(١) اسم قصر فخم في صنعاء كانت تسكنه ملوك تلك البلاد وهو مشهور في التاريخ وقد اطلق الاستاذ ضومط هذا الاسم على قصره الصيفي في سوق الغرب «لبنان».

اما حديث عن مي

أما للركب عن ميٍّ حديث	تحن له الجوارح والنفوسُ
تحمّله النسائم من ذراها	وما حملت هو الدرّ النفيس
وايام لنا غرٌّ تولت	ولبنان تفت به البؤس
يسائل عن شباة يراع مي	وقد طافت بكعبته النحوس
وطوقه الزمان بقبضتيه	ودقت عنقه الحرب الضروس
وقد ساق الزمان عليه خيلًا	سنابكها الجماجم والرؤوس
فهيَّج بأسها منا عتاةً	أذلّ نفوسها الدهر الخسيس
فحطمت الغلائل واستثارت	عليه الحرب فاشتفت النفوس

***

فديت مخبري بفراق مي	وفي اجفانه الدمع الحبيس
بأن (مي) غدا تمسي بارض	تحجبها الأكلة والحبوس (١)
ابعد صفا (الصفا) ونسيم (بردى)	تحن لمصر عذراء عروس
تداعب نفسها نسم التصابي	ويعطف بردها عطف عميس
واني وان اكن ظبي غريرٌ	ترنحه المراشف والكؤوس
حفظت لمي في نفسي احتراماً	ولا عهدٌ هناك لنا رسيس
على مي من الدنيا سلامٌ	تحمله النسائم والشموس

شكر الله الجر

---

(١) الحبس للمرأة الخدر وللرجل محل الاعتقال

وسرور) غمست قلمها في مداد هد سيَّال قلبها الناري و كتبت فصولها الخالدات » [١] « وبين الجملة والجملة على صفحات الاوراق تتجلى الارواح وتخفق القلوب وتسيل الدموع ويسطع الفكر الانساني بانواره الباهرة » [٢]

ونطاب اليكِ ان تظلي شاهرة « بالسيف الذي يدعى القلم » الحرب المجيدة التي مافتئت تشهرينها منذ حملته بين انامِلك « حرب الفرد على الجمهور . حرب الروح على المادة . حرب الحكمة على الزهو . حرب الحصافة على الغرور . حرب العدل على الطغيان . حرب الكرامة على التطفل . حرب الحق والواجب على التهجم والخمول . بل حرب العمل والصلاح السائرة بالانسان نحو صروح الارتقاء والضياء » [٣]

نرحب بكِ ياسيدتي ممثلة للمراة « تلك الزهرة التي تضم في كيانها آيات الحسن الكبرى واسرار الحنان الذي لايدرك ولا ينقضي . تلك الزهرة التي يعذبها ظمأ الحرية وتتجاذبها العواصف وتتقاذفها صرعات الزمأن من أجيال طوال فلا ينقصف غصنها ولايلتوي . تلك الزهرة النارية التي تناول الدهور آمال المستقبل

---

(١) التعليق على الشاعر البعلبكي (٢) حفلة بكفيا (٣) فضل الآداب

لان نديه ونداً يفوق الالف بل العشرة الاف بل القبيلة باسرها

ثم وقف الاديب فؤاد افندي صروف والقى خطاباً ترحابياً مختصراً مصوغاً من عبارات اقتطفها من فصول « مي » الكتابية فجاءت دليلاً على ظرف فؤاد افندي وادبه . والخطاب فيما يلي :

— باقة ازهار [١] —

كنت اود السكوت « والسكوت جميل وله اسرار هي حيناً مرعبة كظلمات اللجج وآنا لامعة كمقل الكواكب في الدجى » [١] واما الكلام « فقوة قاهرة لتلك الهوة المحفورة بين البشر هوة السكوت والتباعد التي تجعل الانسان غريباً عن الانسان وبانتصارها تؤلف صلة قرابة بين الروحين . صلة تفاهم تجعل الغريبين متعارفين » [٢]

***

نرحب بكِ ياسيدتي كاتبة نابغة درست مظاهر الحياة في جميع اطوارها « ولما ان هالها ما شهدت من ذل وتعاسة (وسعادة

---

(١) كل ما هو بين قوسين مقتطف من كتابات الآنسة مي والارقام تشير الى اسماء الخطب والمقالات التي اقتطفت منها هذه العبارات

(١) العجائب الثلاث (٢) العجائب الثلاث

« بزيادة غيرة في الرؤوس المفكرة وزيادة تحفز في الهمم النهاضة لتسير في طريق فوز ميمون الى عهد جديد يخرجنا من ليل القرون الوسطى الى نهار البعث العتيد »[1]

***

هذه باقتي — جمعت ازهارها من رياض فصولك وفيها آثار من نثرات روحك وخطوط أحلامك وآمالك — أقدمها اليكِ دنيلاً لما لك في القلوب من المكانة العالية والمقام الرفيع ولسان حالي يقول :

اهلاً وسهلاً « ياعربون تضامن الشرقيات » اهلاً وسهلاً « ياعنوان نهضتنا النسائية الحديثة »[2] .

***

وما انتهى الاستاذ صروف حتى اعترضت صاحبة مجلة المرأة الجديدة على الاستاذ ضومط لانه هنأ والد « مي » ولم يهنئ والدتها الحاضرة ايضاً وقالت

سيدي الاستاذ . لاشك ان الاب له تأثير في العائلة غير انه قد اصبح بحكم المقرر ان الام الضعيفة هي القوة الفعالة والمؤثر الاكبر في العائلة من حيث تربية البنين وتكييف .

---

(١) البعث العتيد (٢) تأبين باحثة البادية

وتنقل من ذرية الى ذرية قبس الحياة العظيم »[1]

ونرحب بك ممثلة للمرأة الشرقية الجديدة « ذات النفس الغائصة بالعواطف الرجراجة الصاخبة المستعرة »[2] ممثلة للفتاة الشرقية « يشركها الرجل في جليل أعماله ويفسح لها مجال القول والعمل في الاصلاحات القومية . أنت التي خفت صوتك دهوراً لان الرجل كان كما كان أمة نيوه وقد كبر الرجل وتعالى فقد أوقفك في مكانك جاعلًا صوتك يتصاعد حراً ويسطو قاهراً فعالاً . لا لانه صوت فتاة بل لانه صوت الفرد الانساني المكمل وصوت عضو في المجتمع الشرقي الراقي »[3]

« التهذيب صرح المدنية الرقي والمدارس مصابيحها والاستاذ فيها كاهن النور ورسول العرفان »[4] و « الام — أم الجسد وام العواطف وأم الافكار — مستودع آمال المستقبل »[5] « ولا قيود للنفس الغنية الا قيود الاخلاق الطيبة ولا جدران الا جدران الحرية »

ولذلك نطلب اليك ان ترفعي الصوت ما قدرت على ذلك منادية بالتعليم الاجباري بالمدارس الابتدائيــة والعليا مطالبة

---

(١) المرأة والتمدن (٢) غاية الحياة (٣) الدموع (٤) وداع الاستاذين (٥) المرأة والتمدن (٦) العجائب الثلاث

الازهار والرياحين وكل نبات حي في الحدائق والبساتين فاننا نرجو بل نتأكد ان وفود نابغتنا «مي» علينا سيبعث ما فينا من ميت الامال وينعش ما كاد يذبل فيها من العزائم والاحلام

***

ثم القى الاستاذ الشاعر امين افندي نخله الحداد قصيدة عصماء نالت استحسان الجمهور واعجابهم وهذه ابياتها :

عـاني بيانك ينجدني بتبياني	فقد رأيت فصيح القول جافاني
اذ ليس لي شعر شوقي في بلاغتـه	ولست في صوغ شعري مثل مطران
ولا تطيع القوافي مرقبي وفمي	كحافظ الشعر في مصر وسودان
ولست ذاك الذي تاريخـه عجب	اعني به اللوذعي جرج بن زيدان
ولا الاديب الاريب الفيلسوف معا	وما اخالك تنسين ابن ريحان
ولست استاذنا جبر الذي شهدت	له البريّة من قاص ومن دان
فهو الامير عـلى الكتاب جمعهم	قد بايعوه هنا في قصر غمـدان
قصر بلبنان قد ضم الألى شتهروا	بالعلم فهو يحاكي «كرمة الهاني»
فيه تبارى رجال الشعر والخطبـا	من كل فرد عزيز العلم ملسان
يرحبـون «بمي» في كلامهم	كأنما القول من درٍّ وعقيان
مي وحسب فتاة الشرق نابغـة	فلا يقال وأخرى فيه صنوان
اخت الرجال بعقل راجح وذكـا	وفوق اكثرهم في رفعة الشان
انّا قرأناك في صحف وفي كتب	وقد رأيناك في اوراق ديوان
طرقت يامي ابواب الرسـائل في	كل المواضيع شأن المصلح البـاني
عالجت ادواء هذا الشرق فانفتحت	من بعد غمض لاهل الشرق عينان

طبائعهم واميالهم وهي الوحيدة التي تقدر ان ترقي اولادها الى اوج المجد او ان تحط بهم الى دركات الشقاء . ولذلك فأني اهني بالنيابة عن اخواتي الحاضرات مدام زياده بك لان لديها ولداً يفوق ليس قبيلة فقط كما قال الاستاذ بن لان لديها ولداً يفوق مدينة كبيرة بأسرها . وان الشرقيات عموماً والسوريات خصوصاً ليفتخرن بالنابغة مي لأنها اضافت الى مجدهن التالد مجداً خارقاً وهن اليوم ينحنين باحترام امام آثارها الخالدة من علمية وادبية

وبعدها وقف الاستاذ جرجس الخوري المقدسي وسرد (كما نعهده) قصة حديثة العهد استخلص منها مغزى جميلاً وعبرة لطيفة قال :

دخلت منذ يومين بيت احد الاصدقاء في بيروت فقلت — سمعت ان « مي » وصلت (مفخماً لفظ الاسم)

فقالوا : نعم وصلت

قال : ومتى ؟

فقالوا : منذ الامس

فقال : واين نزلت

فقالوا : في البرميل وقد سقينا الازهار فانتعشت

ففهم ان مخاطبهُ يعني ماء شركة بيروت التي كانت مقطوعة عن الاهالي يومئذ ثم قال الاستاذ . وكما ان الماء قد عادت فانعشت

فانما اقوم بواجب لمن يعلي مقامنا ويخدم امتنا وهل احق من آنستنا بالشكر

واني لافتخر سيدتي ان أقف متمثلاً شاكراً بلسان اخواتي المسلمات وحبذا يوم يكثر فيه عدد امثالك الوطنيات

***

وبعده قامت السيدة الفاضلة عقيلة الاستاذ ضومط ورحبت بالانسة «مي» ووالديها بكلمات رقيقة تدل على كثرة العواطف السامية التي تنطوي عليها نفسها الكريمة . ثم طلب الحضور من حضرة المحتفى بها ان تقول كلمتها لان الكل متشوق لسماع دررها وحكمها فنهضت بكلمة عذبة لطيفة شكرت فيها الاستاذ ضومط وعائلته حفاوتهم وجميع الحضور ترحيبهم واكرامهم ثم اخذ ينتثر عقد المدعوين وكلهم ثناء على استاذنا صاحب القصر واعجاب بالنابغة « مي » .

* * *

وصحت فيهم بقـول كله حكم   فليسمعن من له يا ميّ اذنـان
صاغ الثناء لك الجنس النشيط مـ   ـع الجنس اللطيف بسر او باعـلان
وجئت اسبك في كور الثنا كلماً   في المدح احكم صوغاً فوق سندان

* * *

ثم ارتجل حضرة الوجيه جميل بك بيهم كلمة لطيفة مرحباً بالانسة مطرياً فيها القدوة الحسنة والمثال العالي لسائر الشرقيات وهذه خلاصة كلمته

سيداتي وسادتي

ان في القلوب من الاعجاب بالانسة «مي» ما لا يستوفيه مجلس. واجدني قادراً ان اقول وإن افاض قبلي الخطباء والشعراء انهم أثنوا على نبوغها ومواهبها وشكروا لها سعيها على خدمة العلم والادب واما انا فأني اذا ما اثنيت وشكرت فانما افعل ذلك لخدمتها قومها من حيث القدوة والعمل بالكتابـة فحسب. مي اصبحت كعبة انظار بنات جنسها العربيات فاذا مـا اثنيت عليها فانما أثني على مافي نشاطها من محرك وما في اجتهادها من دافع للتمثل بها والنسج على منوالها

مي ترفع شأن الامة العربية عموماً والسورية خصوصاً ولا بدع في ذلك، فاذا ما اعجب البشر بمدنية احدى الامم فما الفضل في ذلك الا لعلمائها وادبائها اركان تلك المدنية. واني اذا شكرتها

ايتها السيدات

اني بينكن بالجسد للمرة الاولى ولكن طالما حضرت هذه هذه الجلسات بالافكار والاشواق أسمع ما يلقى فيها من خطب واطرب لما تنشدن من نشيد . ثم كنت اقرأ تفاصيل الجلسات بالتدقيق واحدث عنها بلهجة من رأتها رأي العين . وهذا وحده كافٍ للدلالة على مقدار سروري الآن بان اجدني واياكن وجوداً محسوساً . وقد يكون هذا ايضاً مقياساً لامتناني الكبير لما اسمعه منكن من كلمات الترحيب الحلوة والتشجيع الصالح

على اني اعلم انكن لاتقتصرن في اجتماعاتكن على كلمات المجاملة والملاطفة ، حتى ولا على كلمات الصداقة المخلصة . لذلك اود ان لاتتغير عليكن العادة بل اود ان نتبادل كلمة أخرى تدل على ان النساء الشرقيات متفاهمات من وراء البحر . اود ان نتبادل كلمة الاستنهاض التي تذكرنا باننا لسنا لعبات يلهو بنا الآخرون ونلهو بهم بل اننا صممنا على تمثيل دورنا في حياة العائلة والبلاد

تعلمن ، ايتها السيدات ، ان الشعوب كالافراد تجتاز من اعمارها اطواراً مهمة ، فيها يكون للافكار والاعمال شأن عظيم في تكييف الاحوال . فاذا احسن الشعب او الفرد الادارة والتصرف تيسر له التقدم والنجاح . والا فليس له سوى الفشل

مي
في
— جامعة السيدات —

بين مي والجامعة صداقه وثيقة العرى اذ كانت ترسل نفثاتها من ارض الفراعنة لتهبط كالمن على اخواتها في سوريا ورغبة من الجامعة ان لا يفوت الاخوات حظ التعارف الشخصي الى النابغة التي عززت اسم المرأة فقد دعتهـا الى حفلة نسائية كانت هي حلقتها المباركة حضرها نخبة من سيدات البلدة على اختـلاف المذاهب في نادي محفل السلام بعد ظهر الاثنين الواقع في ٢٣ ت ١ فافتتحت الحفلة الانسة امينة خوري بكلمة ترحيبية وتلتها الانسة عفيفة صعب صاحبة مجلة الخدر فالسيدة ماري بتلوني وانشدت الانسة ماري عطا الله نشيداً ترحيبياً مطرباً عقبها كلمة من الانسة ماري يني فالانسة الماس سلمان فالانسة كريستين خوري بعدة ابيات من نظمها

ثم وقفت مي ويكفي اسمها تعريفاً لها مرتجلة خطبة جواباً على كلام بعض الخطيبات والقت خطاباً يكفي ان يقال انـه السحر بفمه الساحرة

وبعد تناول المرطبات انشدت الاعضاء نشيد الجامعة وانتهت الحفلة واسم « مي » يختلج بين الشفاه وذكرها تهتز له القلوب

وهذه صورة الخطاب الذي القته الانسة « مي »

سواهن نجحن باجتهادهن وكن ذوات اثر طيب في محيطهن – رغم وحدتهن ورغم آلامهن ، بل ورغم امتهان العالم لهن وظلمه في الحكم عليهن

اما الآن فقد بدأت امرأة هذه البلاد تنتبه لنفسها ، تنتبه لكرامتها ، تنتبه لمكانتها . وان أملي في هذه الجامعة كبير لايقاظ الرغبة فيكن . فالرغبة دافع عظيم يكفي ان يحثنا للسير إلى ابعد الغايات

وان اعظم ما يوحي اليكن الرغبة الجميلة هو نشيد جامعتكن . لقد سمعته للمرة الاولى هناك في عيناب ، على احدى ذرى لبنان البديعة ، حيث قضينا ساعتين شائقتين في ضيافة آل الغندور الكرام . فانشدت ذلك النشيد ضغمة من السيدات والفتيات على توقيع العود . انشدنه انشاداً بديعاً . ومنذ ذلك اليوم وانا أنشد احياناً ما علق بذهني من الفاظه ومقاطعه الموسيقية . وكنت اتمنى ان تتقن ضربه كل واحدة منا على العود او (القانون) لتتم له شرقية الآلة كما تمت له شرقية الالفاظ وشرقية النغم وشرقية الاصوات .

لست أعني اني اريد ان نكتفي بالاشياء الشرقية ونقاطع الغربية . بل انا اعتقد ان كل مايبدعه فكر الانسان في أي قطر

والخذلان

وبلادنا تجتاز الآن مثل هذا الطور الخطير : فحاجتها الى حزم ابنائها ومساعدتهم كبيرة . بلادنا تسير الان بين الخطر والامان ، بين العلة والصحة ، بين الصعود والهبوط ومن ذا اقدر من المرأة — اذا هي شاءت — في صيانة من تحب وما تحب ؟ من ذا اقدر منها في ايجاد العواطف الطيبة وشحذ العزائم ! اليست هي ملكة المنزل ؟ اليست هي المنحنية على نفوس الاطفال ؟ أليست هي المؤثرة في الرجل ؟ أليست هي ناشرة الرأي في العائلة والاجتماع ؟ وان لم تكن هي المدافعة المباشرة عن الوطن ، أليست هي التي تزرع حب الوطن في القلوب وتزكي الحماسة الوطنية ؟

لقد اعتدنا ان نعزو الى الرجل علة تقهقر المرأة . حسن فلنفعل هذا امام الرجال لنستثير منهم الهمة . اما الان فنحن في خلوة نسائية لا يسمعنا فيها رجل فيمكننا ان نصرح قائلات ان نصف المسؤولية تقع على الرجل اما النصف الآخر فعلى المرأة

كيف ذلك ! ان الوقت لا يسمح لي بالشرح فاطلبنه من مدام دمشقية والانسة ماري يني والانسة امينه خوري اوتناقشن به فيما بينكن واطلعنني على النتيجة . حسبي ان اقول ، شاهداً على رأيي ، ان بعض النساء اللائي لم يساعدهن الرجال اكثر من

وهذه صورة الخطاب الذي القته الآنسة امينه خوري :

بالاصالة عن اخواتي اعضاء جامعة السيدات اتأهل بحضرا تكن في تلبية دعوتنا للاحتفاء بضيفتينا الكريمتين مدام زياده والانسة مي وجميع الحاضرات اللواتي يمثلن الجمعيات النسائيـة ومحررات الجرائد والكاتبات ومعاهد التهذيب وسيـدات البلدة من مسلمات ودرزيات ومسيحيات نتحد بصوت واحد متأهلـين بحضوركما بيننا ومشاهدة كاتبة طالما منينا انفسنا بمشاهدتهـا واستماع صوتها .

سيداتي : ان النوابغ ليسوا لانفسهم أو لذويهم فقط ، بل هم ملك الامة ، ملك البلاد التي انشأتهم ؛ هم كنوز اورثتهما الاجيال الماضية الى ابناء الايام المستقبلة . فاذا اكرمنا عالماً أو مجاهداً في سبيل نشر الاصلاح وخدمة الانسانية بما أوتيه من القوى والمواهب فانما نكرم الامة التي انتجت ذلك الشخص

ولماذا نعجب اذا أعاد التاريخ نفسه وأرانا في بنات سوريا ذكاء الخنساء ورقة شعورها وتفانيها في خدمة امتها . وحريـة فكر الزرقاء وجرأتها الادبية . وتأثير زنوبيا وسلطتها على القلوب تلك التي مع ما كانت عليه من العز ومنعة الجاه ؛ ملكت ناصية لغات الشرق والغرب ؛ واستخرجت من كنوزها ؛ ومدنيـة

كان، هو لجميع بني البشر على السواء ولكنني احتج على اهمال الفن الشرقي والآلات الشرقية رغم جمالها . اود ان نفرش بالاثاث الشرقية صالوناتنا وان نصنع لنا من اقمشة بلادنا اثواباً، وان نتقن العزف على الآلات الشرقية لنحسن اظهار ما تكنه النفس الشرقية من ألم وطرب وفرح وترح

كذلك اود ان يكون نشيد (جامعة السيدات) نشيد المرأة الشرقية فتنشده الام والابنة والجدة، وينشده الرجال كما تنشده النساء

الا فليتردد صدى ذلك النشيد بين منازل المدن، وبين الجبال والاودية وعند تدفق المياه وعلى شواطئ البحر حتى تتغلغل منه المعاني الى اعماق النفوس

الا فلتتغلغل منه المعاني الى اعماق النفوس ولتتحقق تلك المعاني شيئاً فشيئاً فتصير جزءاً من حياتنا . ولتحي بنات بيروت الناهضات

لتحي جامعة السيدات : ولتحي كل جامعة تجمع ابناء الوطن وبناته !

***

ويشعر بغنى في النفس وارتفاع في عالم الخيال . من منا لم تقف حائرة من بلاغة معانيها وسمو افكارها . قلمها كريشة المصور الماهر يرى جمالاً في الطبيعة لايراه غيره حتى اذا ما عالجه بريشته الدقيقة ورسم ماصورته له مخيلته العجيبة جاء من أبدع المشاهد وأجملها .

فتصوراتك الواسعة العالية توحي الى المرأة ما يدفعها الى عظائم الامور وقلمك الساحر يشدد همتها في السير الى الامام الى الى الجهاد المستمر

ومن غير السورية احوج الى جهادك المستمر وروحك السامية وهي في احرج المواقف واشدها خطراً . فان المسيحية منا قد طرحت تقاليدها القديمة ؛ واخذت تسير مع تيار التمدن الغربي المزلق غير مميزة غثه من سمينه . ووقفت اختها المتحجبة تنظر اليها من بعيد وهي مقيدة بسلاسل التقاليد والعادات . وكل مبتعد عن الثانية بالنسبة الى سرعة السير وزيادته

فثقي ان صوتك اللطيف يرن في سوريا شرقاً وغرباً ويحدث تأثيراً يدوم صداه في الاجيال المقبلة

تسعى نساء اليوم للمطالبة بحقوقها المهضومة وتجاهد لتقف ازاء الرجل في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؛

الغرب ما أَغنى لغتها وأَزهى مملكتها وبسط عاصمتها ففاقت مدن الغرب عظمةً وشأناً .

ألسنا من سلالة اولئك النساء وقد ورثن لغتهن ومواهبهن؟ أو كثير على سوريا اذا سطع اليوم نجم لامع في سماء العلم والادب النسائي وقد ظهر في الماضي انواراً اخذت تبدد حلك ظلامها وتنير سبل التقدم والرقي أمام المرأة . ألم تجاهد نساء كثيرات منذ خمسين سنة خلت في محاربة الجهل وانهاض المرأة علماً وادباً ؟

تتحد الاشعة فتؤلف نوراً باهراً ساطعاً ؛ والماء يتجامع فيؤلف بحراً خضماً ؛ وكذا تتحد الافكار وتتآلف النفوس فتؤلف قوة تغيّر مجرى التاريخ البشري

ونابغتنا تضيء بنور اشد لمعاناً لمن يأتي بعدها من النشء الذي يقوم فيطوبها لخدماتها الجليلة ولما ستبذله في سبيل العلم والرقي وما زادته وما ستزيده من الغني في لغتنا العربية من بدائع افكارها ودرر أَقوالها .

من منا وقد قرأت بعضا من كتبها كباحثة البادية والمرأة والتمدن وسوانح وافكار وغاية الحياة والمساواة وغيرها من التآليف المفيدة والمقالات الرنانة ولا يعجب بتلك الروح السامية

نكرمك لانك تجاهدين في رفع حالة المرأة السورية. واختها المصرية بما اوتيته من نبوغ ومواهب. نكرمك لانك كرست حياتك للجهاد في خدمة الانسانية والعلم فاقبلي بلسان جامعة السيدات عواطف الشكر والاعجاب

***

خطاب الآنسة ماري يني :

ميّ وكلنا عرفنا هذا الاسم فاذا اتيت اعرفها المأت الى الادب العربي الذي ترفع رايته فوق هامة المرأة -- في الازهار من فائح عبيرها ماينم عليها ومي هي زهرة الادب التي لايعتريها ذبول بل هي من انواع الخمور المعتقة كلما مر عليها الزمن زاد طيبها وغلا ثمنها — وما نقرأه اليوم من موحيات روحها سوف يردده ابناء الاجيال الاتية ويغبطون ذكر فتاة رقصت على مسارح العلم والادب فأجادت التمثيل في الفنين وكانت بنبوغها عنوان محبة للمرأة السورية

ولكني يامي رأيت الجماهير اجمعوا متحدين فكراً وقولا على صوغ المديح لما تمنحين ابناء محيطك من آياتك الباهرات

أفتعرفين سبب هذا الدافع فيهم لاكرامك وتمجيدك

وتطلب توسيع سلطتها وتأثيرها في أعمال الحياة . وهي انما تفعل ذلك لا حباً للشهرة ؛ او طلب المناصب . فالشهرة ليست من تطلبات المرأة الحقيقية . بل لتستعمل مالها من القوة والنفوذ في اسعاد العائلة — في تهذيب الناشئة على المبادئ القويمة — في تربية الاجيال المقبلة على كراهة الحرب والتعصب وحملهم على تأييد السلام وحب التساهل . تسعى في تطهير الهيئة الاجتماعية من شوائب جرها عليها الرجل باستبداده والمرأة بجهلها ناموس الكون ومركزها الطبيعي . تجاهد النساء في تأليف وحدة بينهن لتعزيز القوة الادبية الدينية ذلك الاساس الذي لاتثبت مملكة على غيره ولا ترتقي امة ما بدونه

ان العالم يئن اليوم تحت سلاسل الشقاء والتعس مع ما وصل اليه من العلم والاختراع والابداع . ولماذا ؟ لانه فقدتلك القوة الروحية ؛ فتغلبت المادة على الروح ؛ والمطامع على العدل والقوة على الحق ؛ ولا يصلح العالم الا متى اخذت المرأة مركزها الطبيعي وكانت شريكة الرجل في اعمال الحياة لاالعوبة يلهوبها أو مساعدته الثانوية . فنكرمك ايتها الاخت للقوة العظيمة التي أضفتيها الى قوة المرأة المجاهدة ولانك في مقدمة النساء الشرقيات ترفعين علم الفضيلة والاداب الراقية التي لا تأثير للمرأة بدونها

بينا البقية اضلوا الطريق وساروا يخبطون على غير هدى

فسيري فخورة بما احرزت كما تفخر بك الجامعة التي تعرفين منها الاسم وقد تجهلين الغاية . فما الجامعة الا اختاً نك في المبدأ وشريكة في العمل الذي تريدين به انهاض المرأة بل انهاض الامة بالمرأة

الجامعة هي انضمام قوى المرأة المتفرقة الى حلقة واحدة يجمعها الاخلاص ويربطها الوئام

هي ادغام القوة المحجوبة وراء ستار العادات والتقاليد الى القوة التي لها حق النور وحق الظهور

بل هي امتزاج النفس الساطعة عليها شمس الحرية بالنفس الطموح الحساسة الجازعة المتألمة الآملة

فحللي هذه الشعائر واستخلصي منها ما تشائين من نتائج الثبات والاتحاد والاخلاص فترتسم لديك غايتنا التي هي تعديل قوى المرأة الادبية والاخلاقية والاجتماعية بحيث نؤسس على انقاض الناشئة المتمسكة المقلدة الضعيفة ناشئة جديدة سامية المبدأ كبيرة الغاية رفيعة المقصد متساهلة المعتقد تأخذ من الماضي والحاضر كل ما فيهما من حسنات موروثة ومكتسبة لعل هذا الوطن التاعس يسعد بابناء الغد سعادة تحجب عن نظره مرئيات

ذلك ان خدمة البشرية اصبحت من الامور التي تكاد تنقرض تحت ممر الادهار بل اريد ان اقول ان الواجب اضمحلت آثاره وقامت على انقاضه المصلحة الخاصة بحيث اصبح كل فرد لا ينظر لغير نفسه وقواه لا تصرف الا لما يكسبه الخير والنفع بقطع النظر عن كل ماعداه من البشرية ظامئة كانت ام مرتوية

فاذا بك وقفت حيال هذه الجماهير المتطاحنة يحيط رأسك اكليل نور يشع معرفة وهداية للضالين وبيدك ترفعين علم الفخر والادب يستظل تحته التعبون المجاهدون ومن فمك تنسكب قطرات الحكمة فينتعش بها الظامئون

حينئذ اكبروا ماشاهدوا وهللوا منشدين آيات التعظيم والتكريم

فهم يشكرون فيك الفضل وانا اثني على الاجتهاد .هم يعجبون بالمعرفة وانا اقدس الواجب.هم يعظمون الذكاء الظاهر وانا أمجد تلك القوة الخفية التي تتلاعب بكيانك فتدفع الينا بهذه الدرر الغوالي

هم يكرمون فيك النبوغ وانا احترم الجهاد الذي اوصلك الى قمة المجد الادبي فهم وانا نحترم واحدة عرفت الواجب فوصلت باجتهادها الى عتبة المعرفة الصحيحة وقبضت بيدها على المصراع

موسماً نذكر فيه النبوغ متفقداً وضنه المتروك جائلاً في ربوعه ساكباً على رباه وفي منعطفات وديانه ذوب الحنين والاشتياق؛ وهامساً في أذن أرزه وشربينه وعلى ضفاف مجاريه سر الوداد الحي غير المتغير في البعد وطول الايام؛ ومجدداً عاطفة البر الصالح — بر الابناء بالاباء. طابعاً على صدور جباله رسم المرأة المتكاملة القوى أثراً عزيزاً خالداً بخلود النفوس راسخاً كرسوخ الجبال

كنت اودّ = يامي = ان لا يكون لي في موقفي صبغة مذهبية لان عباداتنا امام الدين الامثل الشامل تراجعت وتنحت ساكنة اعماق النفوس تومض في ضميرات يأسها وبؤسها بروق عزاء وتوحي اليها في مسير الصلاح الباقي. وفسحت لتفاهم والتعاون مجال البت والتنفيذ في شؤون التجدد والاصلاح. لكنني اراني بالرغم من رغبتي عن حمل هذه الصبغة مدفوعة اليها اتكلم بلسان اخواتي بنات الحجاب؛ فلهنّ من الامال ما بلغ منه بنات السفور الشوط البعيد. وامامهنّ من المشاكل ما اصبحن هن منه في حل طليق. لنا يقظة هي بنت الامس ما زالت في مهدها رضيعاً نريد لها اصفى اللبان غذاء؛ وغريبة تتلمس في الاراضي الجديدة الدليل المخلص الحكيم. استيقظنا من نوم الدهور فاذا الحياة ظلام في ظلام؛ وجالت ابصارنا تبتغي النور فشامته من خلال

الامس واليوم

فكوني للجامعة اختاً عاملة مجاهدة فلمثل يدكِ القوية يحتاج الوطن. وابقي دائماً كما أنت زهرة للادب ومنارة للعلم وفخراً للمرأة السورية

***

خطاب الانسة عفيفة صعب صاحبة مجلة الخدر :

يوم وضعنا الخطوة الاولى في سبيل الانعتاق ؛ وارسلنا طرفاً نزقاً الى قيود الجهل والاستسلام ؛ لم نحلم قط ان سنشهد — يوماً — مجد الضعف يباري مجد القوة ؛ ولا جسرنا على تخيل الدماغ المضغوط بكابوس الدهور ؛ والقوى المحبوسة وراء اقفال من حديد ؛ - تستطيع تملصاً من كابوسها ؛ وانفلاتا من معاقل اسوارها ؛ ويبقى لها من النشاط ما يدرك بها في زمن قصير من التفوق اعلى اعاليه . هو يوم ، بل هي مجموعة ايام ؛ تود المرأة السورية لو تجمع ذكراها وتجسمها في انفس نفائس الكون وترفعها الى مذبح تحج اليهِ في كل عام ، وتذكي امامه محرقات الشكر الضميم لامنية عامة تحققت في فرد جدير فجددت واهن القوى واحيت ميتَ الآمال . نعم نود ان نجعل لذكر هذه الفترة

الاختكار

بنت الحجاب متحيرة الخطى لاتذكر من ماضيها غير شبه حلم
مظلم بارد قاس . واذ تتقدم بنظرها الى المستقبل تراه غمراً مجهول
الاعماق لم تشق منه قبلًا مياهاً ، ولا سبق ان عرفت فيه السبل
فتهيب السير منفردة في مجاهل تكثر فيها عثرات الادلاء الخبراء
واليد المخلصة التي ترافقها الى السير قائدة هادية لم تجدها بعد

لبنت الحجاب نفسٌ وان طال دهر اهمالها ، وتعاون الزمان
واهله على خنق صوتها والقضاء على امانيها فما زال فيها من
عزة واباء ما تطمح معه الى الحياة في الموت دون الموت في الحياة
ولها عقلٌ وان اورثته رطوبة الخدور المقفلة صدأً كثيفاً ؛ فهو لم
يزل قابلًا للصقل والتهذيب لو اتيحت له يد راغبة في خيره
مستبسلة لنشله من هوانه .

ما اكثر ما نرجوه وما اوعر الطريق اليه ، لكننا نعرف
ان لا قيمة للحياة بلاجهاد ، ولا مجد للجهاد ان لم تسمه المشاق
باوسمة من اشواك دماء وتكلله نيران الاسى بقطرات الدموع ولا
لذة في فوز نرجوه ان لم تكن لنا في احرازه المجهودات الكبرى
وكفانا بجهادك مثالا وبسبيل سلكته دليلًا وبانتصار جنسي اصبحت
منه التاج الاسمى لامالنا حياة . وان كنت تعتقدين بالوطنية

السجوف والاستار خيوطاً ضئيلة كأن اليد القابضة على هذه الاستار ضنينة علينا بالنور المطلق الغامر . نقلنا خطانا على مهل فاصطدمت باسوار عالية منيعة عثرت عندها آمالنا بالاطلاق . هي اسوار لها حرسها العنيد الشديد الذي يؤثر السقوط صريعاً عند ارتجاجها على التسليم وهو يحسبه عاراً وهوانا . تمشى الوقت بنا فاذا نحن في نقطة تماس حالين : — حال على قدمها يقوم على تأييدها ذو شدة وبأس ؛ وحال تجاري العصر بمرونتها وتتمنى ان لا تكون في قومها غريبة وفي وطنها تلك التي لا وطن لها وهي ثمرة الفكر المتهذب النير لولا ان انصاره قليل يضيع في الاكثرية الساحقة . وبين المحافظين والثوار يتطاير شرر الاصطدام فيصيب المرأة بحروق تؤلم وتذل والطبيب عنها بعيد المنال

ولئن رأيت في هذا الاجتماع المحجبات يحاذين بنات السفور متحدات قلوباً مشتركات عملاً فاعلمي انهن فئة قليلة جالدن وجاهدن صابرات بين رمي الحجارة ورشق السهام ، وبلغن حقل الوطن داميات الاكف مهشمات الاقدام مرددات

مرحباً بالخطب يبلوني اذا   كانت العلياء فيه السببا

اما إشتراكهن في تكريمك والاحتفاء بك فلانهن ينكرن على النبوغ المذهب ويؤيدن حقهن فيك حقاً مقدساً لا تطاله يد

ابيات السيدة خريستين خوري :

أيا ميُّ هذه لسنٌ تنثرُ الحلى — وهل تلك آياتٌ تفيض على الفكر
وهل هي احلامٌ تصورها المنى — فتسموها لابصارشوقاً وماتدري
فوالله ما هذا وذاك وانما — غدا سحرك الغالى على قلبنا يجري
وما هي إلا روح ميٍ تمازجت — بكل فؤاد فاجتلى آية السحر
وتلك مزاياك الحسان تضوعت — تفيض على رجائنا نشرهاالعطري
عليك سلام الله ياميُّ كلما — جرى ذكر مي في العوالم بالفخر

***

خطاب السيدة ماري بتاوني :

ايها المحفل الكريم :

أحييك وأحيي نابغة سوريا بقلب مملوء اكراماً ومحبة قائلة لها أهلًا وسهلًا بكِ ابهجت نادينا

ايتها الفاضلة لا أُجرب أن أعيد على مسامعكِ من المديح والثناء مانلتيه من أهم رجال البلاد وكتابها . لان هذا تحصيل حاصل . بل سأقول مانفعت به فعلًا بنات جنسك

كنت بالجسم بعيدة عـنا . وهذه اول مرة أرى شخصك

القدسية المثلى وطنية القلوب . في هذه الديار قلوب تود لو تندمج وتتوحد قلباً واحداً كبيراً تقيم لك فيه عرشاً مرتكزاً على قائمتي الحب والاحترام — تعلينه بجدارة ويفخر بان يصبح لـك وطناً سرمدياً

واذ تعودين الى بلاد سعدت باختيارك اياها موطناً ؛ وتشعرين بعزة حريتك ، وتغتبطين برحابة مجال قواك ، وتدركين مجد استقلال فكرك وتنحنين فوق دروسك تستأنفين تحري الحقوق والواجبات الفردية العمومية ومشاكل الجماعات وآلام النفوس فاذكري هذا الشطر من نصف امة لا وطنك اللبناني اذكري ما هو فيه اليوم من توجع واحتراق — وما هو مقبل عليه غداً من نضال وكفاح ؛ وابعثي اليه من بين نفحاتك المعطرة بنسيم النيل بما يكون له في الحاضر عزاء وفي الاتي نوراً وعزماً . وانا لمسيرك المنتظم راقبات . وبفوزك مفاخرات ؛ ولا تكتبين وتقولين واعيات دارسات تسبق خواطرنا الايام الى يوم نرى فيه هلالك الفتى بدراً كاملاً غامر الضياء

***

قليل جداً

رب قائل يقول هذا موضوع قد كُتب فيه كثيراً ولكن اذكره لاننا نعرف نقرأه فقط ولا نعرف نعمل به

لما قرأت لك هذه المقالة وعنوانها المرأة والتمدن خالج قلبي فرح عظيم لما فيها من المواعظ المفيدة. ولا أرى فرقاً بين السرور الذي اشعر به من عمل طيب اتت به أختي حاملة اسم عائلتي او من أختي حاملة اسم وطني فاذا كثرت امثالك بين السيدات الشرقيات وصار نظرهن يخرق حدود البشرة ويشرف على اعمال النفس ليعالج الضعيف منها حينئذ نستبشر بتقدم سريع

واضيق الوقت ابقي في صدري باقي سجاياك الحميدة يا خير عاملة لخير بنات جنسك واسعاد بلادك

***

خطاب الآنسه الماس سلمان :

من قوة قذفت بها يد القدرة الى محط الحكمة ، واناطت بها قوى الفكر والعمل — تنبعث شرارة الاعجاب .

ومن النفس التي اميطت عنها لفائف الذل والغباوة ، وتململ في اعماقها شعور الاحساس الدقيق ، تنطلق اشعة العاطفة

ومن احرى من جامعة السيدات — وهي التي عرفت بك

المحترم ولكن روحك عرفناها وأحببناها قبل الان . لما في كتاباتك الكثيرة واقوالك المأثورة مايكفي ليرينا قلبك الكبير

انت الاخت التي نفتخر ونعتز بها . انت قدوة لنا كي نجتهد ونقرن العلم والادب بالعمل . انت اليد الطولى في اعلاء شأن المرأة العربية وبقلمك وفصاحتك اخرست المتنقصين من قدر المرأة واهليتها

ما اجمل انتقادك لاقوال الفيلسوف أفلاطون لازدرائه بامه واسفه لكونه ابن المرأة . ومناداتك اياه ليعلم ان هيباثيا ابنة تيونوس اجمل بنات عصرها هي التي كانت تشهر تعاليم افلاطون ولاجلها قُتلت رجماً في شوارع الاسكندرية

من يسمع انين نفسك المتألمة من سقيم العادات . وسيء الاخلاق . وفاسد المبادئ ولا يعترف بفضلك ؟ انت وصفت لنا الدواء بقولك كما اننا استعملنا المدنية لعلومنا وكيفية معيشتنا يجب ان نستعملها لشفاء العاهات الاخلاقية ورفع النفس من الانحطاط

هنا استلفت نظرك وارجوك ان تداومي وتكثري كتاباتك بهذا الموضوع لان هذه هي امراضنا الاجتماعية . وهي الحاجز القوي بوجه تقدمنا فان لم نبرأ منها فكل علومنا وذكائنا نفعه

بنيران الردى والهلاك

تلك هي الشعوب تشيد فوق المذابح دعامة العظمة وتبني ابراج المجد — وعلى صدر التاريخ تسطر لقائدها آية العلى والفخار

فاي اكرام يجب ان يقام للنابغة (مي) وهي الفاتحة ممالك الجهل بنور العلم الصحيح ، السائرة في سبيل الرقي باسم السلام ؛ والناشرة لواء العز المنيع فوق صخر الحقيقة .

هذي هي اعمال تنسج للشرق فخراً ، وتصوغ تاجاً للبنان وذي فعال ؛ تعظمها البشرية ؛ وتباركها الاوطان

***

الا خففي السير ايتها النفوس الصغيرة الحائمة في دياجير الظلمة الحالكة !!

واخفضي سلطانك ايتها الاوهام الضاغطة على الادمغة بكابوس الذل !!

وانت عج ما اردت وُمج ما شئت ايها الجهل وشاءت قوتك المنحلة المتلاشية والتفي اي سيوف الغباوة ما شئت حول الاعناق الخاضعة ؛ فها نصالك تُصدى وتُبرى وتندثر . وما هذه سوى انات مودع وزفرات محتضر

فوق اطلال مرقدك تستيقظ المعرفة ويتململ النشاط .

المواطنة الحرة والكاتبة النابغة ، والصديقة المحبة ، باظهار عاطفتها واعجابها .

هي التي جاهدت وتجاهد في سبيل تعزيز شأن المرأة ؛ تلاقي بك النصيرة لاعمالها ، والناثرة شعورها وافكارها . وها هي اليوم تنحني باحترام امام نفسكِ الكبيرة ؛ ونبوغك السامي

لقد علوت فوق مراتب الرقي ، وصعدت على مدارج السؤدد ؛ ورتعت فوق منابر العظمة الخالدة . وما كان كل هذا الا ليزيد روحك تواضعاً وهمةً ؛ ونفسك شعوراً ورقةً . فتحنو على النفوس الكسيرة لتجبرها ، والقلوب الدامية لتؤاسيها ؛ والافئدة المتفجعة لتعزيها . بك عرفنا القوة الساخطة على اللؤم المتمردة على الوهم والمترفعة عن الباطل .

وفيك رأينا القائد الباسل ، والفاتح المنتصر الذي شق عصا الجهل بقوتي العلم والحزم ؛ بعظمة تتصاغر عندها الهمم ؛ وتعنو لها الجباه

يقيمون الاعياد لقائد الحروب ، وينصبون له في مشارق الارض ومغاربها قبةً علياء ؛ تناطح برأسها السماء . يرفعون له التماثيل لقهره عدوه بقوة القسوة ؛ وتغلبه على اضداده بسلطان الرهبة . في صدورهم يشك هذا نصال المنون والى افئدتهم يبعث

حفلة مي في عصبة الادب

١

الخمائل يضحك فيها الربيع عن مثال النجوم، والقلوب تخفق فيها الرغبات والاماني ؛ كذا كانت حفلة « مي » في عصبة الادب مشهداً واحساساً .

وكانت الساعة الرابعة زوالية ؛ واقبلت مي فاذا بالاعناق تتطاول والسكون يخيم ؛ واذا بفليكس افندي فارس يلقي بلسان العصبة كلمة الترحيب – كلمة ولكنها خطاب

ثم صعد المنبر جميل بك بيهم فاذا به يخطب كما يكتب .

وعقبه جرجي افندي باز فكانت عباراته عبرات ؛ ونبرات صوته زفرات

ثم وقف الياس بك فياض فالقى قصيدة هي اخت (النجوم) و (النسيم العاشق) ...

ووقف بعده شبلي بك ملاط فانشد « ملاطيّة » هزّ المنبر من تحتها !

ثم وقفت الاميرة ابي اللمع فكانت كلماتها قبسات ساطعة (كالفجر) ...

وفوق دولتك المنقرضة تسير (مي) بصرامة البأس والاقدام ؛ لتشيد دعامة العمران ؛ منيرة ظلمات السبل بنور الكمال . ولقد سمعناها منادية باسم الحقيقة ؛ هاتفة بعنوان السلام

لك المجد في صدر الحياة مشيد وبين معالي العز فخرٌ مؤبدُ
لك الدهر والازمان فسحة مرتع وسامي رباه منبوغ — ومقعد
لك هامة الاجيال تصبو وتنحني ونفسك في ظل الخلود ستنشد

***

ملاحظتي هي ان وجود الحاكم — الفرنساوي — في حفلة يقيمها — اللبنانيون — لنابغة — لبنانية — لعاطفة لها معناها في القلوب

« الشعب »



شاءت بيروت ان تكرم « مي » فكانت حفلتها زينة الحفلات ادباً ووطنية وذوقاً

لا اقول شيئاً في الخطباء والشعراء فقد ذكرت الرصيفات اليوميات انهم اجادوا ؛ نعم اجادوا حقيقة هذه المرة لا من قبيل الاطراء الصحافي لانهم كانوا يشعرون وهم يكرمون « مي » انهم يكرمون النهضة الشرقية النسائية باسرها في شخص هذه النابغة

وانما اذكر انني ما تأثرت عن خطاب ولا ملكني كلام خطيب ؛ كما تأثرت من خطاب مي وكما ملكني كلامها ؛ انها لم تكن على المنبر تلك الفتاة الضعيفة اللطيفة الشاعرة بعجز المرأة خصوصاً في هذا الشرق ؛ امام قوة الرجل . بل كانت الشرق الناهض باسره وقد تمثل امام سامعيه بشخص فتاة تبرهن للعالم ان المرأة وجدت لتكون لها حقوق الرجل وواجباته .

وقد تكلمت نصف ساعة ورغماً عن الزكام المؤلم الذي كان

والقى بعدها ميشال افندي ابي شهلا قصيدته ، فتنسمنا منها الشاعرية الرقيقة

ثم تلا عبد الحليم افندي اللاذقي خطاباً (عربياً) بعثت به الآنسة صعب صاحبة (الخدر)

ووقف على الاثر صاحب هذه الجريدة فانشد بقية باقية من ابيات رأى فيها بعضهم ما رأى ... فجاءت (كشاوٍ بانياب الهموم مبضّعِ) وعقبه الاستاذ الراعي صاحب (قطرات الندى) فقطر من خياله خيالات في كلمات :

ثم وقفت السيدة صائغ فالقت خطابها المرصع صدر هذا العدد

وما هي الا بعض ثوان حتى تحرك المجلس ودوى بالتصفيق فاذا (مي) على المنبر — وكان سكون . لا اقول شيئاً في خطاب (مي) فلعل (الشعب) ينشره في عدده التالي ويقف القراء على الآية البيانية تنزلها (مي) على القلوب لا في المسامع .

امـا الذي كان يمثل (هوغو) و (لامرتين) و (روبس بيار) و (موسه) في الحفلة فقد كان — كما قال فليكس افندي فارس — حضرة القومندان ترابو

لي ملاحظة — لا تصيب الخطباء الذين تغيبوا عن الحفلة ، لا تتناول « النادي الادبي البيروتي » الذي ناصر القائمين بهـا ؛

خطاب السيدة سلمى صايغ :

يامي

شاءت الصدف ان تكوني من مقاطعة في لبنان تدعى « الفتوح » — فيا ابنة الفتوح انت هي ؛ لفظاً ومعنى

انت مي الفاتحة وكاكبر الفاتحين سار اسمك في الاقطار العربية ؛ فتسلطت ذاتيتك السامية على قلب كل من يقرأ الضاد واتخذت لها مكانة عالية لم تصل اليها كاتبة في العالم العربي .

هذه كلمة حق وقائلتها فهمت معنى هذه الذاتية الجذابة ؛ الغنية بكل مواهب العقل والقلب والروح . يوم قرأت كتابك الاوحد « باحثة البادية »

كنت تعبة من كل ما كتب وماقيل ؛ وعاجزة عن قراءة أي كتاب عربي دفعة واحدة اودفعتين او ثلاث — هل هوملل او اكتفاء ؛ او ظمأ او جوع الى غذاء كامل يشبع نفسي ام ان الحياة فيّ هبطت الى سكون لاتوقظه اصوات الحياة العادية ؟ — لا ادري وكل ما ادري هو انني اخذت هذا الكتاب في أحد الامساء ولما وصلت الى الصفحة الاخيرة فيه اذا بنور القنديل يحمر امام انوار الفجر البيضاء الداخلة من النافذة فوق رأسي واذا

ملماً بها فقد تمنى الحاضرون لو تتكلم ساعات لانها كانت اخطب من وقف على المنبر — معنىً والقاءً وتعبيراً — بلا جدال

وقد خطر في خاطري ومي تلقي خطابها البديع وتأسر سامعيها بمعانيه حتى لا يسمع بينهم تردد الهمس لو ان اللبنانيين يجمعون كلمتهم في الانتخابات المقبلة على ان تكون « مي » نائبة عنهم في المجلس النيابي تدافع عن لبنان وعن حقوق لبنان بما أوتيت من فصاحة واخلاص ووطنية صادقة . اذن لاوجدوا لهم هناك قوة لا يغلبها برهان على اهلية اللبنانيين للاستقلال . ولماذا لا يكرم لبنان نابغته فيجعلها في المقام الذي جعل الاتراك فيه نابغتهم خالده اديب ؟ ان مي احق من كل وطني باكرام لبنان واحترامه بل لماذا لا يعطي لبنان المرأة حقها في السياسة والنيابة وعنده مثل مي

اما الذين تغيبوا من الخطباء والشعراء فقد « اجادوا » كثيراً اذ انه لولا ذلك لما انتهينا من الحفلة حتى في منتصف الليل

« المعرض »

***

وصَّافة ما وصفت الا نفسها .

وهي الجريئة تعالج امور الشرق بجرأة ماعرفها الشرق فتقبض بيدها على علة العلل . على الاتكالية ؛ = المرأة : البالية وتقرأ بهذه البلاغة :

« كلنا معجب بفصاحة القرآن ونعزو اليه فصاحة العربية عند المسلمين واستقامة لفظهم وجمال منطوقهم وفخامة اسلوبهم الكتابي ، لانهم يستظهرون آياته صغاراً ويستشهدون بها كباراً . الا ان فصاحة الكتاب الحكيم وجماله قد عوّدا القوم الكسل الفكري فصاروا اذا ما ارادوا الافصاح عن رأي أو نظرة اهملوا جهاد القوى المولّدة مطمئنين الى ضرب آية قرآنية — اوحكمة شعرية — مثلاً ، تاركين قرائحهم في حالة الجمود مستكنّات ، وعليها خيوط العنكبوت تخيم آمنات بيدان هذا الانتقاد الذي يصح على الاكثرية لا ينطبق على اقلية لبيبة ان هي استعملت الآية القرآنية عند الحاجة فان لها اسلوبها الخاص . وقد تنسج عباراتها على وزن عبارة القرآن بنزعة فطرية واضعة الفاظه لمعنى شخصي وبشكل جديد يسترق السمع ويستأسر المخيلة قبل ان يبلغ افق الادراك »

وهي الوديعة تتكلم في الادب والشعر والاجتماع والعمران ؛

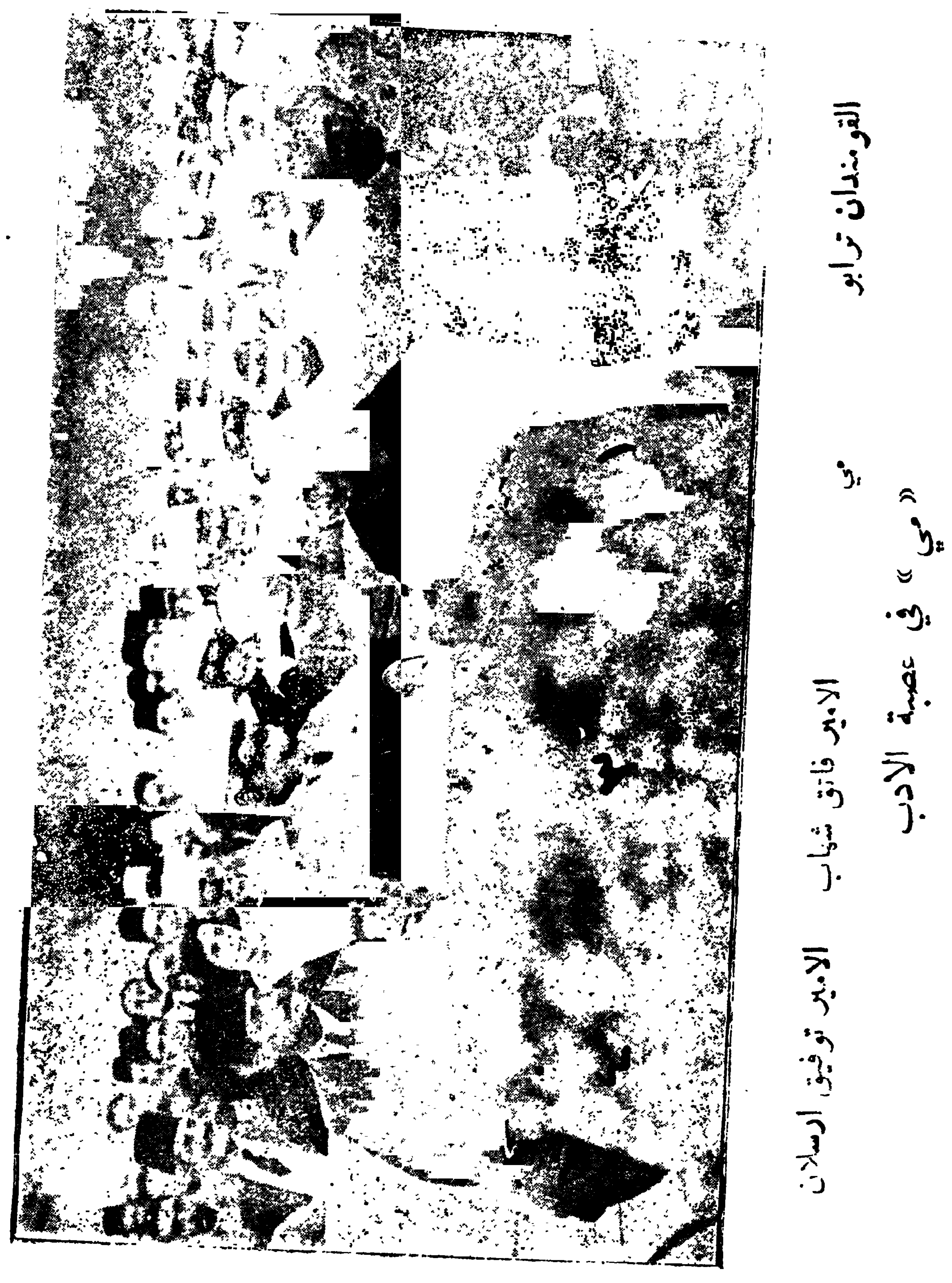
بنفسي تصرخ — كما صرخ ابن نابوليون يوم لقي البطل فلامبو — (واخيراً لقد ظفرت بواحد) ! — واذا بروح « مي » الساحرة وقد اشبعت ظمأ قلبي توقظ في روحي المستكنة عوامٓ لاتعد ولاتحصى

هو الكاتب الكبير — يجمع المنطق والبلاغة والجزالة أقول ؟ — آه ما افقر القواميس بين ايدينا — هو يجمع شلالات الحياة بكل ما في الحياة من ثروة وفيض وغنى وتجدد ومن وثبات تهب نابضات على عدد الثواني ويطلقها على الناس فتسير كقوة خالقة تشبع وتروي وتبعث الفكر النائم من ظلمات الصمت والسكون .

هذه مي كما رأيتها في باحثة البادية . مي المخلصة . يؤلمها ان تذهب حياة صديقتها ضياعاً فتكرس كتاباً بكامله لتكريم الصداقة بعد الموت

مي الوصافة : ترسم بالكلمات (الوجوه والآفاق والليل والكواكب فتنبض في الالفاظ الجامدة حياة سريعة متقدة بهيجان الغضب وانين الشكوى ورنين الظفر وتهتز الالفاظ تارة كالاوتار وتولول طوراً كامواج البحر العجاج وتهمس حيناً همساً عجيباً كمبهم الآمال القصوى)

بهذه الموسيقى تصف مي الكاتب الحق . وياحلاوتها من



الامير توفيق ارسلان　　الامير فائق شهاب　　مي　　القومندان ترابو

« مي » في عصبة الادب

فتاة مسيحية وبما تتهمت هذه الاوجاع بتملي النسائي فانها تظل عندي خيالية ليس غير »

ما ألطفها تتنصل من تشريح هذه العلة الغريبة عنها ! وهل

تتكلم عن اطلاع جم وعلم صحيح ؛ برسوخ ومتانة لا يفوقها فيهما اقوى الرجال حجة . ولكنها في كل مواقفها اديبة اديبة. ماسمعتها تتكلم الا وفي صوتها رنة استفهام عميقة وكأني بها تقول (لعلي مخطئة ؟) بهذه الرقة تتقدم مي الى المواضيع التي عالجها قاسم امين فهز وادي النيل تلك الهزة العنيفة . فتقول عن الحجاب :

« ليس لي رأي ازاء ما يرتئيه اساطين المسلمين » ولكنها ! تعود فتنظر الى قاسم فتراه يقلب الحجاب بين يديه وتقول :

« وبين زرافات النساء المارة امامه تستوقف خاطره امرأة بلاده . امه واخته وزوجته وابنته اولئك اللائي اوجدتهن الطبيعة صديقات لحزنه وانسه وكأني به يناديهن فيلبين النداء بطيئات متسكعات ؛ تعبات ؛ ويدنين فيرى عليهن غشاء يمنع عنهن نور الشمس ونور الحياة : الحجاب»

أما كاتبة هذه السطور التي تجرب اليوم في خمس دقائق أن ترسم خطوطاً صغيرة لذاتية مي الكبيرة فانها تعبد هذا السحر الحلال :

وبهذا اللطف نفسه تشرح افكار باحثة البادية فتقول في صدد تعدد الزوجات :

« العجز يجعلني قاصرة دون تشخيص هذه العلل الغريبة لانني

شاعر بدون خوف ولا ارتعاش انه يقول الحق . لذلك هو يجلس على كرسي القضاء ويطلب تحرير المرأة حباً بالسعادة الحلال . تلك التي يريدها لامهِ واختهِ وزوجتهِ

هذه هي مي ايها المواطنون . مي الفاتحة الوصَّافة ؛ العالمة ؛ الجريئة ؛ الوديعة ؛ الرقيقة ؛ الصريحة

وهنالك « مي » ثانية تتطور مع الدقائق وتتجدد عند كل شروق وكل غروب تلك « مي » الجديدة بعد ان زارت لبنان وساهرت نجومه في لياليه الخلابة . مي الجديدة السباقة في نشر دعوة لبنان ايَّان يرنُّ صوتها الرنان . اما رأيتموها تتململ وتنادي من على صحائف « الهلال » اين وطني ؟ اريد وطناً اموت لاجله أو احيا به — كذا تقول مي

وطنك يا مي هو هذا الجبل القديم الذي كان وطناً من قبل ان تكون كلمة « الوطنية » في عقول الناس . هذا وطنك لبنان الوجيع . تغضب عليه الليالي فتحشره في كل مسألة من مسائل الشرق . ثم تقتطع سهوله . ثم تميته تجريعاً وشنقاً — ولقبس من نور يطلع عليه . النهلة من مياه الحياة . لرمق يعاد اليهِ تزلزل الارض زلزالها وهو لا يزال الشيخ الكريم يضحك من بخل الناس وصغارة الناس ويفرق على العالم العربي دماء قلبه وفلذات كبده كحجة ازلية

هي غريبة عن مي ؟ والمرأة مظلومة في كل مكان ووفرة الزوجات — على ما نعلم — شائعة في الغرب كما في الشرق . اسمعوا قلبها الوجيع ينتصر لنساء الارض كافة ! اسمعوه يردد زفرات نساء العالم المعذبات ويئن :

« يخاف الناس ويرجون، ويكرهون ويرغبون ، وظلام الامم مخيم عليهم . فيبحثون عن الاصدقاء والمساعدين والمؤيدين ! ولكن ! أليس هؤلاء الذين نحبهم ونحتمي في قلوبهم من مكايد الايام هم الذين يسكبون سيّال الالم في كؤوسنا صرفاً ويتفننون في التعذيب كأنما الطبيعة ائتمنتهم على اسراره ! »

ومي الصادقة الصريحة ، تقول الحق لانها تعتبره حقاً وانصافاً تقوله صراحاً بدون محاباة ؛ لاتراعي فيه حتى ولا المحبة — كذا تقابل بين الباحثة وقاسم امين . وهذه المقابلة مع ما سبقها من البرهان وما تبعها من الاستنتاج هي آية في الابداع . خلاصتها ان الباحثة تصلح كأمرأة . وكأمرأة هي مقيدة بالعادات والتقاليد حذرة ابداً . هي حامت فوق بيئتها ولكنها لاتزال خائفة وما أحسن « مي » تصوّر لنا الباحثة وحيدة في فكرها وتصرخ وسط وحدتها لتوهمنا انها غير خائفة —

اما قاسم امين فهو امين مما يقول . سلطان كصاحب الحق

قصيدة شبلي بك ملاط :

الا حملوا اليك حديث ميّ ... كازهار الخمائل في شذاها
وهل رصدوا فرائدها الغوالي ... كابراج الكواكب في سماها
وهل طافوا بمكتبها وحجوا ... هنالك في الكنانة منتداها
اذا نزلوا على عصباء علم ... تذيب العمر كي تحيي سواها
تذوب كما يذوب لها يراع ... على شفتيه يجري اصغراها
اذا ناجت به الجوزاء ودت ... جباه النجم ان ترعى ثراها
وليس سوابح الافلاك تجري ... بابدع او باسرع في مداها
من القلم الذي علته ميّ ... مسهدة عليه مقلتاها
سقت غربيه من شهد وخمر ... كذلك من براها قد سقاها
كأن الله من سحر ودر ... اتاح لميّ لاحظة وفاها
وشاور امها لما براها ... وشاور يوم كونها اباها
فجاءت مي معجزة تناهي ... من المعنى اليها ما تناهى
نعم بلد العجائب كان مهداً ... لها والناصريُّ به رعاها
وكم ولدت فلسطين نبياً ... وكم هزت له مهداً يداها
وكم اعجوبة تمضي الليالي ... واهلوها ولا يمضي صداها
ومن ذكرى لاجيال تلاشت ... وبادت وهي لم تدرك مناها
ومن ورد الحياة وان تمادت ... قضى عطشان لا يجد المياها
وأمَّت مي لبناناً اباها ... تعد به لدعوتها قواها
فصادت من مدارسه فتاةً ... كذاك هي العلوم بمبتداها
وضاقت ارض لبنان عليها ... ورنَّ باذنها صوت دعاها
« ترحل عن مكان فيه ضيمٌ ... وخلِّ الدار تنعي من بناها »

على حقه في الحياة

نعم يامي ليس لنا اعلام ذات خطوط والوان ونجوم واهلة وصلبان انما لنا — يارافعة العلم — اعلام سيارة تسير خفاقة فوق الهند والحجاز والعراق ووادي النيل والسين والهدسن والامازون .

ولنا اعلام قديمة . مضرجة بدمائنا ودموعنا مطوية في جوف التاريخ . هي ضحاياها القديمة والحديثة . نحملها على ايدينا ونريها للناس فيذكرون الوفاء

هنا وطنك يابنة الفتوح . فسيري وبشري بالرجوع اليه . فلا يقوم بالاوطان سوى اكتاف الرجال وقلوب النساء

هذا وطنك مجتمع هنا . صورة مصغرة برجاله ونسائه وبناته وصحافته وادبائه ومدارسه ومعاهده وكشافته . ليحتفل «بميه» الوحيدة ويشيعها بكلمة حب وحنان

ان وطن يامي . بحياتك الفياضة التي اذا وزعت كان منها الف الف حياة ؛ فلا تقولي — فدتك روحي — اين وطني !

***

كلمة الانسة عفيفة صعب صاحبة مجلة الخدر :

احي الادب بمي ؛ واحي مي بالادب ؛ فقد عززها وعززته ورفعها ورفعته ؛ واصبحا معاً العلم الانور الذي يخفق في سمائنا مجيداً تشيعه ابصار المعجبين ويتبعه هتاف المتهللين ؛ وتحوم حوله القلوب ضافرة من زهرات الحب والاعتبار باقات واكاليل . ولئن اجمعت القلوب على حب هذا العلم الخفاق ؛ ووحدت المذاهب حول نبي الادب الكريم ؛ فلان للادب ميزته الخاصة ومنزلته الفريدة في عصر المشاكل والمحن — فيه الانسانية ذات انين من جراح وتوجع من ضواغط ؛ وتبرم من مطامع ؛ وتخبط من اشكال في سبلها وابهام — تتلمس في دياجي بؤسها وشقائها عقولا تنكب عليها بنور الحكمة ؛ وقلوباً تحتضنها بالحب والحنان ؛ فتضمد كلومها ؛ وتذود عن حقوقها ؛ وتعالج مشاكلها وتسكب في اعماق ارواحها المتوجعة نسمة شعور رقيق ونفحة عزاء عذب جميل . أوبين الامم امة الضاد لها اوجاعها وآلامها ؛ ولها مشاكلها ؛ ومتاعبها وفيها خفاياها المزدحمة بالفواجع ؛ المغمورة بالظلمات تبتغي ذينك العقل والقلب العظيمين ليتعهداها — هذا بحب ومؤاساة ؛ وذاك بهدى وعلاج . فمن ذا الذي جمع بين لطف الفتوة

وشدت نحو ارض النيل علماً بان الرزق رحب في حماها
فكان لها الغنى فيها، ولكن ابالاموال قد وجدت غناها
ابالدنيا ولم تطلب حطاما من الرزاق الا ما كفاها؟
رأت كل الغنى علماً صحيحاً يجر وراءه مجداً وجاها
وان المال مع جهل سفاه وكم في الاغنياء ترى سفاها
فلذ لها السهاد على كتاب الا وصفت لنا مي دجاها
وهل ابقى الخيال لها خيالا يطوف بروح مي في كراها
الا نعم الكتاب فتى « لمي » اذا سئلت فتاة عن فتاها
وفلسفة اذا حدثت عنها حنى النفر الفلاسفة الجباها
وموسيقى لها ترجيع شجو كساجعة الحمائل في بكاها
وكم سالت على الالحان روح وكم عشت قلوب في هواها
وكم صعدت الى الافلاك مي وكم نقلت « بآثينا » خطاها
وكم نثرت على «فينوس» زهرا وكم وجدت (بزهرتها) هداها
وكم اولت من الاخلاص مصراً وكم خدمت بنهضتها نساها
وكم ادى لها الهرم احتراما واكبرها المقطم في علاها
وكم من مرة مصر تمنت وودت انها احدى ظباها
رويداً ان بنت الارز مي وحسب الارزان يدعى اباها
فما ضنت على مي بلاد اذا ذكرت ترنح جانباها
وهل تنسى (الفتوح) غداة مرت بها كالظبي تحجل في رباها
وهل تنسى (بعنطورا) زماناً اذا ذكروه قالت مي آها
وهل ايام ذاك (الكوخ) بانت وهل حول (الصفا) نسيت صفاها
ديار غذيت مي هواها وشبت وهي ذاكرة هواها

واساليب طالما اجتمعت فيما خرج من بين يدي « مى » فخلناه انغاماً ورسوماً تحدثنا عن شخصية تفردت بثروة من الجمال والجلال

اننا بفخر نحييك يااميرة القلم. ولئن تعود الشرق ان يشق ادباءه فحسبه تكفيراً انه عرف لك فضلك وبتكريمك جدد قوى اخواتك الشرقيات التائقات الى المعالي المتعطشات الى المعرفة . وما اشتراك الجنس النشيط بهذا الاحتفاء غير اعتراف صريح جميل بضرورة اطلاق قوى المرأة من عقالها وفتح مجال الاستفادة لها كي تستطيع صعوداً نحو قمة الكمال ؛ فيصير اعتبارهم لمقامها نتيجة طبيعية لكفاءتها .

نحييك لانك بنبوغك وسعت امام الجنس مجال الحياة مجالا كنا نراه ضيق المدى متقارب الجنبات على قدر تجاور جدران الخدور التي كنا لم نزل الى امد غير بعيد نعرفها وحدها ميادين قوانا ومراسح تمثيل فصول وجودنا. وسعت هذا المجال فرأينا الجدران الواهية تتداعى امام عواصف الفكر الثائر لتخلفها صروح وافرة النور — نور المعرفة الخالصة — راسخة القوائم في صخرة العلم الصحيح. شاهقة القمم نحو الحرية العادلة الحق . يحفظ نظامها التكافؤ ويسعدها التحاب والتعاون

هذه تحيتنا وثقي انه لم يذهب من قواك المبذولة شيء ضياعاً

وحكمة الاجيال ؛ وتجاورت في كيانه عذوبة النسيم وشدة الرياح
ووقفت في ارحاب نفسه شوامخ الجبال ازاء سحيق البحار ؟
فوجدنا فيه يم المعرفة العميق يجاور الحب المتقد ؛ وشعلة الفهم
الوضاء تجاري ينبوع الشعور العذب ؟؟ هذا المثل الاعلى في مي
وجدناه وحوله اجتمعنا والفخر يماشي منا الاعجاب والاعتبار
يسير والمحبة جنباً الى جنب

على ان العبرة ليست بالكتابة فحملة الاقلام عديدون والادب
لدى كثرتهم يردد — ما اكثر الاخوان حين تعدهم .. بل العبرة
في الفكر الحر الذي اذا اقبل على قضية يعالجها حُلَّ من كل قيد
واعرض عن كل تقليد ؛ وانكب متجرداً يتحرى الحق فيعلنه
نوراً مبيناً ويتفانى بحثاً عن الحقيقة الى ان يخرجها للملا مجردة
ناصعة خلوا من شوائب التمويه والتزوير

العبرة بالدماغ المثقل بايات العلم والاختبار ؛ فاذا نوديت
لتأييد رأي لبت سراعا ؛ وان دعيت لدعم مذهب جاءت فوراً
بالخبر اليقين . العبرة بالعقل المبدع الذي ملَّ الوقوف عند حد
المتعارف المألوف فتجاوزه الي الاشتقاق والاستنباط والتعريب
وثم سكب فضله على الادب العربي غزيراً فزان الفصاحة منه
بالعذوبة ؛ والمتانة بالجمال والمجد التالد بالفن الطريف . هي طرق

هذه بلاد اهلها غربا

الابيات التي انشدها الشاعر الاديب ميشال افندي ابو شهلا في حفلة مي

حيِّ النبوغ وكرِّم الادباء ... ياشعر هذا بعض ماوجبا
مجد الحياة لامة عرفت ... قدر الاديب فنالت الاربا
ما المواطن وهي رازحة ... تشكو الصعاب وتنتهم النوبا
لاتعجبوا مما الم بها ... ليس انحطاط بلادنا عجبا
جهلت مقام ذويها فضى ... متخاذلا واضاع ما وهبا
وغلا بنوها في جهالتهم ... يتوارثون اللهو واللعبا
لا تعذلوهم في الذي فعلوا ... هذي بلاد اهلها غربا
يامي هذي خطرة بدرت ... بالرغم ... لها سببا
قبضت على فكري فاتركت ... من مذهب غير الذي ذهبا
لاتحسبي يسلو ثناك فمي ... هيهات يسلو مدحك العذبا
ني احيي فيك نابغة ... حسد الاعاجم عندها العربا
مي وما ميٌّ سوى قبس ... للعلم مزق نوره الحجبا
الشرق يرقب فيك مصلحة ... قامت تبني مجده الخربا
يقظت في فتياته هماً ... فاضاء نوراً للرجاء حبا
وصحبت من رسل الهدى قلما ... السحر والآيات ما كتبا
القى عليه المجد هيبته ... ومشى الخلود اليه منجذبا
يامي والاوطان باسمة ... للقاك لا تنسي الذي وجبا
فاذا نأيت تذكري وطناً ... يبكي لهجر بنيه منتحبا
وتذكري قوماً بشخصك قد ... حيُّوا النبوغ وكرموا الادبا

فما ذاب من دقائق دماغك قد استقته النفوس الظمأى فارتوت.
وما اتقد في صدرك من عواطف الرأفة والحنان قدنفذت أشعته
الى اعماق الظلمات البـاردة بسمات نور وحرارة حياة . كل قطرة
من مداد يراعك ارتشفتها الافهام التائقة إلى العرفان وصوتـك
حيث رن ساحراً خلاباً رددت صداه الانحاء وتناولته الذاكرات
تودعه خزائنها بحرص واعتبار لتستحضره ساعات الاحتياج ناصحاً
مهذباً مؤاسياً مرشداً

سيري رعاك الله - في جهادك الاسمى ؛ ولئن نظرت فرأيت
على انامك آثار الدماء فاسعدي بها لانها آثار اشواك وحجارة اقتلعتها
من سبيل جنسك المتحير الخطى ؛ نعم اسعـدي بها انها طابع
مجدك ودمغة العظمة الخالدة فيك

***

النفوس

وأما القطرة الحمراء فهي قطرة القلب ؛ قطرة العاطفة والحب والالم ، القطرة الجميلة التي تنزل بها على جباه الوالهين وعلى خدود العذارى وعلى تنهدات الشعراء وعلى كلوم الجرحى وعلى دموع الباكين

تلك هي الانسة مي لاتكتب بريشتها الخاصة الا سطوراً زرقاء وسوداء وحمراء

تلك هي الانسة « مي » لقلمها الخاص قطراته الثلاث التي بنت على مثلثها هرم مجدها في معرض التاريخ

تغمس مي قلمها في الفضاء لتفهم الانسان ان نفسه غير محدودة ثم تغمسه في القلب لتجيب نداء العاطفة المستغيثة

هكذا فعلت من قبلها جورج ساند وهكذا تبرهن الكاتبة انها نابغة

النبوغ الادبي هو ان يكون فيك غير ما في البشر فتملأ فراغهم بما فاض في كاسك

هو أن تجتاز بالانسان شوطاً بعيداً في مضمار حياته الفكرية

هو ان تغمس قلمك في غير الدواة وأن تكتب به على غير القرطاس وأن لاتقف بصريره قبل أن تخرس العاطفة الصارخة

القطرات الثلاث [1]

سيداتي وسادتي

أن لقلم مي ثلاث قطرات : قطرة زرقاء وقطرة سوداء ، وقطرة حمراء

أما القطرة الزرقاء فهي قطرة السماء والبحر ، قطرة اللانهاية التي تنزل بها على النفوس الصغيرة والصدور الضيقة فتضرم فيها جذوة الطموح والعلاء وتذكر اصحابها بما يستطيع أن يفعله الانسان إذا أطلق لفكره العنان . وبعبارة أخرى هي القطرة التي خصصتها بالجبناء الذين قنعوا بحشر الزوايا وبالماديين الذين لا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم ومن خزائنهم الحديدية

وأما القطرة السوداء فهي قطرة الليالي التي تنزل بها على من ملأت رأسه سويداء الحياة هي قطرة السويداء وعللها وعلاجاتها هي القطرة التي تفهمك عن سويدائك مالم تفهمه انت ولا افهمتك اياه سويداؤك وما أكثر السوداويين في هذا العالم وما اجمل الريشة التي تمحو ببياضها ما يخطه الزمان من السطور السوداء على صحائف

(١) هو خطاب الاستاذ راجي افندي الراعي في حفلة مي

ولكم أتمنى تتخذ مي وطنها لبنان مقراً لها

أن قمة الجبل الذي نشأت في سفحه أحق بها من الاهرام ومن

ضفاف النيل

لو كان هذا الوطن اللبناني قبضة لقبض بها على فتاته النابغة

ولم يرض بها في غير داره

وداعاً مي على ان تعودي عما قليل الى وطنك الجميل الناهض

***

وأن تضمد في كل سطر تكتبه جرحاً من جراحات القلب البشري

هو البلوغ إلى قعر النفس لاستخراج دفائنها

مي نابغة أخرجت مؤلفاتها فدخلت في التاريخ ولكن يجب أن لاننسى أنها نابغة لبنانية وهو مالايسعنا اغفاله في مثل هذا الوقت الذي ينعتنا فيه كثيرون بالجهل والخمول

لبنان يستطيع أن يباهي بمي أي غربي كان وأية غربية كانت

يكفي لبنان مجداً أنه أخرج مثل مي ونحن اليوم في اشد الحاجة إلى من يعلي مجد هذه البقعة الفتانة التي يجب أن نتخذها لنا وطناً مهما توغلنا في مجاهل الفلسفة وبالغنا في تأييد المبادىء الاشتراكية ومهما كثر المتفرنجون بيننا

هذه البقعة اللبنانية الجميلة استحقت بمؤلفات مي وشخصيتها النادرة ان تخرج من عداد الاوطان الضعيفة والجاهلة التي لا اثر فيها للنبوغ والامجاد

اننا نطلب باسم لبنان ان يسجل اسم مي في سجل الفرنجة ليعلموا جيداً أن هذه السماء تأتي بالهام قد لاتأتي به سماء الغرب

انني اعد نبوغ فتاتنا اللبنانية مقدمة كتاب حياتنا اللبنانية الجديد فان مجد الادب هو أعظم الامجاد وحجر العلم والذكاء هو الحجر الاساسي لكل بناء قومي

شوقي الى ذاك الحمى والى لياليه السوافر
واحبة فيه لنا غر كأنجمه الزواهر
وشبيبة فيه مضت وكأنما هي حسو طائر
كالطيب يذهب حجمه ويظل منه النشر عاطر

****

لبنان ان كثرت ذنوبك ان في «مي» لغافر
يامي فيما بيننا صلة العواطف والخواطر
تشكين حائرة بلا وطن كذا شكواي حائر [1]

***

(١) اشارة الى مقالها «ابن وطني» في الهلال

شوقي الى ذاك الحمى

وهي قصيدة الياس بك فياض في الحفلة :

يا ميُّ والايام لم تترك خيالاً لي بخاطر
ماذا يحاول في مديحك شاعرٌ بالعجز شاعر
جارت أحبته عليه ولم يكن يوماً بجائر
لم ينصفوا منه المودة والامانة والمآثر

***

يا مي لولا ما نشخصك في القلوب وفي الضمائر
لم ينطلق مني اللسان وقبل ودعت المنابر

***

لله ذكرك في البلاد غدا مسير الشمس سائر
خمر تسلسل من يراعك ليس ما حوت المحابر
بل تلك نفسك في الطروس وتلك روحك في الدفاتر
سالت على حد اليراع كما على حد البواتر
يا بنت لبنان اليك النيل يسعى وهو صاغر
زينت منه الشاطئين بما نثرت من الجواهر
حكم وامثال غدت ملء المسامع والنواظر

***

المحتفل بهم من افراد الرجال ولكنه لم يستف لهم ان عقدوا من مثل هذه الحفلات الرائعة لاحدى السيدات فكانت حفلتك الاولى في عداد الحفلات النسائية بل الاولى في بابها حيث اشترك بها حملة اليراع وارباب الابداع من كلا الجنسين وعلائم التعظيم والافتخار باديةً على الوجوه تنطق بمالك في الصدور من سمو المنزلة ورفعة الشأن وما خلعت على بلادك من حلل المجد الزهية ومطارف العز البهية فلله درك يامي وسقياً لسماء انت في عينيها أبهى سناءً من زهرتها واسطع ضياءً من ثريّاها

ولا تعجبي ياذات الشعور الرقيق اذا رأيت الشعراء يتنافسون في اطرائك والثناء على ادبك الجم في هذه الحفلة فقد اعجبوا بما اتحفهم به فوادك الحساس ويراعك الساحر السيال وما رسمته مخيلتك الشفافة من الصور البديعة التي يعجز عنها أمهر المصورين وابدع الرسامين

ولا يأخذك الدهش اذا شاهدت الخطباء يتسابقون في ميدان تقريظك فان المعاني السامية التي ابتدعها ذهنك الثاقب والحقائق الراهنة التي نشرتها في مؤلفاتك الخالدة والخطب الشائقة التى شنفت بها الآذان قد كان لها بين امراء المنابر اجمل موقع فنشطوا اليوم ينثرون عليك مانثرته بالامس وهو انفس من النثار في

خطاب الاميرة نجلا ابي اللمع

ماتألق سناء ادبك الساطع في سماء لبنان يانابغة الشرق ومجلى فخار رجاله وسيداته حتى سرت في عروقه حميا البشر وهب يرحب بك محتفياً بمدار كك الواسعة ومعارفك السامية وشمائلك الباهرة ومغبطاً أرضاً انبتتك فاريت العالم كيف يكون النبوغ اللبناني وكيف تسطع العبقرية من شعاب الجبال وكيف تنشأ النبوات من بين الادغال . ومهما غالى اللبنانيون في تكريمك وتناهوا في اطرائك فان ذلك يسير في جنب ما احرزت لهم في المهجر من طيب الاحدوثة ونباهة الذكر وما اصبحوا عليه في اعين الاجانب من علو المقام ورفعة القدر ولاسيما بنات جنسك فلقد فسحت لهن المجال للتباهي بتفوقك النادر في كل منتدى ومحضر والاعجاب بما تفردت بهِ مما كان اثمن لؤلؤة في نحور ربات الحجال ولا ريب ان المدى الذي بلغته من بسطة العلم والتفنن في ضروب الانشاء سيكون اقوى مهماز لهن على اتباع آثارك والجري في مضمارك وسوف يكون لك في النهضة النسائية اليد الطولى اذ انت اسها المتين وعمادها الوطيد

سبق للبنانيين والسوريين ان عقدوا الحفلات التكريمية لمن نبغ من ابناء وطنهم ورفع مكانتهم في صدور الاغيار وكان

الحركتان الصالحتان

خطاب الآنسة مي في حفلة عصبة الادب

نحن في عصر تلخصت فيه نتائج الماضي وتهيأت عنده مقدمات المستقبل . نحن في عصر تجمعت فيه جهود ستة الاف سنة . وتلاطمت في جوهِ انفعالات المراتب وأطماع الامم . عصران اثنان لهما بعصرنا شبهٌ وهما : عصر انهيار الدولة الرومانية في مطلع القرون الوسطى ؛ وعصر النهضة والتجدد في ختام هاتيك القرون

على انهما صورتان مصغرتان للمأساة الخطيرة الممثلة على مسرح هذه الايام ؛ والتي لم تكن الحرب الكبرى الا فصلًا من فصولها المشتبكة

اليوم نرى النفس العامة كنفوس الافراد ؛ قلقة مضطربة لاتستقر ولا تتجلد ، بل تشرح أوجاعها ؛ وتضخم عللها فتصرخ تارة وتتهدد أخرى طالبة الشفاء والتآسي . اليوم يخرج بنو الانسان على قرارات الاحقاب ممزقين مارثّ من النظم ؛ سابكين نظماً

حفلات العرس

ولا يدركك العجب اذا سمعت الثناء الابلغ من افواه الصحافيين الالباء فلكم جبرتِ صفحات صحفهم بمقالاتك الطنانة ونفثات يراعتك الخلابة

يعز على هذه البلاد وقد انجبتك يامي ان تتلألئين في غير سمائها وان تروي من علومك غير بقاعها ورياضها فهي احق بآدابك الرائعة واجدر بفرائدك اليتيمة . انبتك لبنان الجبل الجميل واحتضنك واديه المهيب فهجرت الوطن تاركة ارض اجدادك حيث كانت روحك تداعب سحب الجبل البيضاء وامواج المتوسط الزرقاء فلاتطيلي امد غربتك عنها يامي فانها اليك لاحوج من سواها . ومدافن شهداء بلادك الداثرة بحاجة الى مثل دموعك النقية لتغسل لطخة العار التي لطخها في وجه الانسانية ظلم الانسان . فدنا بروحك الكبيرة وان كنت نائية عنا . وحيِّ عنا مصر العزيزة والقي على تلك الربوع بسمة هي عاطفة الحب والاحترام وسلام عليك يانابغة الشرق والف تحية

***

ولكن احكموا عليّ بما شئتم ؛ فذلك لايثنيني عن المصارحة باني في هذه الجلسة قد انعتقت من قيود الشخصية الفردية . فكبرت ونموت وتضاعفت متعددة متكاثرة حتى صرت النوع النسائي كله في أمس الشرق ويومه . عندئذ لم أعد ارى الفرد الواحد في الخطيب منكم والشاعر ولم يعد الكلام موجهاً الى شخص معيّن . بل خيّل اليّ ان حجاب الدهور قد أزيح عن رجال الشرق في الماضي والحاضر ؛ وتصوّرتهم يتوحدون والمتكلم مستغفرين عمّا جنوا ضد المرأة وضد نفوسهم وضدّ الوطن سهواً وجهلاً . والرجل الذي عهدناه سيداً ظالماً جائراً مستهتراً — كما يقول الوشاة — انقلب ذلك الصديق الجاد المثقف . ويده التي اعتادت اشارة الضغط والسحق والاستخفاف - كما يقول الوشاة — انقلبت فجأة يداً كريمة ترسم تلك الاشارة الانيقة العطوفة المثيرة الحماسة اشارة ضفر اكليل العز لرأس الفتاة الشرقية . ولئن رأيت في تلك الاشارة تكفيراً عن الماضي فقد رأيت فيها كذلك وعداً بمتابعة تعضيد المرأة في سبل النور والعرفان

بدت تلك الصورة وتلك الاشارة فانتعشت نفسي وتسامى معنى تأثري ؛ وتحوّل الخجل عندي كرامة وقبولاً . فرفعت عينيّ احدق في الخطيب والشاعر ؛ وكأن المرأة المظلومة منذ ابتداء الدهور

اخرى في قوالب عصرية ؛ موجدين نظماً جديداً تتفق مع الحاجات والمطالب . وفي وسط هذا الاصطخاب ؛ وذاك التنازع وذيّاك التمزق حيث يختلط العز بالهوان والاخلاص بالتبجح — نتبين حركتين صالحتين ؛ حرّف المغالون منهما ايضاً المعنى والمرمى ؛ ولكنهما في حدودهما الطبيعية نبيلتان ؛ مشروعتان ، جوهريتان لأن احداهما قوام العائلة والاخرى قوم العمران

وبلادنا التي تلقت من الالوهية كلمة الحب الاولى فبزغ الوحي فيها شمساً توزعت اشعتها على العالم ، بلادنا التي حفظ ابناؤها من أثر ذلك الوحي بداهة تدرك كل مظهر وتكتنه كل معنى — اقول بافتخار اني رأيت هاتين الحركتين في بلادنا في أحوال شتى خلال هذا الصيف . ولكنني ما رأيتهما أتمّ وأوضح منهما اليوم في بيروت قريحة سوريا الجوادة وهمتها الناهضة الجامعة بين قوة الامواج الملاينة وقوة الجبل المنيعة

أما احدى هاتين الحركتين فهي تحرير المرأة الذي هو قوام النهضة العائلية

تعلمون أيها السادة والسيدات ؛ ان من مسراتنا الكبرى الحصول على موافقة امثالنا والفوز باستحسانهم ورضاهم . على اننا نخجل كثيراً عندما نسمع منهم كلمات الثناء والاطراء . .

الضيق يوم كانت تحسب البلاد كل العالم ؛ واهل البلاد الشعب المصطفى الاوحد . ولقد كانت في معاهنا الواسع عاطفة رحيبة امتازت بها النفوس الحرة في كل زمان ومكان . غير انها شاعت وصارت لكل أمة ناهضة منذ قرن وبعض قرن بعد ان هدم بنو الفرنسيس جدران البستيل ناشرين على حدود الوطنيات اعلام الثورة الفكرية ؛ وجاعلين الاقطار تتجاوب اصداؤها بتلك الآيات الثلاث المعلنة حقوق الانسان وهي —من ذا لا يعرفها ؟ —حرية مساواة ؛ اخاء .

ونحن الجيل الجديد في الشرق ، المدرك علاقة الشعوب بالشعوب واشتباك المنافع بالمنافع ، نحن الجيل الجديد المستنير ؛ المتلظى ؛ المغتبط بالعيشة في هذا العصر المتفرد بصعابه وممكناته — نحن اتسعت منَّا الوطنية وتكيفت فاذا بها مع ذلك الحب العنيد القديم قد فتحت صدرها لتشعع الانوار الجديدة

وطنيتنا الحديثة طبيعية ؛ لان الروح اذا هي تاقت الى ملأ اعلى لا يحدُّه زمان او مكان فالجسد يحب الحدود ويشوق الى الجدران ويتعلق بالامكنة والازمنة بتذكاراته وجهوده واحزانه . وطنيتنا الحديثة عائلية لانها تريد ان تمكن المرأة من انماء مداركها وتأدية وظيفتها ليس بمقاتلة الرجل ومكافحته بل بتعضيده

كانت تقول له بسكوتي : « ايها الرجل ؛ لقد احسنت ! احسنت لانك كفّرت، احسنت لانك انصفت ! »

ايها السادة الرجال؛ لقد سمعتم هنا اخواتي الاديبات السوريات فعلمتم ان بيانهن العذب وعواطفهن الرقيقة ؛ وافكارهن النيرة تحفظ مكانتها قرب بيانكم الالمعي الجارف وافكاركم القديرة المستأثرة . ألا فليكن لكم من رقيهن ميثاق وقدوة جميلة ! اذكروا هذا عندما تعودون الى منازلكم وانظروا الى المرأة العائشــة في محيطكم وتحت نفوذكم ؛ انظروا الى الام، الى الزوجة؛ الى الاخت الى الابنة نظرة جديدة — نظرة من انتبه لواجب طالما اهمله . ولا تقصروا التشجيع عليّ انا ابنتكم المارة بينكم مروراً سريعاً بل ظلوا عاملين على تحرير المرأة التحرير المنشود حتى تسمعوا من نفوسكم تلك الشهادة البديعة : «ايها الرجل لقد احسنت ! احسنت لانك كفّرت، احسنت لانك انصفت ! »

***

اذا كانت الحركة الاولى هي تحرير المرأة فالحركة الاخرى هي تحرير الوطنية

الوطنية ! ياللكلمة الساحرة المنبهة كل فكر ؛ الملهبة كل قلب ؛ الشاحذة كل عزيمة ! لقد كانت دواماً عظيمة حتى في معناها

أن من ادى واجبه في محيطه كان مؤدياً ما عليه نحو الانسانية من واجب عام

فان انا شكرت لعصبة الادب غيرتها على الادب واحتفاءها بي فاني اشكر كذلك جميع الذين ساعدوها على جعل هذا الاجتماع مظهراً فخماً من مظاهر الرقي الفكري والقومي في بيروت . اني سعيدة بأن ارى في هـذا النادي اخواني واخواتي من مختلف المذاهب والطوائف. سعيدة باستماع هذه الخطب الجميلة والقصائد العصماء من ذوي الفضل العميم على الادب العربي والنهضة الحديثة. سعيدة بأن اكون الليلة موضوع عطفكم العذب المنوّع ؛ الذي يكاد لسعته يتعداني شاملاً اهل الفكر والادب من اللبنانيين والسوريين الغائبين

ان عطفكم هذا يحيط بي مؤثراً كالطرب؛ مشوقـاً كالامل ؛ مؤاسياً كالذكرى ؛ قوياً كالشباب ولكنه ايضاً آمر كالواجب صارم كالمسؤولية

سأعود الى موطني المصري العزيز وهذه الساعة حيّة فيّ . حتى اذا اهتاجني اسم لبنان فذكرت جمال السحب فيه عند الغروب وجلال الجبال في زرقة الشفق ؛ وروعة البحر تحت الظلام — حتى اذا اهتاجني ذلك الحنين الوجيع اليه رأيتني بينكم مرة أخرى

ومساعدته . وطنيتنا الحديثة عملية نشيطة تنكر التواكل والاستسلام مقدرة الاتكال على النفس واتقان العمل كائناً ما كان. وطنيتنا الحديثة عصرية لانها تساير حركة التقدم في العالم ومع محافظتها على المحامد العظامية تحتضن كل جديد مفيد منعشة عندها المسابقة والابتكار . وطنيتنا الحديثة اخوية ودودة لان مساوئ التحزب والانقسام نخرت عظامنا ففهمنا اخيراً ان عبادة الفرد لباريه لاتحول دون التفاهم مع جاره . وطنيتنا الحديثة رصينة مقتصدة لاتطلب من ابنائها التضحية على غير هدى بل تريد التوفيق ما امكن بين مصالح الافراد ومصالح الجمهور لان البلاد لاتكون سعيدة بشقاء ابنائها . وطنيتنا الحديثة مقدسة لانها ارث الجدود والموتى؛ حارة لانها عجنت بدما الشهداء واختمرت بأنفاسهم الاخيرة. متينة لانها تمسكت اجزاؤها بآلام الاحياء ونبضات قلوبهم . وطنيتنا الحديثة روحانية لانها شرقية تعلم ان الفرد الواحد يلمس الانسانية من جميع اطرافها وان من خاطب قومه بذلك الاخلاص المنبثق من اغوار روحه فقد خاطب سكان البسيطة بأسرها . الا انها تعلم كذلك ان من نصب نفسه لخدمة الناس جميعاً اوشك ان لايخدم احداً . لذلك نحن نعزز القومية التي تجعل المرء قوة فاعلة في جانب من الجوانب، نعزز القومية عالمين

التي ستعمل والرجل يدا بيد في سبيل تعزيز الانسانية

وموضوع تحرير المرأة بحر واسع لانرى من الحكمة الخوض فيه الان بل نترك ذلك العهد يأتي والزمن قريب

اما الوطنية فمجالها اوسع ونحن من ارباب الدعوة فيها فلاخير في شعب لا يدافع عن وطنيته ولا يسعى لاعزازها

« خطاب (مي) درس في الاجتماع والوطنية لن ينساه الكثيرون فان طريقة القائه كانت روحانية سماوية تأخذ باللب وتستهوي الافئدة

« الجامعة السورية»

« انني ما تأثرت من خطاب ولا ملكني كلام خطيب ، كما تأثرت من خطاب مي وكما ملكني كلامها ، انها لم تكن على المنبر تلك الفتاة الضعيفة اللطيفة الشاعرة بعجز المرأة ، خصوصاً في هذا الشرق ، امام قوة الرجل بل كانت الشرق الناهض باسره وقد تمثل امام سامعيه بشخص فتاة تبرهن للعالم ان المرأة وجدت لتكون لها حقوق الرجل وواجباته

وقد تكلمت نصف ساعة ورغماً عن الزكام المؤلم الذي كان ملماً بها فقد تمنى الحاضرون لو تتكلم ساعات لانها كانت أخطب من وقف على المنبر — معنىً والقاء وتعبيراً — بلا جدال »

« المعرض »

« القت خطاباً بديعاً لفظاً ومعنىً كان له تأثير السحر في الالباب »

« الهدية »

« وكان مسك الختام خطاب للمحتفى بها تلاعبت فيه بالالباب شاءت بلاغتها وسحرها الحلال . » «الوطن»

وامامي السبيل التي عليّ ان اسلكها — اذن اسأهتف بما يهتف به كل واحد منا ساعة اليقظة والتحمس للعمل قائلة : وطني يحتاج اليّ احتياجـه الى كل فرد من ابنائه وبناته . وطني يحتاج اليّ وعيون اخواني ترعاني. اريد ان ابعث حبي لابناء وطني لهيباً. اريد ان اسكب نفسي في نفوس ابناء وطني كوثراً. اريد ان انسى صغائر الحياة . وظلم الحياة . وقيود الحياة لأرتفع فوق ذاتي فاضاهي ابناء وطني رفعة وجمـالاً . اريد ان اتعب فاتقن عملي واسير وابناء وطني في سبيل التقدم خطوة. اريد ان احيا — اريد ان احيا رغم الجراح والآلام لاكون في حياة وطني الناهض حياة

الخطاب

— في نظر بعض الصحف المحلية —

« القت خطاباً كان له وقعه المنتظر في النفوس » «البرق»

« ووقفت الآنسة « مي » وكان الليل قد مد سرداقه على الجمع الذي انصت لسماع كلمة النابغة

قرأت « مي » في كتابها فاعجبت للفكر الجميل يتجسد في الجسم الفتي

ورأيت « مي » تقف خطيباً فاعجبت بالروح الناهضة الثائرة

وكان في خطاب « مي » روحين ، روح تحرير المرأة وروح الوطنية وما اجمل واسمى ماقالته :

من اننا لانسعى بدعوتنا هذه الى اغتصاب حق الرجل واننا نريد تعزيز المرأة

افتتح الحفلة فيلكس أفندي فارس بالنيابة عن رئاسة عصبة الادب فرحب بمي وبالجمهور بفصاحته المشهورة واخذ يقدم الخطباء فتكلم كل من جميل بك بيهم وشبلي بك ملاط وجورج أفندي بازوالياس أفندي فياض والاميرة نجلا ابي اللمع وميشال أفندي ابي شهلا وعبد الحليم أفندي اللاذقي الذي تلا خطاباً أرسلته الآنسة عفيفه صعب صاحبة مجلة الخدر وأمين بك نخله والاستاذ راجي الراعي ثم وقفت السيدة سلمى صائغ والقت خطاباً ألمعت فيه الى الحجاب ووجوب المرأة المسلمة لاختها المسيحية في النهضة النسائية

وكان ختام الحفلة للمحتفى بها فالقت خطاباً جمع الى البلاغة فلسفة الاجتماع وقوة المنطق ودل على ان الآنسة (مي) اعتلت عرشها في دولة الادب عن جدارة واستحقاق

وبعدها جلس رهط من الجمهور الى مائدة الحلوى والمشروبات تكلم عليها عدد من الادباء ثم خرج الجميع يلهجون بالثناء على مي وعلى عصبة الادب وعلى أعضاء النادي الادبي البيروتي

وقد كان لهذه الحفلة ميزة على ما تقدمها من الحفلات بوجود سرب من السيدات المسلمات أتين ليشاركن بالاحتفاء باختهن وهذه خطوة كبرى في نهضة المرأة السورية ودليل على أن المرأة

حفلة (مي)

كانت الحفلة التي اقامتها عصبة الادب لتكريم الآنسة مي من ابهى الحفلات الادبية التي شهدتها بيروت ؛ فقد جمعت الى حسن الترتيب بلاغة وتفنن الخطباء والشعراء واجماع الفئة الناهضة التي هي روح الامة على تكريم النبوغ اللبناني الذي تمثل بشخص مي

غص النادي الادبي بالحضور من علية القوم وفي مقدمتهم حضرة القومندان ترابو وحبيب باشا السعد رئيس المجلس النيابي ومدير الداخلية ورئيس محكمة التمييز ورئيس محكمة الجنايات ومتصرف اللواء الجنوبي وغيرهم كثير من رجال الحكومة وكانت فرقة الاوانس الكشافة تلميذات مدرسة الانسة كساب يستقبلن الوافدين بلطف وبشاشة. وما أقبلت الآنسة مي يحيط بها والداها ورهط من الادباء حتى علا التصفيق فاستقبلها القومندان ترابو ومن حوله فحيت الجمهور وجلست عن يمين الحاكم

كلمة سيدة اديبة بعد حفلة مي :

عدت الى منزلي البارحة بعد ما رأيت وسمعت

وما ابهى ما رأيت والذ ما سمعت .

وكانت ميٌّ حديث السمر .

وكانت صغيرتي الناعمة بالقرب مني تُصغي الى حديثي ؛ وكلما مرَّ اسم « مي » ترنو اليَّ بعين الحنو ؛ وتراجع تارة امي ؛ وطوراً «مي» كانها فهمت وهي لا تحسن التعبير ان لفظة « مي » هي مشتقة من لفظة امي ؛ تلك اللفظة العذبة على قلوب الاطفال

وكانى بها في نظراتها الحادة تقول : امي مالي اهتز طرباً كلما طرقت اذني هذه اللفظة الصغيرة الجميلة التي تقارب لفظة امي . فهل يُعنى بها انت ام هي وحيٌ آخر هبط عليَّ من السماء تختلج نفسي لدى سماعه ؛ وأشعر بارتياح يملاء قلبي ودماغي ؛ فما اسعدني اذاً بامي .

كلاَّ يا ابنتي فالفرق مثل الصبح ظاهر — ولكن « مي » هي بالحقيقة أمك وامي وامُّ الشرق باسره لانها ام النهضة الحديثة واذا ما رجونا يوماً للشرق مستقبلاً باهراً فالمستقبل الباهر هو من النهضة النسائية التي تدير دفتها امثال « مي »

وما الفرق يا ابنتي بين لفظتي امي و« مي » الا فرق خطي

المسلمة لاتلبث طويلًا حتى تجاري أختها المسيحية وتسير واياها جنباً الى جنب لرفع شأن الادب واعلاء مناره

فحياك الله يامي ؛ وحيا قوماً رأوا فيك النبوغ فاكرموه . فان اخواتك ينظرن اليك باعجاب وشكر لجهادك في سبيل الادب وأخوانك يؤملون أن تكوني قدوة للمرأة السورية في تعزيز شأن الوطن

« الرسالة المصورة »

***

مي

— في المدرسة السورية الاهلية —

من ياترى لم يسمع بذلك الهتاف الجميل الذي رددت صداه جرائدنا المحلية واعادت قراره اللطيف؟ بل من لم يشعر بتلك الاهتزازات السارة التي ترنحت منها العواطف وطابت لها النفوس؟ انه ترنح حبور بتمجيد النبوغ . انه ترنم هتاف الانتصار للنهضة الحديثة الدالة على حياة جديدة وذوق لطيف . تعددت حفلات التكريم . ولكن ليست لتكريم ذوي السطوة والنفوذ ذلك التكريم الريائي . ولا للاحتفاء بارباب السلطة تزلفاً اليهم وتودداً لنيل مآرب في النفوس تزول حالما يسقطون وتتحول الى مذمة عندما يهبطون

بل تعددت الحفلات واجمعت القلوب،قلوب صفوة عاصمة لبنان الكبير على وجوب اقامتها احتفاء بالنبوغ .نبوغ الانسة مي ربة البلاغة

ان تلك الحفلات وذلك الهتاف اهاجا بي عاطفتي الاعجاب والسرور معاً اعجابي بمواطنيّ الكرام وقد احلّوا الشيء في محله

صغير تلك الالف التي هي بمثابة عصا التاديب بيد الام الشرقية حذفتها « مي » المصلحة من سفر الوجود ؛ حذفتها « مي » الساحرة لتعلم الناشئة الجديدة ان التربية الحقة ؛ والادب الحديث لا يقومان بالعصا والتهديد بل برقة المنطق وعذوبة الالفاظ كالفاظ «مي» الخلابة.

لقد مجدك الخطباء يا «مي» واظهروا ما لك من فضل وما فيك من نبوغ ؛ وما ابدعت من آيات بينات ؛ واما انا التي اختمرت روحي بكلمة من كلمات « مي الجديدة » كما دعتها الكاتبة سلمى بالامس انا التي ثملت. جوارحي بكوثرها واهتزت مشاعري بموسيقاها ؛ فايقظت كوامن الشعور والاحساس ؛ فاني اذا ما تكلمت الان اتكلم لاظهر لها فضلاً جديداً سيعم ناشئة سوريا ولبنان الا وهو أن كلّ ام رأت ما رأيت وسمعت ما سمعت باتت مثقلة بواجب حازم يحتم عليها ان تُعد للمستقبل فتاة فيها نسمة من روحانية « مي »

ويا لحلاوة وعظمة بلاد تتعدد فيها امهات واخوات نُفخت فيهن نسمة من حياة مي

في ٢٣ ت ١ سنة ١٩٢٢ — الكسندرا يني غنطوس

***

في ٢٤ ت ١ وقدمت مع حضرة والدتها يصحبها وفد من كشافة المدرسة فاستقبلتهما الرئيسة بما فطرت عليه من اللطف والايناس وبعد التعارف ادخلتها الى قاعة المدرسة ومر من امامها التلامذة وفرق الكشافة بالبدلات الرسمية بغاية النظام وهتفوا لها هتاف الترحاب ثم انشدوا نشيد الكشافة مع بعض الاناشيد الوطنية والهزلية وبعده قدمت بعض التلميذات خطباً انموذجاً لما يجري في المدرسة فسرت كثيراً ولما كان الكل تائقين لاستماع صوتها فعلى رغم بعض الانحراف الملم بها قامت وفاهت بكلمات عذبة هذه خلاصتها :

«اخواتي واخوتي الصغار . اني بملء السرور اقف امامكم الآن . أقف هذا الموقف وانا اشعر فيه بخشوع اكثر مما في المواقف الكبيرة الرسمية . اقف بسرور لاني في مدرسة وطنية حرة تنشىء تلاميذها على محبة العلم وتربي الروح الوطنية في قلوب الاحداث . اقف بخشوع وتهيب لانكم محط آمال البلاد ومحققوا اماني محبيها الذين يتوقعون لها مستقبلاً مجيداً . وأنحني باحترام امام رئيسة هذه المدرسة المجاهدة مع مساعداتها في سبيل التعليم

ان التعليم عمل شاق يحتاج الى استعداد واختبار وجلد وذكاء حاد . انه لجهاد يحتاج الى بسالة الصناديد . فالمعلمات

وسروري منهم وقد عرفوا متى يكرمون الادباء واهل النبوغ منهم تقديرا لقدرهم وتنشيطاً لامثالهم

وهذا ما اعنيه بالنهضة ذات الحياة الجديدة اي اكرام ليس بعد فوات الاوان ومرور الزمان كقول الشاعر

لا يعرف القوم الفتى الا متى

مات فيعطى حقهُ تحت البلى

اذ كم من نوابغ الشعراء وادباء وعلماء لم يروا نظرة عطف من ابناء جيلهم قضوا ولم يدر بهم احد . نعم حبّذت ذلك التكريم لانهُ موجَّه الى ضيف عزيز والشرقي متصف باكرامهِ لضيوفهِ وتفانيه في اظهار الاحتفاء بهم . اما الان فأن اكرم فاكرامه موجَّه لمن هي ممثلة مقام المرأة وقد رفعته . لمي الحاملة عَلَم الانتصار في مقدمة هذا الموكب السائر الى الامام

وقد انتهزت الانسة ماري كساب رئيسة المدرسة السورية الاهلية الممثلة نبوغ الشرقية الناهضة والعاملة معاً فرصة وجود مي في بيروت ودعتها لزيارة المدرسة اتباعاً لخطتها السائرة عليها في انتقاء كل ما يعود بالفائدة على التلامذة لانها رأت في مي المثال الحسن لبنات هذا العصر اللواتي اصبحن في حاجة لاستنشاق النسيم المنبعث منه روح جديدة نشيطة . فلبت الدعوة

نعم ونقطف من حدائق ابداعك الفكري بعض الازاهر الجميلة العابقة بشذاها الزكي لنضم منها باقة حب واخلاص جميلين نتحفك بها اقراراً بفضلك وترحيباً بك وشكراً لزيارتك هذه الميمونه ايتها النابغة ربة الوصف والابداع

فان عجزنا عن مباراة الشعراء في نظم المنظومات الفائقة او قصرنا في ميدان الخطباء عن نسج الخطب الشائقــة الجديرة بمقامك السامي فما ذلك الا لانه لا ياتي الا بنذر يسير من وصف حقيقة ما نشعر به من نحوك من فائق الاجلال ايتها الكبيرة . وايضاً اقتصاراً لعادة تسلطت علينا نحن الشرقيين وهي كثرة الاقوال وقلة الاعمال ونحن في زمن جهاد ومعترك سبــاق وفي عصر نحن احوج فيهِ الى العمل منه الى الكلام . لان الارتقاء الى قمة العظمة الحقيقية لا يكون الا للعامل المجد

ولكن لي كلمة يامي . انه لا غرو اذا اهتزت المنابر ورفعت الاقلام رؤوسها وقد ابتسمت غادتنا الذابلة المتالمة ؛ لغة بلادنا الفصحى بعد ان ذوت نضارتها وأعرض عنها ابناؤها واصبحت عرضة لشن غارات الفاتحين وهدفا لعابري السبيل . فانك اخذت بيدها وشددت أزرها لئلا تعثر وتسقط في هوة الاضمحــلال والملاشاة . فانعشت فؤادها المكلوم بقطرات حبــك وودك

جنديات (اذا صح ان نؤنث كلمة جندي لان نظام التعليم نظام تجند) قائمات لنصرة الحق والذود عنه لاعلاء شأن العلم ورفع منار الادب . فشغلهن جهاد يستلزم صبر الشهداء واحتمال القديسين فهن قديسات مجاهدات

انني احببت هذه المدرسة الوطنية ونظامها الجميل . ولقد سرني ما اظهره الجميع من حب التفاني في خدمتها . فلا انسى ما لقيته هنا من كبير الحفاوة . وسيبقى ذكركم في قلبي وعلى لساني وصدى خطواتكم تظل ترن في اذني مع انغامكم الشجية المطربة

وكأن غرض هذا الصدى وذلك الذكر هو تجديد ألوعود التي ينتظر اهل البلاد تحقيقها من هذا المعهد الاهلي الفريد »

ثم وقفت كاتبة هذه السطور وتلت بالنيابة عن هيئة المدرسة كلمات الترحيب والثناء على الزائرة الكريمه منوهة بذكر مآثرها الغراء ولا سيما بتعزيز اللغة العربية وهذا هو نص الخطاب .

مي يااميرة البيان . ها اننا نلتقط درر الفاظك الغوالي التى تفاخر بتناسقها الثريا . ونجمع جواهر معانيك التي نثرتها معجزات قلمك الساحر لننظم من ذلك عقدا منضداً نرفعه تقدمة ذكر مجيد اعجاباً بسحر بيانك

مي في زحلة

زارت الانسة « مي » مدينة زحله عروس لبنان الجميلة فامضت فيها ردح من الزمن كانت فيه موضع الاجلال والاكرام وواسطة عقد حفلات الادباء على ضفاف البردوني وانا ننشر فيما يلي بعض ما اتصل بنا من الاقوال التي قيلت فيها :

كلمة الدكتور ابراهيم شحاده :

سيداتي وسادتي

أرى نفسي واقفاً وقد خالفت القول المأثور « أعطي السيف ضرّابه والقوس باريها » فبدلا من ان اكون جالساً صامتاً اصغى لمن تصغي اليها المئات والالوف من بنات جنسها معجبين بجميل بيانها وفصاحة لسانها وقفت خطيباً ولكن اين لي ذلك البيان وطلاقة ذلك اللسان . فما وقفت لهذا ولا لذاك ولا لاتلو عليكم بعضاً من سحر بيانها او جميل آياتها أو شيئاً من غايتها وفلسفتها في الحياة ومن منكم لم يطالع آياتها ولم يعجب بسحر بيانها وغايتها وفلسفتها . فوقوفي الان ليس الا لاظهار ما يكنه صدري من الاعجاب بها . فأهلًا وسهلًا بالنبوغ . اهلًا بمن وقفت حياتها

وكشفت عن محياها الوسيم عجمة برقعها . واظهرت للملأ ما فيها من ملاحة وجمال

فكيف لا تمجدك فتياتها ؟

لقد نظرت الى الاعماق فسبرت غور الحياة وعرفت غايتها واخرجت درر الحقائق من بحر الغرور. غرور الجهالة والادعاء ونثرتها للملا بايضاحك المستوفي لمعنى الحياة او المساواة . فلمَ لا تمدحك الهيئة الاجتماعية المنصفة ؟. ألست بنفثات يراعك السيال عززت بنات جنسك ورفعت قدر المرأة الشرقية بمحاضراتك البديعة وخطبك الرائعة فقلدت جيد هذا العصر ضروباً من محاسن ابداعك وتفننك فاخرست السنة الجهلاء وزينت بتحف آثار كتاباتك الشائقة صدور محافل العلم والادب

عرفتُ فضلك مما فيك من ثمر
ياغصن فضل بدا من اطيب الشجر

فسلام عليك يامي وحياك الله واحياك يازينة النساء وفخرهنّ .

هذه تحية مدرسة وطنية تأمل ان تحفظي لها في زاوية افكارك ذكرى صغيرة فتكوني لها نصيرة لانك وطنية حرة .

«مريم زكا»

كلمة الاديب جوزف ابراهيم ابو خاطر :

سمعتهم يتغنون بذكائها الحاد وذهنها الوقاد ونبوغها العجيب فظننت القول مبالغ فيه . فان هي الا احدى فتياتنا الشرقيات خصها الله ببعض المواهب ووجدت في بيئة صالحة لاستثمارها فعرفت كيف تستخدمها ونالت تلك الشهرة الواسعة .

ثم قرأت لها بعض النفثات . فاطربتني واكبرت تلك الروح العالية التي تكاد تلمس من خلال سطورها . وتاقت مني النفس الى سماع حديثها الى ان اتيح لي الاجتماع بها مراراً في الصيف الماضي في زحلة فاذا بي امام النبوغ المجسم والذكاء الغريب

فتاة حديثها السحر الحلال وكلامها عين البلاغة تلم بشتى المواضيع من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها وتناقشك فيها بطريقة خاصة واسلوب غريب فلا تلبث اياً كنت ان تعترف بعلو كعبها وقد سلبت عقلك ولبك وافحمتك ببيان بليغ وحجج قاطعة تدلي بها فتخال نفسك امام اشهر الفلاسفة والعلماء

سمعتها تناقش شبل دموس — ودموس نابغة في الشرق وتجادل جبر ضومط — وللاستاذ ضومط مقامه الكبير في عالم الادب . وتدخل واياهما في مواضيع وابحاث شتى فاطرقت مندهلاً وقلت :

وذكائها . جدها واجتهادها خدمة لبنات جنسها ومثلاً صالحاً وقدوة حسنة لهن . ومن ينكر ما للمرأة من التأثير الحسن في سبيل التقدم والعمران . فانها ليست أقل نبوغاً وذكاء من الرجل إن هي احسنت اخراج كنوزها الثمينة وجواهرها الكريمة

نعم أن هذا درس واحد من الدروس الكثيرة التي تمليها علينا روح « مي » وعظة القتها علينا من على منبر الجد والاجتهاد فلمثلها تحتاج سيداتنا اليوم ليؤلفن جيشاً جراراً به يرفعن ذلك الستار ويكتشفن كنوزهن وجواهرهن ومن جدَّ وجد

لنا مواعيد جميلة في كتابنا المقدس لمن عمل الصالحات في أرضنا هذه اذ قيل من فاز بالحياة الابدية وبالاخرة فانه قد فاز بحياة ابدية ازلية في السماء بين الملائكة والقديسين منشدين اغاني وأناشيد روحية جميلة . فان كان هذا جزاء من عمل الصالحات فاجمل شيء نقدمه لضيفتنا الكريمة هي اناشيد واغاني موقعة على البيانو مرددين جميعاً فلتحيي ميّ فلتحيي الكاتبة المشهورة ؛ فلتحيي نابغة السيدات في الشرق

***

***

وهذاما قاله الخواجا نقولا زهير صديق « المرأة الجديدة » في الآنسة « مي » يوم رآها لاول مرة على ضفاف البردوني في زحله والشعر من النوع المعروف « بالقرادي » :

البردوني ومي زياده — خذيهن مني شهادي
وجودك عامية زحله — البحر الزاخر وزيادي

وجودك عامية زحله — تا اسمع لفظك مستحلي
لفظك احلى من الحلى — اسمحي لي بزوادي

من عذوبة الفاظك — بتتغذى ورود رياضك
وسهم ال ترميه لحاظك — كان سبب استشهادي

عدت حييت من كلامك — وزدتيني من انعامك
وتجلى في قوامك — خطاب ال قلتيه بالنادي

خطاب النادي البيروتي — ادهشني وزاد سكوتي
عيشي انشاء الله ماتموتي — دمت فخر البادي

***

واستكبر الاخبـار قبل لقاءه ۞ فلما التقينا صدق الخبر الخبر

تلك هي مي مثال الذكاء اللبناني والنبوغ السوري . تلك هي مي صاحبة كتاب المساواة وابتسامات ودموع وكلمات واشارات وغيرها من الورود التي تزين اللغة والاداب العربية.

تلك هي مي التي اصبح اسمها في الشرق اشهر من نار على علم . التي قال فيها بالامس شاعرنا الملاط على ذكر لبنان في اول ايلول :

لو لم يكن مهبط الوحي الذي نزلت ۞ من الجبال عليه آي باريه
ما رفرفت روح «مي» فوق قمته ۞ و رنحت عطف غيلان مغانيه

والتي خلبت لب النابغة دموس فقام ينشدها :

أانت انس الى حواء منتسب ۞ ام انت وحي بهذا الشكل منسكب
جاوزت يامي حد القوم معرفة ۞ فكان دونك ما قالوا وما كتبوا
بل انت « بالاس » قد حلت مؤنثة ۞ فينا فنعم الذكا والاصل والحسب

***

سمعت مياً تقول : انا غريبة لا وطن لي !

وطنك يا مي هو لبنان الذي يتباهى بك وبامثالك من النابغات . بل انت مدعاة فخر الشرق اجمع فليهنأ بك.

***

اما وصف الحفلة فاننا نتركه لما ذكرته الصحف عنها وهذا ما قالته كل واحدة منها :

قالت الف باء في ١١ تشرين اول سنة ١٩٢٢

غص قصر البلور مساء اول أمس بالمدعوين إلى الحفلة التكريمية التي أقيمت للانسة « مي » فتكلم الخطباء الذين ذكرنا عنهم سابقاً (كانت الف باء نشرت قبلاً البرنامج)

وقد كانت حفلة حافلة بالأعيان والادباء فاستغرقت مدة ساعتين واختتمتها الانسة « مي » بخطاب أعادت فيه ذكرى فتوتها في دمشق وذلك بفصاحة لاتستغرب من النابغة وختمتها بالمقابلة بين الصورة التي كانت تتمثل لها بها دمشق فيما مضى والصورة التي ستتمثل لها فيما من الان وصاعداً بعد ان وقفت على ما وقفت عليه فيها ثم خرج الجميع يثنون على القائمين بتلك الحفلة الرائعة الخ ...

قالت المقتبس : ١٦ تشرين اول سنة ١٩٢٢

كانت الحفلة التكريمية التي أقامتها النوادي الدمشقية في قصر البلور للكاتبة الذائعة الصيت مي زياده جميلة افتتحتها السيدة روز شحفه بخطاب بديع المعنى واللفظ ذكرت فيه أسباب تكريم المشار اليها وتمنت ان تتحف النوادي بسحر كسحر مي

مي في دمشق

وصلت الآنسة مي الى دمشق يوم الاربعاء الواقع في ٤ تشرين الاول ونزلت في فندق فكتوريا وما انتشر خبر قدومها في المدينة حتى خف للسلام عليها كبار القوم واعيانهم وادباؤهم

وقد رأت الاندية الادبية الدمشقية اقامة حفلة تكريمية لها فاتحدت جميعها للقيام بواجب الادب الذي دفعها لتكريم النابغة العربية واقامت الحفلة في مسرح قصر البلور يوم الثلاثاء الواقع في ١٠ تشرين اول وهذا هو برنامج الاحتفال :

السيدة روز شحفه	باسم النادي النسائي
الدكتور مرشد خاطر	باسم النادي الادبي الماروني
خليل بك مردم بك	
الاديب انطون أشقر	باسم النادي الكاثوليكي
الدكتور توفيق قندلفت	باسم النادي الادبي
شفيق افندي معلوف	
فائز افندي الخوري	
حليم افندي دموس	
الانسة مي	(تختم الحفلة)

في اقامتها لتكريم الانسة مي النابغة الشرقيه على غاية ما يمكن من الاتقان والترتيب والنظام الامر الذي يدل على ميل الدمشقيين الغريزي للاحتفاء بالادباء وإعلاء شأن الادب

وقد تبارى الخطباء في إظهار ما تكنه قلوبهم من العطف الشديد على روح الادب الحقة التي تجلت في كتابات الانسة مي ومؤلفاتها وتمنى كل منهم لو نسجت فتياتنا على منوالها .

افتتحت الحفلة السيدة روز شجفه بخطاب جميل بينت فيه الاسباب التي دعت لتكريم نزيلة الفيحاء

ونهض على إثرها حضرة الدكتور مرشد افندي خاطر فالقى خطاباً يشهد لحضرته بطول الباع في فن الخطابه والالقاء مع جودة المعنى وانسجام العبارة

وتلاه عبد الله أفندي النجار فالقى قصيدة عصماء من نظم الشاعر الرقيق خليل بك مردم بك معتذراً عنه لان صوته لايمكنه من تلاوة قصيدته وقد شاء عبد الله أفندي أن لايحرم الحضور من كلمة جميلة كعادته على منابر الخطابة فاظهر سروره بالاشتراك بتكريم الانسة مي ولو بالصوت فقط فكان لكلماته هذه وقع حسن جداً في نفوس السامعين ثم بدأ بتلاوة قصيدة خليل بك .

يجمع شملها ويجعلها نادياً واحداً

ووقف على اثرها الدكتور مرشد افندي خاطر والقى خطاباً كان كسابق خطبه في الجودة ونهض بعده عبد الله افندي النجار معتذراً عن خليل بك مردم بك الذي لايمكنه صوته من تلاوة قصيدته وأبدى سروره للاشتراك بتكريم مي بصوته بكلمات غاية في الرقة وتلا بعد ذلك قصيدة الخليل التي اعجب الناس بالفاظها المنضدة أكثر من معانيها القليلة وجاء بعده انطون افندي اشقر والدكتور توفيق قندلفت بخطابين مطولين ثم تلا شفيق افندي معلوف قصيدة خلبت الالباب وبحث بعده فائز بك الخوري بحثاً مستفيضاً بما منح الشرع الاسلامي المرأة من الحقوق التي لم تكن لغيرها من نساء الغرب ثم استطرد من ذلك ان سبب تأخيرها ليست الشريعة بل عدم تربيتها وتعليمها وقابل الحضور هذا الخطاب بما يستحقه من الاستحسان ونهض بعده حليم أفندي دموس فأنشد قصيدة غراء استعاد الناس كثيراً من أبياتها وكان مسك الختام خطاب القته المحتفل بها جمع الى سمو المعاني رقة الالفاظ وحسن الالقاء

وقالت العمران : في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٢

كانت الحفلة التي اشتركت النوادي الادبية في الحاضرة

حديث الصحف

حول تكريم مي في دمشق

(١)

نكتب هذه السطور والحفلة لم ينتظم عقدها بعد فوصفها والحالة هذه لا ينتظر الا في عدد الغد . ولكن اندية دمشق وادباءها اوقفوا هذا النهار على الانسة مي فليس من شأن الصحافة اذن ان تصدر فيه عارية من ذكر هذه النابغة

قلت ان اندية دمشق وادباءه اوقفوا هذا النهار على الانسة مي وحقيقة القول ان احاديث دمشق من يوم وصول هذه الفتاة العجيبة هي موقوفة عليها سواء كان في حلقات الادباء ، او في كناس الاوانس ، او في مجتمعات العائلات ، حتى خيل لنا ان دمشق في موسم الورد وكلنا ذاك الحائك . وتفسير ذلك ان حائكاً في ايام المأمون كان يعمل ويشتغل العام كله لا يتعطل في عيد ولا في جمعة فاذا طلع الورد طوى عمله واغلق محله واخرج مدامه وطفق يغني طول نهاره ويقول

طاب الزمان وجاء الورد فاصطحبوا

مادام للورد ازهار وانوار

والقى بعد ذلك كل من الاديب انطون افندي اشقر والدكتور توفيق افندي قندلفت خطابين كان لهما وقع حسن لدى السامعين وتلاهما شفيق معلوف فالقى قصيدة جميلة سر بها الحضور وجاء بعده فائز بك اخوري فالقى خطاباً بحث فيه في اسباب تأخر المرأة فكان لها وقع حسن

ونهض بعد الجميع الشاعر الرقيق حليم افندي دموس فأنشد قصيدة جميلة المعنى حسنة السبك بديعة الالفاظ

وكان مسك ختام هذه الحفلة الادبية الشائقة خطاب انيق فاهت به الآنسة مي بما عرف عنها من البلاغة والفصاحة ورقة الالفاظ وحسن الالقاء

وهكذا انصرف الجميع يثنون على حضرة المحتفل بهم ثناءً مستطاباً

***

(٢)

لانقصد بهذه المقالة الموجزة ان نظهر تفوق الانسة (مي) ومميزاتها في عالم الادب فتلك ابحاث كانت موضوع كل خطيب من خطباء حفلة الامس حتى وفوها حقها فلم تعد بحاجة لمستزيد وانما نقصد الان ان نذكر شيئاً لم نسمعه في تلك الحفلة ولم يفطن خطباؤها اليه ؛ نريد ان نقول ان الانسة (مي) تحمل اليوم لواء اللغة العربية وتناضل عنها وتجاهد في رفع شأنها واعلاء مكانتها كما يجاهد غيرها من ادباء العرب واديباتها . اجل ان الانسة (مي) من اولئك الجنود الادباء المختلفي المذاهب الذين يدافعون عن هذه اللغة الشريفة لغة الاباء والجدود ؛ بل لغة الوطن . فلو لم يكن هناك من جامعة تجمع ابناء البلاد المختلفي المذاهب والاميال غير جامعة الدفاع عن هذه اللغة الشريفة ؛ وعن شعار العرب والعربية ؛ لو لم يكن هناك غير هذه الرابطة لتجمع اليها المسلم والمسيحي لكفى بها رابطة قوية لاتقدر السياسة ان تفصم منها عروة او تقطع منها حبلًا

ان الوطن لايعرف من ابنائه مسلماً او مسيحياً او يهودياً ؛ فهو اذن للمسلم والمسيحي واليهودي ؛ ولغة الوطن لاتحتكر لمذهب دون غيره ؛ فهي لجميع ابنائها مهما اختلفت

فلا يزال في طرب وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى موسم الورد عاد إلى عمله

إننا ولو شبهنا (مي) بالورد فليست الغاية من هذه العجالة ضفر اكاليل لها من هذه الزهرة فهي اولا في غنى عن وردنا بما حوته مكتبتها ووعاه أضبار اوراقها من ورود ثناء وتقريظ وردت عليها من فحول ادباء العرب والفرنجة وثانياً لان من سيقرؤنا يمكنه ان يسمع في هذا المساء ما سيقوله الخطباء عن المحتفل بها وماستقوله هي بنفسها فيحكم هو بنفسه

ان غايتنا من هذه العجالة تحصر بكلمة واحدة وهي الثناء على فكرة الذين قاموا بهذه الحفلة لانها في عرفنا حفلة تميزت بضرورتها عما اعتدنا ان نقيمه من الحفلات في بلادنا مدفوعين بعامل الانقياد لكل فرد خطر له ان يكرم صديقاً او ذا معرفة به دون ان نكون كلنا على بينة تامة من جهة استحقاق ذاك الشخص . واما هنا فالكلمة مجمعة على ان الفتاة مي التي رفعت شأن المرأة باجتهادها وشاركت الرجال بجهادها هي اهل لحفلة تشترك فيها رجال الامة العربية وفتياتها

الف باء

***

(٤)

وددت لو أكون اول من يرحب بالآنسة مي زيادة في الشام لولا اني كنت متغيبة عنها بدعوة من صديقتيَّ الكريمتين حرم الامير احمد مختار الجزائري وحرم شوكت بك اليوسف وقبل ان اركب القطار للعودة بحثت فيه عنها تعللاً بلقياها وقد عرفت بقرب موعد زيارتها الفيحاء من رسالة بعثت بها اليَّ واخرى كرم بها شبلي بك ملاط عليَّ. وحالما تناولت الرسالتين انبأت صديقاتي أعضاء النادي الادبي النسائي بالامر ورأينا الاحتفاء بها واجباً لانها تمتاز أولاً بكثرة مراسلة المجلات وثانياً لانها بلغت مستوى قصر عن بلوغه كثير من الادباء في سوريا حيث يقتصرون على ما تعلموه في المدارس الابتدائية لاهين بدرس المشاكل السياسية وتتبع حوادثها الى غير ذلك من الامور الزهيدة التي ليس فيها كبير عناء والتي أوصلت الادب في سوريا الى الحال الذي تراه وان مثل اجتهاد الآنسة مي ومواظبتها على الدرس حتى اليوم ليندر وجدانهِ بين الرجال فكيف بين النساء الا اني عزمت على أن أعني بالحفلة التكريمية بسبب ضيق مساحة نادينا وتعهدت أن أقيمها في منزلي « ولاسباب قاهرة » عدلنا عن ذلك ثم استطلعت طلع رأي الامير نسيب شهاب في ذلك حين جاء للتسليم

مذاهبهم واديانهم ؛ واننا عندما ننظر الى الانسة (مي) تصطف الى اخواتها المسلمات الاديبات العربيات للمدافعة عن هذه اللغة وعن عذوبتها وطلاوتها ، وعند ماننظر الي الادباء المسيحيين يتكاثفون مع اخوانهم المسلمين للدفاع عن هذه اللغة الشريفة ؛ عندما نرى كل ذلك نتأكد صدق هذه النظرية ونقول ان الدين لله والوطن للجميع والسلام

سوريا الجديدة

(٣)

اقامت اندية الادب في دمشق مساء امس حفلة تكريم للانسة مي زيادة الكاتبة الطائرة الصيت ولا بدع اذا عكف الأدباء على تكريم هذه الروح السامية فان من ابهى مظاهرها انها تشارك الطبيعة في اغانيها وابتسامتها

واذا ذكرنا في مثل هذا الموقف (مياً) ذكرنا معهـا عهد نسائنا الاول وكن حافلات الذهن بابهر لألأ الادب. فياليتهـا ايامنا الاولى تحمل الينا شيئاً من عبقها اللذفان في نفوسنا لصداء اضاءت بجانبه مباهج الحياة

فتى العرب

***

قدرها لايقصده ولا تريده واذا لم يكن الدافع الوحيد للكاتب أو البطل أو غيرهما مجرد خدمة الامة بتخفيف الشقاء عنها عن طريق اللذة بتحصيل العلوم وتقوية الملكات العقلية والادبية لن يبلغ مستوى رفيعاً ولكان ذاك التفوق عقيماً لا ترجى معه فائدة ولما بلغ من ذكرهن درجة ذاك العلاء

وكان حليم أفندي دموس في عداد الشعراء المجيدين وهو من لقبته الآنسة بشاعر الشباب وقد أنصفت لانــه من نوع الورد الذي يفتح ٣٦٥ مرة في العام

من الشعراء أيضاً خليل بك مردم بك رئيس جمعية الرابطة الادبية المغفور لها وهو من أسمى فتيان دمشق جاهاً وأعلاهم في الادب كعباً وقد اتخـذ من الاديب عبد الله افندي نجار أسطوانة حية اذ أنابه عنه بالقاء قصيدته

وخطب المحامي الاديب فايز بك الخوري في الفروق بـين حقوق المرأة الشرقية وحقوق المرأة الغربية وتخللت الفكاهـة كلامه .

والقى الاديب أنطون أفندي أشقر كلمـة جميلة في وجوب تعليم المرأة وامتاز الدكتور توفيق قندلفت بشرحهِ نظرية علمية . قياسية شرحاً دقيقاً وتبعه شفيق أفندي معلوف بقصيدة

عليّ وسألته أن يستفز همم أعضاء النادي الماروني للاشتراك معنا وبعد التداول أخبرني أنهم قرروا الاقتراح على الاندية الادبية الاربعة في دمشق تكريماً للآنسة فقبل اقتراحنا بالشكر والرضى

في اليوم الثاني من وصولي بادرت للتسليم عليها بصحبة الانسة أليس قندلفت مديرة الميتم السوري التي تعدها مس تولز رئيسة الكلية الاميركية سابقاً المثل الاعلى لفتيات سوريا وهي كاتبة مراسلات نادينا فصرفنا ما ينيف على الساعتين في محادثة الآنسة ثم ودعناها وفي النفس نزوع الى البقاء . كان موعد الحفلة مساء العاشر من الشهر الحالي وتألف الحضور من أعضاء الاندية الاربعة وعائلاتهم وخصصت مئة تذكرة لدعوة أرباب الوظائف . ترأست الحفلة السيدة روز عطا الله شحفة نائبة رئيسة النادي النسائي وأفتتحتها شاكرة للحضور جميل احتفائهم بالمرأة الاديبة الدال على نهضتهم ثم أسهبت في تعريف الانسة وامتداح اجتهادها ووقفها حياتها على الدرس والانشاء والتعريب .

ونهض الادباء على اثرها وفيهم طبيبان وشاعران وخطيبان (ومن كل فاكهة زوجان) فاجاد الدكتور البارع مرشد أفندي بو خاطر في الالقاء أيما اجادة ألاّ أن قوله أن الذي دفع بالانسة مي وغيرها الى رفع لواء الادب هو حب التفوق انقاص من

كلمة السيدة عطا الله روز شحفة :

الشام تحتفل بمي ؟ انها لاول مرة تحتفل بامرأة - ولا غرو إذاً ان الفيحاء الراقدة بين الخمائل والمروج — قد شرعت تستيقظ وتفرك عينيها استمتاعاً باشعة النور وبهاء الادب

ايها السادة — لقد اجتمعت الاندية الادبية الاربعة — النادي الماروني والادبي والكاثوليكي والنسائي ؛ على تكريم الآنسة فليت للادب سحر مي فتنضم معاً ابداً

ان مي او الآنسة ماري زياده الذائعة الصيت السورية الوطن والمصرية النشأة اديبة القطرين وحبيبتهما صورة للمرأة الشرقية التي تجهد قواها العقلية وتوقد الهمة في صدور اخواتها راهنة معظم اوقاتها للدرس فلاحياة بدون فناء . ولالذة بدون تضحية . لان كل شيء عظيم لانتمكن من الحصول عليه الا بالجهد والتضحية الكبيرة — فهي بافكارها نفسها تحيا اليوم في قلوبنا معشر القراء المعجبين بنفثات قلمها السحري السيال المتدفق عذوبة ورقة .

لقد قرأت عن مي كثيراً وقرأت لها كثيراً فشاقني الامر الى التعرف بها وما انتشر نبأ حلولها الفيحاء حتى شعرت ان روحاً جديدة تتخلل فضاءها — ونجماً متألقاً سطع في سمائها واحسست

الى ان جاء دور الآنسة مي فودت لو تلقي خطبتها من المقصورة حيث جلست ألا أن الجمهور استنزلها الى المسرح مقاطعاً اياها بتصفيق حاد فتقدمت رئيسة الحفلة وعرفتها بكلمة هي أبلغ ما قيل في تعريفها وهي « هذه مي ! أنها أفصح مقال وأوضح مثال لتعريف نفسها » ذاك لان تكيف ملامح الانسان وخواطره واشاراته تدل على حقيقته السامية فرأى القوم بها ملامح الشرقية وتقاطيع وجهها واتقان أساليب الاداء العربية وسمعوا في لهجتها الموسيقية ضربات قلبها في كل معنى ذكرته في خطابها المنشور في صدر هذا العدد وتفننت باشاراتها واساليب حركاتها عدا بلاغة الفاظها

وقد دعتها صاحبة المجلة الى زيارتها حيث يمكنها ان تتعرف ببعض سيدات دمشق ويتعرفن اليها من متحجبات وغيرهن بيد انها « لاسباب قاهرة » ايضاً اضطرت الي الرحيل قبل الوفاء بوعدها بيد اننا اجتمعنا على ذكرها

فالعروس تحيي وتلذ « بحديث نسيمات الصباح عنها كلما ذكرت عهدها » رافقها الله واخذ بيد كل امرأة مستيقظة عاملة على إعلاء شأن الادب

العروس

الترجل الذي يوجس الرجل منهُ شراً وتمقت الوهن الذي يجلل عقول المغاليات بانوثتهن

ويصح في سيرة حياتها ماقاله سكوت — بان قناعة الجسد فضيلة اما قناعة الروح فجريمة فانها وهي تتجاوز من السنين ماا حرزت بمقداره من العلم تراها قد سارت شوطاً بعيداً وان كانت الايام تقاس بالاعمال فهي شيخة مسنة بدرسها واختبارها

فاهلًا وسهلًا برافعة لواء الادب — ومرحباً بالقلم الذي يغمس بمداد القلب والعاطفة

اهلًا بالمرأة التي اثارت في نفس المدنية الشوق الى تعزيز المرأة

اني ارحب بك باسم الاندية الادبية الاربعة، باسم اخواتي النساء، باسم الحضور الكرام

ليهنأ والداك بينتهما الطيبة المثمرة

***

بان الفيحاء ترتدي اليوم ابهى حللها وتظهر بابدع حسنها — وان بردى ينشد أطرب أغانيه ترحيباً بها — ثم اقبلتُ على مي مسلمة فلم ازدد بها معرفة لولا ماهنالك من عذوبة منطقها وجمال اساليبها في تكييف ملامحها بحسب الموضوع الدي تخوض عبابه لدى زائريها

فهي مثلٌ سامٍ لكل فتاة هادية بالارتواء من منهل العلم الصافي

لا غرو اذا لم تجد في كتاباتها نصحاً وارشاداً وكأني بها تسير بين ضلائع المجتهدات العاملات على رفع مقام بنات جنسهن واهبة بذلك مثلاً عملياً ابلغ من الاقوال

أن مياً تلقي اليوم على عالم الشرقي درساً كبيراً في وجوب ثقة المرأة بقولها — ولعمري انه معنى الحرية العام . ان تتحرر المرأة من قيود جهلها وسائر العادات المضرة واضعة لنفسها غرضاً سامياً تتجه نحوه علاقدة لواء الاجتهاد والتفكير في سبيل الحقيقة

سترون في ملامحها ماينبئكم عن نشاطها ودعتها ستنظرون روح الانسانية قرار موسيقى كتاباتها العذبة ناطقة بلسانها ممزوجة بشعائرها مزينة بالفاظها —

وستعلمون يقيناً ان كل من بلغت مبلغها في الادب تكره

وبايعوك بالتي عزّت على المطّلب
وانقاد في بيعته كل عصيّ أو أبي
فانتفت الفوضى وقرّ الامر بعد الشغب
وبات ملك العلم مشد ود العرى والطنب
أعظم بها مليكةً أعدل بها واحبب
إذ لم تكن بيعتها بالغصب والتغلب

***

يا مي ما رأيت في ديارنا من معجب
قطعت عرض البحر اذ ذرعت طول السبسب
عسى ترين راحة من بعد طول التعب
بل ما عساك تذكري ن من امور عجب
لا أكذب الله فما في عيشنا من ادب
ان الرزايا مقبلا ت والمنى في هرب
ذمامة خبيثة أعيت على المطبب
ياحسرتي على الادي ب والفتى المهذب
مضيعاً كمصحف أمسى ببيت النصب
فنحسه في صعد وسعده في صبب
رنا اليه دهره بوجهه المقطب
ضاق عليه وحده صدر الفضاء الارحب
نهاره وليله في سهر ونصب
فكفكفي يا مي من مدمعه المنسكب

***

تحية مي

وهي قصيدة الاديب الوجيه خليل بك مردم بك

تحيةً طيبةً الى النبوغ العربي
ونظره خاشعة الى بهاء الادب
قد جمعت بينهما (ميٌّ) بأمي وابي
كان النبوغ قبلها حملًا ببطن الكتب
ياطالما عاملنا بالصد والتجنب
قد زرعت من قبلها الـ ـمنى بواد مجدب
مضت على ام اللغا ت أعصر ء تنجب
حتى اذا ما جهدتْ في يومها العصبصب
تفضلِ الله بمن ترونها عن كثب
فبشرت وأنذرتْ بنثرها وخطب

***

يا آية ساطعة طوتْ ظلال الغيهب
ودرة مدونة وان تكن لم تحجب
ونجمة لامعة في شرقها والمغرب
تنازلت لك الرجا ل عن رفيع المنصب
قد أخفقوا في سعيهم عساك ان تخيبي

***

وُلاة أمر الادب ولوكِ ملك الادب
وقلدوكِ أمرهم وذاك أعلا الرتب

الثمينة للبحث في نظرية اجتماعية لها علاقة بالنهضة النسوية الجديدة

اذا درسنا الحياة البشرية درساً مدققاً وجدنا العامل الاكبر لما ينشأ في مظاهرها المتعددة من المشاكل والقلاقل عدم وجود نظام ادبي عام ثابت تقاس به اعمال الافراد والجماعات على اختلاف طبقاتها واجناسها وحالاتها الاجتماعية في تعاملها بعضها مع بعض في هذه الحياة فالافراد والجماعات والشعوب قد جعلت طبقات متفاوتة يتمتع بعضها بحقوق ادبية ومدنية لا يتيسر لغيرها التمتع بها . ولكل منها مقياس ادبي خاص يجوز لها ما لا يجوز لغيرها . فالحقوق التي تتمتع بها الشعوب الاوروبية مثلاً لا يجوز لقبيلة بدوية التمتع بها وما تأتي به الاولى من الاعمال ويحسب دليلاً على عراقتها في المدنية والارتقاء تعاب عليه الثانية ويتخذ دليلاً على توغلها في البربرية والتوحش ؛ وما يجوز لشعب كمجموع من التفنن في استعمال الكذب والخداع في تعامله مع سائر الشعوب ونحسب سلوكه هذا براعة وحذقاً في فنون السياسة تدان عليه الافراد وتقع بسببه تحت طائلة العقاب المدني والاهانة الادبية .

وكذلك اذا حصرنا البحث في بلد واحد نجد ان الافراد فيها فئات متعددة ففيها الموظفون والرعايا المستخدِمون والمستخدَمون الاغنياء والفقراء ؟ السيدات والرجال ؛ وفي البلاد الشرقية

خطاب الاديب الدكتور توفيق قندلفت :

الآنسة مي

ان الادباء في تكريمك والاحتفاء بك فريقان : فريق تتبع تاريخ حياتك ودقق في درس ما ابرزتهِ الى عالم الادب ففهمك وعرف مواطن قوتك وادرك درجة النبوغ فيك فاذا قام يكرمك فانه يقصد تكريم شخصيتك المجردة فيصرف ما لديه من الوقت في مثل هذا الموقف في وصفك واظهار فضلك وخدمك الجليلة للعلم والادب . وفريق آخر لم يسعده الحظ بدرسك هذا الدرس المدقق فلم يفهمك الفهم الكامل ولكن الذي عرفه عنك من مطالعته لبعض ما كان ينشر بقلمك في عالم الادب العربي كان كافياً لان ينشئ فيه الاعجاب بك وان يتخذك ابهر مثال للمرأة الشرقية الناهضة . فاذا اقام الفريق الاخير مثل هذه الحفلة التكريمية فانما يقصد بوجه خاص اكرام شخصيتك المعنوية فيتخذك رمزاً للنهضة النسوية في الشرق وكأنه باحتفائه بك يحتفي بالمرأة الشرقية الناهضة ويعبر عن عطفه على نهضتها الجديدة وتنشيطه لها. فاسمحي لي ياسيدتي ان أنتسب في هذه الحفلة للفريق الاخير فاخاطب بشخصك كل امرأة عربية جديدة واغتنم هذه الفرصة

حقاً لاقترانه بالقوة . و كذلك استعباد الرجل المرأة وهضم حقوقها والتضييق عليها واتخاذه لنفسه وحده دونها مقياساً ادبياً صار حقاً لاقترانه بالقوة فاذا كانت القوة هي التي أقامت هذه الفروق في الحقوق والمعاملات فالقوة هي الواسطة الوحيدة لازالتها وكل فئة مظلومة تسعى لنيل حقوقها ولم تدرك هذه النظرية فعبثاً تحاول ذلك

وقد ادركت المرأة هذا فتحققت ان شعور الرجل بضعفها وعدم اقتدارها على الاستقلال في معيشتها هو الذي حمله على امتهانها وظلمها . ومنذ بدأت تسعى للتسلح بالقوى التي تؤهلها للاستقلال في حياتها أخذت تتحرر من القيود التي قيدها بها ضعفها السابق ومتى صارت قادرة ان تستقل الاستقلال التام في القيام بامور حياتها لم يبق حاجز يحول بينها وبين الحصول على كل ما يتمتع به الرجل من الحقوق والامتيازات؛ و كل الدلائل تدل على انها سائرة في هذا السبيل لانها في كل يوم تقدم للعالم برهاناً جديداً على استعدادها لمجاراة الرجل في كل عمل يقوم به وما احتفاؤنا بالآنسة (مي) في هذه الحفلة الا احد هذه الادلة الساطعة . وربما لم تكتف المرأة ببلوغ درجة المساواة مع الرجل فاذا فاقته بالتسلح بالقوى اللازمة للجهاد في هذه الحياة تصير هي

الاجانب والوطنيون وكلنا يعلم ان هذه الفئات تختلف كثيراً بالنظر للحقوق المدنية والادبية فلبعض منهـا امتيازات خاصة لايجوز لغيرها التمتع بها . يظهر هذا الفرق باجلى بيان في نظام الاداب المختص بالسيدات والرجال فللسيدات نظام ادبي محدود يسرن عليه وتعرض الواحدة منهن نفسها لعـار لايمحى اذا هي خرجت عنه بينما الرجال تسرح وتمرح تحت ظل نظام واسع مرن يجوّز لهم مالوجاءت السيدات بمثله لفسد نظام العائلة والهيئة الاجتماعية

فما معنى ما نشاهده حولنا في كل مظهر من مظاهر الحياة من دلائل الفوضى وعدم المساواة في التمتع بالحقوق ؟ معناها ايها السادة ان العالم يعتقد الان بأن الشرائع المدنية والنظامـات الادبية امور ثابتة ومؤيدة بقوة الهية لا يجسر احد على مسها بتغيير وانما هي انظمة مرنة تتغير بحسب الاحوال توحيها وتؤيدها الحقوق البشرية بكل صورها . معناها ان العالم قد محا من لوحة ذهنه صورة الحق التي رسمتها له تعاليم الاديان فلا يفقه بعد ذلك معنى للحق المطلق وانما كل نظام او عمل تسلح بالقوة انتظم في سلك ما يسمى بالاصطلاح حقاً . فتمتع بعض الافراد والجماعات والشعوب بامتيازات خاصة في معاملاتهم المدنية والادبية اصبح

دمشق وانشريه بما لك من النفوذ والتأثير عسى ان يفعل فعله في درء ما يهدد سلامة الهيئة الاجتماعية فتكونين بهذا قد خدمت النهضة الاخلاقية في الجنسين احسن خدمة والسلام

***

خطاب الدكتور مرشد افندي خاطر — دمشق

آنستي ، سيداتي ، سادتي

ان مثولي الان بين يديك فضولي اذا نظر اليه نظرة سطحية ومشروع اذا فحصت الصلات الوثقى التي تجمعنا بك لانه ان دفعت النادي النسائي الكريم العاطفة الجنسية الى اقامة هذه الحفلة التكريمية فان عاطفة اخرى حركت النادي الادبي الماروني الى ايفاد نائب ينوب عنه في تكريمك وما هذه العاطفة الا الصلة الادبية التي تفوق الاولى سمواً وشرفاً . عاطفة تجول في صدر كل منا قوية كبيرة بعد ان فقدنا العاطفة الجنسية الاولى التي كنا لنتمنى وجودها فينا لنبلغ في تكريمك والفخر بك الى اقصى درجة تتوق اليها قلوبنا . فصلتنا اذن بك واحدة لا متعددة وصلة النادي النسائي مزدوجة تتناول الجنس والادب .

لست اقف الان امامك يا آنستي موقف الخطيب والمقام مقام احتفاء وترحيب ولكن لي كلمة فيك ، كلمة رأيتها مخطوطة

في دورها تستعبده وتقيده بمثل ما كان هو يقيدها به ابان عزه ومجده! والان وقد بدأت المرأة بفضل ما تظهره من القوة والاقتدار تبرهن على حقها في مساواة الرجل بكل الحقوق التي حرمها اياها ضعفها السابق كان لابد للرجل من ان يسمح لها باتباع ذلك النظام الادبي المرن الذي تمتع به هو في الاجيال السابقة . ولكننا اذا تأملنا قليلاً هذا الموضوع وجدنا ان نزول المرأة الى مستوى الرجل في الحقوق الادبية يقود الى ازمة اجتماعية لاتقف نتائجها عند حد في الفوضى الادبية . اذاً كيف نوفق بين سلامة النظام الاجتماعي وبين حق المرأة بمساواة الرجل ؟ الحل الوحيد المنطقي الذي يوفق بين هذين الامرين هو ان يُقيَّد الرجل بمثل قيود المرأة الادبية . فعلى السيدات الناهضات بما لهن من القوة والحق بمطالبة الرجال بمساواتهن لهم في كل امر ان يبثثن هذه الدعوة في عالم الادب العربي وان يظهرن بصورة جلية واضحة كيف ان خروج الرجل عن قيود النظام الادبي القديم قد نجم عنه اضرار اجتماعية جمة وكيف ان المرأة اذا جارته في هذا الخروج توقع العالم في ازمة ادبية تصعب مداواتها . وهل يُرجى الابتداء بنشر هذه الدعوة الا منك ايتها الضيفة الكريمة ومن الاديبات مثلك الساعيات لنهضة نسائية جديدة ؟ فاحملي هذا الاقتراح معك من

في مكانه بضع عشرات من السنوات . فقد سعى قبلك في مضمار الجهاد هذا وبلغ منه شوطاً بعيداً قبل ان تبدأي بالعمل فليس الذنب ذنبك اذا تأخرت عنه قليلاً فان بلوغك هذا الى حيث انت الآن لم يصل اليه الرجل في مثل هذا الوقت القصير . فانت تفضلينهُ اذاً بسرعة السير وقد تتوفقين الى مجاراتهِ اذا اوقفك عطفك عليهِ عن اجتيازه

ان التفرد يا آنستي نقطة الكمال التي يميل اليها كلّ بشرٍ وحيوان وجماد فان الانسان ينزع في حياتهِ منذ وجوده الى ان يكون في قمة سلم الارتقاء فينازع معاشريهِ واعزّ الناس اليه دائساً تحت قدميه صوالجهم ليرقى عليها صاعداً نحو الكمال ؛ ولولا هذه المزية التي يتحلى بها الانسان لما وجد رقي بل كان الخمول سائداً والتقهقر نهاية محتومة لكل مخلوق ؛ وكما يكون الفرد الواحد تكون الاسرة الواحدة . فالأُسر فالقبائل فالأُمم ، فانها جميعها تميل الى التفوق وهو شرط من شروط تنازع البقاء . وما الحيوان الذي لم يوهب النطق ولم يحلّ بالعقل بحائدٍ عن هذه الخطة فانك لو نظرت الى قطيع من الغنم او الابل او سرب من الطيور لرأيت كلاً منها يعمل على التفوق ويسير في الوجهه التي رسمتها له الغريزة . ولست ابالغ اذا قلت ان الاشجار بنمو بعضها الغريب وهي مغروسة في بقعه وأحدة من الارض يرويها ماءٌ

على صفحات حياتك النقية ؛ كلمة ازدانت بمعناها مارية القبطية التي اصبحت رمزاً لمبدإ التسامح الديني والقومي فاحدثت رابطة بين اهل افريقيا واسيا لم يزل لها شأن حتى اليوم ؛ كلمة لم تستعظم جان دارك في سبيلها الموت احتراقاً ؛ كلمة رأيتها مخطوطة باحرف من ذهب على حياة مدام دي سفانيهُ ودي مانتون؛ كلمة خلّدت اسم سكينة تخليداً لا يمحى ؛ كلمة طيّرت اسم خالدة اديب الى اقطار المعمور ؛ كلمة دفعت مجلس النواب الانكليزي الى انتخاب السيدة أستور عضواً فيه ؛ كلمة جعلت الرّيضة الشهيرة الانسة ليليان بوار الاميركانية ان تحرز اكليل النصر ؛ كلمة تتمجد بها مدام كوري التي اوجدت لنا نحن معاشر الاطباء من اعماق جسماً مشعاً يخترق الاجسام الحية ويميت الناميات المرضية ؛ كلمة لم تقم هذه الحفلة الا لاجلها ولم تزدحم هذه الجموع الا لتبينها فيك . اريد بها « التفوق »

اجل ايتها الانسة الاديبة . لقد ارتقى بك علمك وادبك وعكفك على اللغة العربية الى ارقى درجة بين بنات قومك ؛ فاصبحت بينهنّ حاملة شعار النصر ومكللة باكليل الظفر . وكاني بك وقد بلغت ما بلغت من التفوق تنزعين الى الاستيلاء على العلم الذي يحمله الرجل . أنك لجديرة بذلك اذا مشيت وبقي الرجل

قصيدة الاديب شفيق افندي معلوف :—

مي في الوطن

بنت الجبال ربيبة الهرم هيهات يجهل إسمها حيُّ
لم نلقَ سحراً سال من قلم الا هتفنا : هذه ميُّ !
لك ميُّ في لغة الفرنسيس زهرات حلم[1] وشتّ النيلا
جمعتها من روض باريس وجعلتها للارز اكليلا
ماذا حملتِ لنا عن النيل ؟ وعن المقطم ؟ بل عن الهرمِ ؟
احملتِ عنها قلب متبول يذري على الاطلال قطر دم ؟
ماذا تراك رأيت في الوطن ومشيد الاوطان مهدومُ
أرأيت غير الفقر والدمن ما بينها يتنقل البومُ
تلك القرى امررت فيها قحّلا وبعثت بالنظر الكئيب اليها
فشهدت اطلالا تخرمها البلى ورأيت آثار الدموع عليها
أو مامررت بساحة الشهداء وذكرت عهد الظلم والاتراح
فسمعت من خلل الاثير صدى لعناتهم للظالم السفاحِ ؟..

***

أرأيت غير الصخر والماء وحدائقاً غنّاء وافلاكا

---

(١) زهرات حلم اسم لديوان شعر باللغة الفرنسوية نظمته الانسة مي باسم ايزيس كوبيا

واحد ويغذيها هواء واحدتقدم لنا برهاناً حسياً على وجود التفوق فيما بينها . واذا تركت العالم المنظور بضع ثوانٍ وسرتِ معي الى عالم لا ينظر أريتك في كل مقطع من مقاطع اعضاء الجسم البشري الذي يتألف من خلايا لا تعد ميلًا الى التفوق ، فان بعضها يكبر وينمو فيخنق بنموه ما يجاوره خنقاً ويبدو في ساحة المجهر كأنهُ يمد سيطرته ويدعو مجاوريه الى تكريمه .

وليس التفوق يا آنستي الذي ينزع اليه كل مخلوق بامر سهل المنال فقليل هم المتفوقون و كثير هم الساعون . فاذا بلغت اذاً ما انت عليه الان فان عملك ومثابرتك وجهادك في هذه الحياة كانت عظيمة لايقدرها قدرها الا من عرفك حق المعرفة . فاذا وجهت اليك الان كلامي فلانك احرزت هذه المزية الحميدة ، واذا احتفي بك هذا الاحتفاء فلانك سعيتِ في حياتك سعياً متواصلًا وكُلل سعيك بالنجاح ؛ واذا اثنيت عليك فلانني أكرم بتكريمك التفوق الذي تحرزين وألهبة السامية التي تتحلين بها . فاقبلي هذه العاطفة من نادٍ شعاره الادب ومبدأه تكريم الادباء والاديبات وسيري في حياتك المقبلة الى الامام فترافقك عواطفنا كبيرةً وأنفسنا معجبة بذكائك ونبوغك و كوني لبنات جنسك خير درس يلقى على القرن العشرين ؛ والسلام عليك

قصيدة حليم افندي دموس

ذكرَ الخاطرُ يوماً عهدَ ميْ — فسرت آيتهُ الكبرى الي
وأستمدَّ الوحيَ من عليائها — فاذا الشعر به طوع يدي

***

(بردى) ! رحب بمن حنَّت الى — ماءك العذب وذياك الشذي
يا ابنة (الشام) انظري نابغة — مثلها بين العذارى لم تري
نغمة عُلوية خالدة — ابدا آياتها في أُذُني
من ضفاف(النيل) من (اهرامه) — لمعت انوارها عن جانبي
وعلى (لبنان) لاحت فاذا — كهرباء الفكر قد ضاءت لدي
تأنسُ النفس لذكراها كما — يأنس النائي لتذكار الحمي
هيَ (ميٌّ) ليس من يجهلها — واسمها مستعذب في شفتي
هيَ من خاطبها من قدم — شاعرٌ غنى على كثبان طي :
(لم يرق لي منزلٌ بعد الغنا — لا ولا مستحسنٌ من بعد مي)

***

تسبحُ الارواح في بحر المنى — تنشر الاوطان [1] نشرا بعد طي
في سكون الليل في رأد الضحى — في خرير الماء من عطف ولي
في دويّ الغاب في رجع الصدى — في التفات الريم . في لحظ الظبي
في صداح الطير في زهر الربى — في جمال الروض من غصن وفي
(سانحات لفتاة [2]) طالما — أشبعت روحي وسرت ناظري –

---

(1) اشارة لمقالتها الاخيرة في الهلال : اين وطني ثم في غيرها من المقالات المشهور

(2) اشارة الى كتابها سوانح فتاة

ذاك الذي يلغي به الرائي وطن الجدود لحسبنا ذاكا!

أسمعت انشاد (العتابا) في الظُلمْ فأثار نفسك ذلك الانشادُ

حتى هتفت لدى «العتابا» كيف لم يحيي الرفات وتنشر الاجدادُ (١)

أسمعت في الوادي وبردونيه نهراً يوقع نغمةً لاتوصفُ

فعلمت ان صدى نشائد ميهِ مما يوقعه ارقُّ والطفُ ؟

***

بمثال ميٍّ تقيم امتنا صرحاً يوطده الزمان الآتي

هيهات ان نلتقي لنا وطناً ان لم يقم بسواعد الغاداتِ!

***

بنت الجبال ربيبة الهرمِ هيهات يجهل اسمها حيٌ

لم نلق سحراً سال في قلمِ الا هتفنا هذه ميٌّ !!

***

---

(١) قالت الانسة مي : صعدت الى غرفتي في نزل صوفر لانام فاذا بعابر سبيل ينشد في الليل دورا من (العتابا) فاحسست بان لبنان كله يرتعش وينشد وان عظام الاجداد قد استيقظت

خطاب الآنسة (مي)

في حفلة تكريمها في الفيحاء

حلمت في هذه المدينة احلام الطفولة الاولى . ولما كنت هناك في وادي النيل أغمض عيني لأستعيد ذكرى فردوس طفوليتي كنت ادرك ان من عرف دمشق صغيراً حفظ في كيانه من جمالها أثراً ليس يمحى . ثم علّلت النفس بالعودة هذه السنة لأسمع تدفّق انهارها مستأنسة بعذوبة اهلها ، مراجعة تاريخها الطويل في الشوارع والحجارة والابنية ، مستوحية في الاخربة والآثار روح العظمة الاموية ومجد صلاح الدين . وها انذا في دمشق ، ايها السادة والسيدات ، فاذا بالمياه قد اضافت إلى حكاياتها الدهرية حديثاً طريفاً ، ها انذا في دمشق وكأني بالاشجار تخبرني عما شهدته السبل من تفجع وعما اظلته الغصون من رجاء . ها انذا في دمشق وكأني ابصر روح العز القديم تتململ في الاخربة والآثار لترى اعجوبة التجدد في الشعب الواحد المقيم في المكان الواحد . ها انذا في المدينة الارامية الكبرى عاصمة الملوك والخلفاء والفاتحين ، حاضرة البلاد التاريخية وآية الجمال في الصحراء

هي تهوى (الموج) في رجعته [1] حبذا الموج ويانعم الهوي !
(كلماتٌ واشارات) [2] لهـا انا في تعريفهـا والله عَي
(وابتسامات) [3] تلألآء الضحى ودموع [3] كمصابيح الدُجي
(بحثت) [4] في كل فن رائق فرأى الظامئ في (البيداء) [4] ري
غاية [5] العيش مسامراة [6] اذا حُققت في الكون يَنفي كل غي

***

لك يامي بيانٌ ساحرٌ هز اعطـافي واجرى اصغري
قسما تلك معانيك الـتي هبطت من عـالم الوحي علي

***

نظرة للشام ياسيدتي امل الشام فتاةٌ وفتي
هذه الدنيـا فكم من دولة قد طوت امجادها الايام طي
ولكم يامي من حي يُرى مثل ميت ولكم ميت كحي
نحن يامي بقايا امة قد كوت احشاءها الارزاء كي
ان من يجهلنـا يحسب ان ليس في قومي سوى هي بن بَي
نبّهي الابطال من هجعتهم فاذا هبّوا فاستعادوا كل شي
وابعثي في الشام روحاً حية يتمشى سحرها في كل حي

***

بنت سوريا تبي نافسي وعلى اثارهـا سر يا أُخَي !
أُمَّ ميّ ! فاخري الغرب بهـا يا اباها ! .. هنيء اشرق بي!

***

---

(١) كتاب رجوع الموجة (٢) كتابها كلمات واشارات (٣) كتابها ابتسامات ودموع (٤) اشارة الى كتابها باحثة البادية (٥) خطابها غاية الحياة (٦) كتابها المساواة

ولا تعنتاً بل ليكون اثر شرقي ثمين في متحف الثروة الانسانية لكم دينٌ وعقيدة فكونوا بهما احراراً ودعوا المؤذنين والنواقيس ينشدون انشودة الخلود بينا انتم ترددون نشيد الحياة اذ تقولون الله اكبر ؛ لا آله الاّ الله ؛ ونحن ابناء قومية واحدة !

بهذه الكلمات اودعكم ، ايها السادة والسيدات ، شاكرة لاهل دمشق ما لاقيتهُ عندهم من عذوبة اللطف وحسن الضيافة شاكرة للنوادي الكريمة هذا الاجتماع الانيق الذي ضمني وجمهوراً كبير من اخواننا واخواتنا . شاكرة للخطباء والشعراء ما ابدعته قرائحهم الوقادة في تجميل ذكري . شاكرة للصحافيين والادباء كل كلمه طيبة كتبوها عني او وجهوها اليّ . وكنت اتمنى من كل قلبي ان اتشرف مع والديّ بسؤال خاطر جميع الذين تفضلوا وزارونا من سادة وسيدات . ولكن الوقت قصير يحرمنا من تأدية هذا الواجب المستحب ؛ فارجو قبول شكري الحار واعتذاري فان سفرنا قريب جداً . اودعكم واذهب حاملة في نفسي اثراً على أثر . بالامس كنت اذا ذكرت دمشق تخيلت طاقة خضراء يتخللها هدير الانهار ، اما غداً فاذا ذكرت دمشق تخيلت تلك الطاقة الخضراء يتخللها هدير الانهار وقد تجلى فوقها قلب دمشق الفتاة الذي رأيتهُ الليلة يتأجج ناراً ويتألق نوراً — فلتحيَ دمشق الفتاة

ولكني اشعر خصوصاً بأني في دمشق الجديدة ، في الفيحاء الفتاة التي تستجمع قواها بعد الجراح والالام وتتحفز للنهوض والصعود نحو قمة الارتقاء ولئن تعاون الكرم منكم وحب تنشيط العلم في جعل هذا المساء لي عيداً فقد اريتموني فيه رموزاً طالما تقت إلى حقيقتها . ففي اتحاد الاندية رأيت رمزاً لاتحاد الامة . وفي ارتفاع صوت المرأة قرب صوت الرجل رأيت دليلاً على تنبه الكرامة فيها واعتراف الرجل بحقوقها واستعداده لمساعدتها . وفي اتفاق المحمدي والعيسوي على الترحيب باختهما السورية رأيت عنواناً لمحو فروق المذاهب ومتانة الوحدة القومية

مظهر جليل تبدت فيه وطنيتكم النبيلة وانما هو الذي يوحي الي ان اهتف قائلة : لكم عائلة فرقوها بترقية المرأة واصلاح الرجل . لكم فكر فثقفوه بالوسائل العصرية الممكنة . لكم عمل فاتقنوه كائناً ما كان لان الاعمال الكبيرة لا تقوم الا باتقان الاعمال الصغيرة . لكم صناعة وتجارة وزراعة فحسنوها ما ما استطعتم ولا تيأسوا ازاء الفشل المهذب . في حياتكم افراح واحزان فاستفيدوا بها لتقوية شخصياتكم وانمائها . لكم ماض عظيم فكونوا له اهلاً بتهيئة مستقبل عظيم . لكم فن شرقي وروح شرقي ولغة شرقية فانعشوها وروجوها — لا . لا تعصباً

لقد وجهتم بمناسبة وجودي بينكم رسالة غير مباشرة الى جميع ابناء الوطن الغائبين فبهتموهم ببلاغة وعذوبة الى ما يشعرون بهِ مفاخرين ؛ وهو انهم يظلون منكم ولكم مهما طال البعاد وانكم ترقبون اعمالهم وتمحصون اقوالهم راغبين في ان يكونوا دوماً حقيقين باهتمامكم وبالاسم الشرقي الذي بهِ ينعتون

ولقد نما الامتنان في نفسي وتنوع فصار دفعة واحد وفي آن واحد اغتباطاً وكآبة ؛ ضعفاً وقوة ؛ حمية ووطنية . وللتعبير عن جميع هذه المشاعر ليس لديَّ سوى كلمة الشكر الواحدة

اني اشكركم يا ابناء وطني وبناتهِ . اشكر مختلف الاندية والجمعيات والمؤسسات الرسمية وارباب الصحف وحملة الاقلام على كل احتفال اقاموه وعلى كل جميل اليَّ إسدوه . اشكر الجمهور بما فيه الموظف الاعلى والطالب الصغير ، الذي كان يظهر عطفهُ عليَّ بحضور الاجتماعات العامة فيريني صورة مصغرة من الوطن المحبوب ويرهف فيَّ عاطفة الوطنية الرفيعة . أشكر جميع الذين تفضلوا ودعوني ووالديَّ الى اجتماع عائلي او تكرموا باقامة احتفالٍ خاص . أشكر الذين تلطفوا وزارونا من سادة وسيدات والذين اتحفوني بالرسائل وحيوني ببطاقات الزهر او التذكارات الاخرى . الا فليقبل كلٌ منهم هذا الشكر العلني

الى ابناء وطني

كلمة الوداع التي أرسلتها الآنسة «مي»
على صفحات جرائد بيروت بعد عودتها
الى مصر :

منذ شهور ثلاثة وعنايتكم تريني من الحفاوة ضروباً ومن التشجيع صنوفا . من شاطيء البحر الى قمم الجبال ، الى سهل البقاع ، الى وادي البردوني ، الى ضفاف بردى

لقد اسعدتموني في كل مكان بمصافحة ايديكم المرحبة ، ومرأى وجوهكم المتهللة واستماع كلمتكم التي ملأت نفسي حماسة وحباً

ان لعنايتكم هذه قيمة معنوية كبيرة . انا لا غاية عادية ترمون اليها ، ولا منفعة محسوسة منها ترتجون . ان هي إلا دليل الرقي والكرم ، ومظهر الوطنية النبيلة ، وتلمس تلك المصلحة السامية مصلحة حث الجمهور على النهوض . توحدتم عند تلك العاطفة فكان بها المسلم والدرزي واللاأدري والمسيحي سواسية كما كانت المرأة المحجوبة قريبة الي بزياراتها ورسائلها ومودتها قرب المرأة السافرة

من مي

الى « جامعه السيدات » بواسطة رئيسة الجمعية

سيدتي العزيزة :

نحن عند مدخل العام الجديد فأمحنك وجميع أعضاء « جامعة السيدات » التهنئة مغتبطةً بان يكون لبنات قومي جماعة كجماعتكن المؤلفة من مختلف العناصر والمذاهب ، والتي يرجى منها كل خير في توحيد اماني الامة . مغتبطة بان لا اقصر التهنئة على المسلمات في رمضان وعلى المسيحيات في عيد الميلاد ؛ بهل أن اهنئ الجميع في احتفالات المسلمين والدروز والمسيحيين على السواء لانه كما ان حزن فريق من الامة هو حزن للمجموع ؛ كذلك يكفي ان يحتفل فريق من أبناء الوطن بعيدهِ ليكون ذلك العيد عيد الامة باسرها

هذه نفثة أرسلها بواسطتك الى تلك الجماعة النسوية الحرة فأفضي بها اليهن من حيث خاطبنني وخاطبتُهنّ في ذلك الاجتماع الودي : واهديهن من ازاهير الذكرى والحنين طاقة تضاهي الطاقة الحيّة التي حملتُها معي من اجتماعنا ذاك ، والتي وضعتُ

كشكر فردي خاص. اني اذكر كل لطفٍ لاقيتهُ ؛ واقدره قدره؛ واضيفهُ الى عاطفة المسئولية التي احملها من بلادي والتي تحتّم عليَّ الجهاد لاكون اهلًا لحسن ظن قومي بي جديرة بعطفهم عليَّ

غير اني مع المسئوولية الكبيرة ؛ احمل املًا كبيراً ايقظهُ مشهد تلك الحيوية البديعة في ابناء بلادي ؛ تلك الحيوية التي لا تزيدها الكوارث والالام الا قوة ومناعة وغنى . احمل املاً كبيراً ايقظهُ مشهد قومي الناهضين يدركون محاسن الوحدة القومية ويطمحون الى رفيع المصاعد

عاش ابناء وطني كباراً يتوحدون كراماً ويشرئبون نحو العلى احرارا .

***

بعض زهيراتها المجففة بين صفحات كتبي وكراريسي

على اني ان خصصت «جامعة السيدات» بالذكر فاني اتمنى نشر هذه الروح بين نساء البلاد وأود ارسال هذه الكلمة اليهن جميعاً فكوني لي بذلك الرسول «الامين» اسماً ومسمّى وتنفيذاً

واسألك الاعتذار عني الى اللائي لم اتمكن ان أمتّع نفسي بضبط المواعيد معهن والكتابة اليهن بعد تلك الرسائل الفائضة بالعواطف . حسبي ان سطورهن ازاحت لي اللثام عن بعض ما في نفوسهن من نبل ورقة . وحسبي ان احتفظ بتلك الرسائل التي توغلت معانيها الى وجداني . فما كتبت بعد اليوم كلمة عن المرأة الشرقية ولها الا اوحت الي تلك الرسائل العزيزة بعض ما اكتب

***

هذا ما تمكنا من الحصول عليه من وصف الحفلات واقوال الادباء بعد ان اعلنا رغبتنا في طبع هذه المجموعة على صفحات الجرائد مرارا فاذا كنا قد اغفلنا شيئاً فذلك عن غير قصد منا . ولا لنا بد من كلمة اعتذار للانسة مي ولقراء المرأة الجديدة لتأخر صدور هذا الكتاب الى الان

ادارة مجلة المرأة الجديدة

بين الجزر والمد

نجيب هواويني

صفحات في اللغة والآداب والفن والحضارة

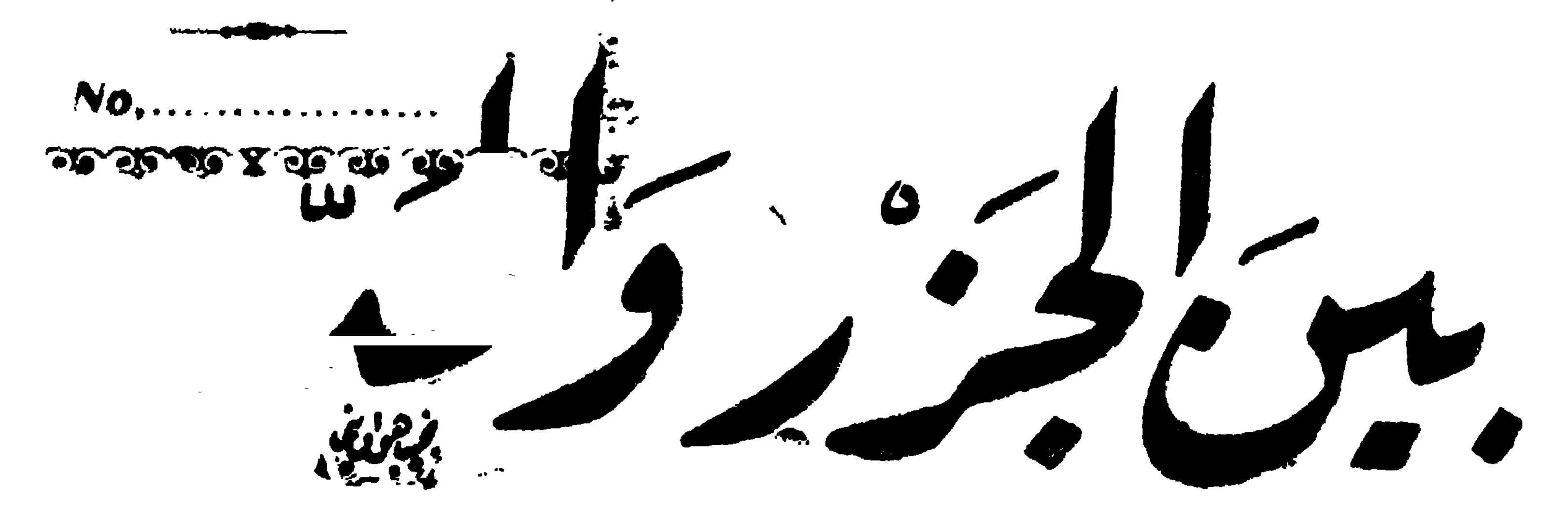
بقلم

« مي »

نشرته مجلة « الهلال »

مطبعة الهلال

مصر يونيه سنة ١٩٢٤



صفحات في اللغة والآداب والفن والحضارة

بقلم

« مي »

نشرته مجلة « الهلال »

مطبعة الهلال

مصر يونيه سنة ١٩٢٤

المقدمة

مي كاتبة الشباب تنافح عن حقوقه وتعتذر عن اغلاطه.
وهي تفعل كل ذلك بروح الاعتدال مسوقة في ذلك بالطبع لا بالتطبع

ثم هي ايضاً لانها شرقية، تحب الشرق وبخاصة مصر وسوريا بقلبها وعواطفها. ثم لانها ذكية، تحب الحضارة الغربية وتدعو اليها. وذكاؤها ووطنيتها كلاهما يدفعها الى الاعجاب بهذه الحضارة والحث على اصطناعها. لأنها من الجهة الواحدة نتاج عظيم للذهن الانساني ومن الجهة الاخرى سلاح يمكن الشرق ان يرد به غارة الغرب

فبهذا المفتاح يمكننا أن نفهم مي. وأن ندرك معنى المثل العليا التي تتشوف الى تحقيقها وأن نعطف عليها ومن هذه الوجهة تكاد جميع مؤلفاتها تتجه الى غاية واحدة

العربية راجية لها الحياة تستقرئ الماضي لكي تستضيء به في المستقبل تهكم من طرف خفي على اولئك الشيوخ الذين الفوا المجمع اللغوي فما هو أن تركهم لطفي السيد حتى انتثر عقدهم

وهنا لست استطيع أن اترك هذه الفرصة تمر دون أن آسف على خروج الاستاذ لطفي السيد من ميدان الادب والسياسة . وكيف لا نأسف على زمن كان يقود فيه الشباب نحو المستقبل يضرب الجمود بمطارق الحديد ويعلمنا مبادئ الوطنية وحلاوة الاسلوب الساذج الخالي من الصنعة وأمانة التفكير ومكافحة الاستبداد

ولست أظن الا أن مي قد تأثرت به كما تأثر به جميع الملتصقين بالحركة الفكرية في مصر . ومن الصعب أن نعرف جميع المؤثرات التي أثرت في ذهن مي . فان سعة ثقافتها تكاد تحول دون ذلك . فهي تعرف عدة لغات أوربية تقرأ آدابها كما تقرأ العربية وتلتذها جميعاً . ومن هنا بعض اعجاب الكثيرين بها

وكيف لا نعجب بفتاة شرقية تقول (في مقال،

وان اختلفت الوسائل . وهذه الغاية هي اصلاح هذا الشرق وتنبيه شبابه الى اصطناع المثل العليا والحث في كل ذلك على التجديد

فهي تساير الشباب في رغبته في تجديد اللغة والميل بها الى التطور والاقلاع عن الجمود . وتسايره أيضاً في نزعته الى الاصلاح الاجتماعي أو الاشتراكي الذي كان سبباً في نهوض أوربا في الثلاثين السنة الماضية . وفي تشوفه الى صوفية طليقة من القيود المذهبية والفروق الدينية التي كثيراً ما مزقت الوحدة الوطنية والرابطة القومية . ولكنها لما استقر في نفسها من ذلك المزاج الذي يقوم لديها مقام الصابورة من السفينة تراها على الدوام معتدلة بحيث يقرأها الشاب الثائر فيرتاح اليها ويقرأها الشيخ الجامد المتزمت فلا يجد ما ينقم منها

وانه لمن أوضح البراهين على صحة نهضتنا أن نجد آنسة مسيحية مثل مي تدافع عن العرب واللغة العربية كما يرى القارئ في احدى مقالات هذا الكتاب . ففي هذه المقالة : « حياة اللغات وموتها » نجد مي عاطفة على اللغة

وعادت اليهم حريتهم شعروا جميعهم بالمسئولية فشدت من أعصابهم ونبهت من أذهانهم

فاذا كنا نطلب مع مي زيادة مسئولية نسائنا وزيادة مسئولية شبابنا وزيادة مسئولية صحفنا فاننا ننال ما نبتغيه من الحرية دون اسمها

وهناك أسف واحد يعتري الانسان كلما قرأ كتاباً لمي . وهو أسف شبيه بالغبطة . فاننا نغبطها جميعاً لذكائها وسعة ثقافتها ونود لو نجد عدداً كبيراً من فتيات سوريا ومصر يقتفين أثرها في خدمة الحياة القومية العربية والعمل على رقيها ورفعها ؛ ولسنا نطمع في أن نجد من تساويها ولكننا نود أن نجد من تدانيها . ولعل بعض المسئولية في ذلك تلقى على عاتقها . فان واجب الاديب لا يقتصر على التنوير والافادة وانما يعدو ذلك الى ايجاد القدوة يقتدي بها الناشئ ويحمل الى الخلف ذلك المصباح المقدس يزيد ضوءاً على ضوء كلما مر به جيل

سلامه موسى

المحروسة) : « فالمسئولية صارمة تثقف الذات القومية والذات الفردية . غير ملاينة ولا مهادنة . وهي من اكبر البواعث على نفض دثار الخمول وتكوين صفات النبل والكرامة »

والدفاع عن المسئولية هو دفاع عن الحرية . وليست توجد حرية الا وفيها مسئولية كما ليست توجد مسئولية بدون حرية . ولو كان شبابنا يفعل فعل مي وبدلا من أن يطلب الحرية الدستورية أو الحرية النسائية أو غيرهما يطلب المسئولية الدستورية أو المسئولية النسائية لما وجد الجامدون منفذاً في حصن المجددين . فالحرية في نظر من يفهمونها ويدافعون عنها هي المسئولية وليس يخشاها الا من يخشى المسئولية . لان الانسان اذا الف القيد والسياج ارتاح اليهما فكانا له سنداً يأمن به الغوائل . أما الانطلاق في فسحة الحرية فلا يطيقه الا الاقوياء . ورجال الصحافة عندنا يعرفون قيمة المسئولية التي تستتبعها الحرية فقد كانوا ايام الاحكام العرفية والرقيب يقرأ صحفهم يستكينون الى هذا القيد ولا يحسبون حساباً للمسئولية فلما رفعت عن الصحف الرقابة

اليقظة

فليحي الاستقلال التام !

فلتحي الحرية !

فلتعش مصر حرة مستقلة !

فليحي الوطن !

انتبهنا يوماً على وقع هـذه الاهازيج غير المألوفة التي سرعان ما اهتدت الى مصبّها في القلوب . كالماءِ يفيض فيتدفق على منحدر هُيِيء له منذ أجل مديد

الأفواج ، افواج المتظاهرين ، تتقاطر من كل صوب . والأعلام التي طال عليهـا العهدُ في الحقائب تخفق فوق الرؤوس خفوق الألوية المنتصرة . وهتاف المئات والألوف ينتظم متجمعاً في نبرة واحدة وقيـاس واحد ، كأنهُ من صوتٍ واحد ينطلق . والأصداء الشائعة يصدمها هنا وهناك ترجيعُ المواكب الجائبـة انحاءَ المدينة في هرج وتهليل . والجوّ يدوي بارتطام الاصوات ، وقرع الطبول ، وعزف لآلات ، وزغردة النساءِ بين الهتاف والتصفيق

وتمشت روحُ النشوة الى الضيف والنزيل فأذابت ما بين ،

فهرس

صفحة

١ اليقظة

٩ حياة اللغات وموتها / اللغة والحضارة

١١ « عند اليونان

١٦ « عند اللاتين

٢٢ « عند العرب

٣٣ « لماذ تبقى العربية حية ؟

٣٧ والمجمع اللغوي ؟

٣٩ « الاجبشن ميل » تضحك

٤١ ما زلنا في الموضوع

٤٦ « الاجبشن ميل » تناقش

٦٢ فلان « ومدامته »

٦٧ اجوبة الامتحان

٧٥ النشيد القومي المصري

٨١ محروسة !

صفحة

٨٥ الحياة أمامك

٨٦ تكلموا لغتكم !

٨٩ رسالة وحاشية / نقد الكتب

٩٣ الرأي العام في عهد محمد علي باشا

٩٦ الشعر القصصي الحماسي

١٠٧ حديث عن الشرق الاقصى

١١٨ أمبراطور يصير ملكا

١٢١ في عالم الالحان

١٣١ معرض الصور المصري

١٤٣ لبيك ، يا مسيو فانبير !

١٦٢ زواج الشرقيين بالغربيات

١٦٦ نهضة الشرق العربي / وموقفه بازاء الغرب

وتصرّمت ايام الفرح والهناءِ بعد أيام الاحتجاج والمطالبة ، فسارت الجماهير وراءَ نعوش الموتى . سارت كاسفة لدى زوال صور الحياة ، متهيبة حيال جلال الموت . لا ان العاطفة المستجدّة ظلت تجيش وتطمى حيناً بعد حين . وبصوت المفجوع الذي تزكّي منه التضحيةُ الحمية ، تهتف الجماهير وراء الاعلام المنكسة :

فليحي الوطن !

فلتحي مصر !

فليحيى ذكر شهداء الحرية !

يا للرعشة العجيبة تعرو النفس لنداءِ الحماس والاستبسال! ان القلب عنده جازعٌ والطْرف دامع ، أمام مشاهد الفوز ووراء نعوش الضحايا على السواء

وكأني خلال الالفاظ المتكررة في الفضاء المجوف ، سمعتُ مصر الفتاة تقول :

لقد كنتَ ، أيها القطر ، مسرحاً خالياً منذ أجل طويل، مسرحاً زيناتهُ هذه السماء الزرقاء وهذه الصحراء العفراء وهذا الليل الناعم السحيق المغري الى تلمس الاسرار وهذه الشمس المشرقة أبداً كمجدٍ لا ينقضي

وهذه الهياكل ، وما انتصب فيها واضطجع والتوى

الاجناس والشعوب والمذاهب من جايد ، وألغت حاسة التفرق وسوءِ التفاهم ضامّة النفوس كما في اعتناق من التعاطف وحسن الوئام

لمن يهتف الاجانب ؟ وأي الالوية ينشرون ؟ وعلام تنثر أياديهم الرياحين وفرائد العطور ؟

أتراهم يحتفون بعيد الوطنية الشاملة لظهور طلائع الوطنية عند شعب يستفيق فتحييه حتى جنودُ الانجليز وضباطهم بالاشارة والتلويح ، ويحييه الجمبع بالاصوات والالوان والازهار ؟

نعم . في ذلك اليوم من أواسط شهر مارس سنة ۱۹۱۹ وقد عبق الهواء ببشائر الربيع ، ونوّرت البراعم الزهية على الغصون ، وسَرت في الاجساد نفحة التجديد كرسول من حياة الارواح ، — في ذلك اليوم الغني بتنبهِ الارض بعد هجود الشتاءِ استيقظت أمة الوادي الجاثم بين البحر والصحراءِ

استيقظت الأمة وهتفتْ . فاذا في صوتها غضبة الاسود ، ومفاداة الابطال ، وعزم الرجال ، ومرح الاطفال ، وحنو النساء ، وصدق الشهام

* * *

لقد استيقظتُ ، أيتها الامم ، استيقظ الشعبُ الصريع المستعـَبد !

استيقظ وأرسل كلمته الاولى :

كلمةً اسنى من الربيع ، وأبقى من الارض ، ترنّ في قلبي فأزيد وثوقاً بما أريد وابتغي

كلمة هي تتمة للماضي ، وعهد للمستقبل . كلمة هي المنبه ، والغاية ، والوسيلة

كلمة عميقة رحيبة كالحياة : الحرية !

* * *

ما هي الوطنية ؟ كيف تشب فجأةً فتغزو القلوب وتثير فيها جنون العواطف ، وتنمي في جوانبها نبتة التأمل والتبصر والارادة ؟

في مواكب الحماسة تسير المخدرات سافرات . وفي الالوية تتلاثم الأهلة والصلبان . ويتحاذى من الجمهور الرفيع والوضيع والوطني والاجنبي ، ممثلين جميعاً امكان التآخي بين بني الانسان في التفاهم العام واعطاءِ كل ذي حق حقه

واستيقظتْ شخصيتي الشرقية بفعل ذلك التأثير . وكما يحملنا أحياناً سحر الانغام الى بقاع مجهولة ، سارت تلك الشخصية الى أقاليم بعيدة وراءَ مترامي القفار

وهذه التماثيل الشواخص للذين عاشوا ولن يموتوا من آلهتي وعظمائي

وهـذه الآثار التي تركها الزمان الوثاب أوعيةً كبيرة تدخر احلاماً لا تدرَك ورؤى لا تمس

ونيلي هـذا ، شاهد العصور المتابع سيره بلا انقطاع ولا ملل

كلكِ ، يا هـذه الاجواء والمروج والبقايا والامواه ، انما كنتِ مسرحاً خالياً ينتظر

لقد مللتِ شلال الذراري المتلاحقة في ربوعك صامتة خانعة تجهل اسم الامل والقنوط

وانتظرتِ طويلاً طويلا ــ انتظرت صوتاً يليق بعلواء تاريخكِ العظيم

وها قد آن الاوان فهببتُ فاسمعي :

اسمعي صوتي يخاطب الرعاة بين النخيل ، والكهان في الهياكل ، والفراعنة والبطالمة في البلاطات والقصور

يخاطب الغزاة والفاتحين من عتاة العهد القديم والعهد الجديد ،

قائلاً ان كل ما حلّ بي من نكبات وعلل أخرسني حيناً ولكنه لم ينل من حيويتي !

مما لدى الاقوياء من صروح ومعاهد ومصارف ومعامل .
ربوعك خالية من المتاحف والخزائن والودائع المجلوبة من قصي الأنحاء . انك جاهل فقير مفكك الاوصال

ورغم ذلك فأملي بك عظيم كالحياة والحرية !

أي قوة هذه التي تشدّ وثاقي اليك ؟

لماذا أهوى من لغتكَ الشدو الشجي النوّاح ، والنبرة السريعة الحادة ، والهتاف الأبيّ الحار ؟ ماذا تلمس فيَّ هذه اللغة العربية التي تنثرها شعوبك في مجاهل القفار ، وعلى الجبال والهضاب ، وعلى سواحلك وانهارك وجداولك ، ووراء القطعان في مروجك ، وقرب انين نواعيرك ؟

أية وديعة لها عندي حتى تثير لهجاتها فيَّ البكاء الحنون — كبكاء اللقاء بعد فراق طويل

طويتكَ الواسعة الخفية تستهويني، ايها الشرق، وتأسرني أنا الذرة الصغيرة بين ملايين الملايين من ذراتك . وتمرج فيَّ كل كيانك بصحاراه ورياضه ، بشواهقه وشواجنه ، ببداهته وعجزه ، بفضائله ونقائصه وبالقلوب المضطرمة فيه والنوايا الخالصة بين ابنائه

ألا نظرةً الى هذه السماء المخيمة عليك ببهاء العسجد واللجين والارجوان !

اجتازت فلوات الظمأ والخوف والوحشة والسراب والسكون . ومرّت بأبناء المشرق في أوطانهم في المدن والعواصم ، في السواحل والجبال والاودية ، عند القبائل المقيمة وعند العرب الرحل

مرّت تصيح في كل قوم : وأنتم ما حالكم يا أبناء الشمس ؟ أما سمعتم قعقعة القيود المتكسرة في الوادي الاخضر ؟ لقد تحطمت القيود الدهرية وأخذت تتساقط على وقع أناشيد الحرية . شعب الوادي يهتف ويثبت حقه على الحياة والحرية ، ألا فاصغوا الى صوته فقد ملأ المروج والبحار ! واطلقوا أصواتكم من حناجرها فقد انقضى وقت الرقاد !

* * *

أيها الشرق !

يا شرقي الكبير الرهيب الرؤوف ،

يا شرق الطرب والحميا والنخوة والشدة العاصفة كريح السموم !

انك لتتجمع تحت نظري كلوحة مصورة . فارى منك الفقر ، والجهل ، والاضطراب ، والاحتدام ، والانفعال . ليس فيك فيض الثروة ومعجزات الحضارة . ربوعك خالية

حياة اللغات وموتها

ولماذا تبقى العربية حيّة

(١)

اللغة والحضارة

الشعوب كالبحار : هـذه مدٌّ وجزر ولتلك ارتفاع وهبوط

للبحار موجات يأتين لاطمات الشاطىء بتجمُّع مياههن ثم يغرن في صـدر موجات متهجمات . وللشعوب مدنيات تنمو فتعلو الى ذروة المجد والسؤدد ثم تهبط الى منحدر الوهن والنسيان متخلية عما لديها من نظام وقوة وخبرة لمدنيات جديدات تحلُّ محلها

ما هو الداعي الى هذا التموج الدائم في مناطق المجهود البشري حتى تهلك عنده أشواطُ المدنية واحداً بعد آخر ؟ وما هي العوامل التي تجعلُ زاهر الامس اليوم يابسـاً ، وخصيب اليوم قاحطاً غداً ؟

لقد درس هـذه المسئلة الخطيرة علماء التاريخ والآثار

انها الجوّ الوحيد الذي أظلّ الرسل ، وما رضيت النبوات أن تنزل في غير هوائه

انك ، أيها الشرق ، اصطُفيت لتكون أرض الابطال ومنشأ الجبابرة

لقد حقّت لك الراحة ثلاثة قرون بعد ازدهار عشرات القرون . لقد حق لمدّك السّني المحسن ان يجاري ناموس الكون فيتخاذل في جزر محتوم . ولكن ها قد آن ان ترتفع موجتك الجديدة وتمتد ! ها قد جاء وقت النهوض : فالى النهوض رغم النوائب والمثبطات ! الى النهوض !

حولك الاقوياء يتكافحون ويجاهدون ويغنمون . وهم رغم ذلك يئنون في الظلام : « هناك فجر منتظر لم يلح بعد ! »

وكيف يلوح الفجر قبل ان يستنير المشرق ؟

أنت برج الفجر ، أيها الشرق ، أنت مزجي الاشعة !

فقم واعمل ! قم وارقب من أي أنحائك يلوح مشعل الضياء !

(٢)

عند اليونان

تاريخ بلاد الاغريق هو الفصل الاول من تاريخ المدنية الحديثة . ومنه استمدَّت أوربا مبادىء العلم والفلسفة والآداب . وما كانت تتمتع بهِ المدن اليونانيـة من حرية واستقلال مثلٌ أعلى يتطلع اليـهِ المفكرون والمصلحون ، وتنشدهُ الحكومات الحديثة الحرّة . ذلك لأن اليونان بدأوا بحل المشاكل الفلسفية والعمرانية ومعالجة بعض القضايا العامية التي تضطرب لها اجيالنا

مرّت عصورٌ لم يكونوا فيها الاّ منفعلين بحضارة الكلدان والمصريين والسوريين اذ كانت شواطىء النيل والفرات منذ زمن بعيد محطّ مدنيات قد وصلت الى أوج العظمة والاقتدار . لكن جاء يوم قاموا يناهضون تأثير الفينيقيين فيهم ليفسحوا المجال لمدنيتهم القوميـة . فارتقوا ارتقاء باهراً وبسطوا سلطانهم على شواطىء البحر المتوسط . وبينا جيوشهم تنشر أعلامهم على بلاد يفتحونها ويستعمرونها ، كان أهلُ البلاد اليونانية يعيشون عيشة هنيئة مستمتعين بما

والعمران ففصّلوا لذلك الاسباب ووضعوا لتعاليله المؤلفات الكبيرة . الاّ ان ابحاثهم لا تفيد في تلافي المحتوم على كل مدنية بلغت شأوها المنطّق ثم خضعت في هبوطها، كما في ارتقائها، لناموس التموّج الدائم . وليس في وسع المتأمل المخلص الا اثبات ما قد تتابع وقوعهُ منذ فجر التاريخ : وهو أن الشعوب تخلف الشعوب، والمدنيات تعقب لمدنيات، وانهُ في دوران الاحقاب لا بد أن يمسي الجديدُ قديماً وأن ينقلب القديمُ يوماً جديداً

كذلك تنتشر لغةُ قوم بانتشار حضارتهم فيسارع المغلوبُ الى تعلمها واتقانها ما استطاع . حتى اذا انحطت تلك الحضارة عاد ينكمشُ انتشار لغتها ودخلت مع الزمن في صف اللغات الميتة

ان هذا المقدور نفذ في جميع اللغات القديمة حتى التي يتصل عهدها بعهد اللغة العربية . لقد ارتفعت اليونانية واللاتينية بارتفاع مدنيتيهما وهبطتا معهما أو بعدهما بزمن يسير . فلماذا خرجت اللغة العربية من حكم ذلك المقدور، فظلت حية كل هذه القرون الطوال بعد تشتت دُولِ الفتوح واندثار العظمة العربية ؟

اما اللغة اليونانية ففرع من طائفة اللغات الهندية الاوربيــة كلغـات الفرس والهنـد وارمينيـا وليتونيا والقلت والجرمان والسـلاف . وقـد استعملت أولاً في بلاد الاغريق الاوربية ثم امتدت الى شواطىء آسيا الصغرى ، والى الجزر التي كانت تأتيها السفن للاستراحة في رحلاتها بين القارتين الاسيوية والاوربية . ولمـا تعددت مستعمرات اليونان على شاطىء البحر المتوسط انتشرت لغتهم فاصبحت لغة ايطاليـا الجنوبية ، واكثر جهـات صقلية ، وبلغت قارة افريقيا يوم شادوا قيرين ، وبلاد غاليا يوم بنوا مرسيليا

اللغة اليونانيــة الاولى من أوفر اللغـات ثروةً تتجلى الفصاحة في رناتها الرقيقة ، والفاظهـا الانيقة ، وأساليبها الفخمة. وقد اكسبها تنوُّع تشكيلها وتحريك منطوقها رخامة في مقاطع الاصوات ، وموسيقى لفظية في التعبير عن الافكار والعواطف . وقد فازت بما لم تفز به اللغات الاخرى وهو أن لها مفردات خاصة باللغة الشعرية ومثلهـا للغة النثرية . وقد كتب بها بعد المتقدمين المدعوين « بالمدرسيين » ، علماء العهد الاسكندراني ، وآباء الكنيسة الشرقية ، وادباء بيزنطية منذ ملك يوستنيانس الى فتح

وضعتهُ جمهورياتهم من النظامات الديموقراطية والاستقلال القومي

ولما ان قام الفرسُ يهددون بلادهم الاوربية ، بعد فتح الاسيوية ، نهضت أثينا واسبارطة لردِ غارات المغيرين وأصبحت اثينا عاصمة المدنية اليونانية منذ القرن الخامس قبل الميلاد

غير أن منافسة اسبارطة لها ولدت بينهما الحرب البيلوبونيزية [1] الشهيرة التي انتهت بانكسار اثينا . ثم قامت طيبة تزاحم اسبارطة . وهذه الحروب المتوالية اضعفت المدن اليونانية ونالت من تضامنها واستقلالها ، فسطا عليها فيلبس المكدوني وأخضعها لسلطانهِ . واجتاح ولدهُ الاسكندر مملكة الفرس عدوة اليونان فضمها الى مملكتهِ الواسعة . الاَّ ان الاغريق انقسموا بعضهم على بعض بعد موت الاسكندر فاستنجد الايتوليون بالرومان فكان ذلك أول النهاية ، وصارت بلاد اليونان اقليما لاتينياً منذ عام ١٤٦ قبل الميلاد

* * *

---

(١) Peloponnesian War — هي الحرب التي دامت بين اثينا واسبارطة من سنة ٤٣١ الى ٤٠٤ قبل الميلاد وكانت نتيجتها تغلب اسبارطة على اثينا

ظل الادب والفن في تلك المنزلة الى القرن الرابع الا انهما فقدا عندئذ قوة الابداع والبداهة . فكان الرسامون والنحاتون قاصرين على نسخ التماثيل القديمة . وصار الشعراء يحتذون هوميرس وامثاله . غير ان الفلسفة لبثت تتألق في سماء مجدها مع الرواقيين ، والابيقوريين ، والمشائين ، والمرتابين ، وانصار الافلاطونية الجديدة . كذلك كانت علوم التاريخ واللغة في ازدهار

* * *

اخضع اللاتين اليونان فاعطاهم هؤلاء مدنيتهم الفريدة ، وباحتكاك الفكرين لطف الفكر اللاتيني وسما سمواً عظيما . ثم انشطر العالم الروماني الى شطرين : عاصمة أحدهما روما ، وعاصمة الآخر بيزنطية (١) وقد زاد الاختلاف الديني في هذا التباعد . فمن الناحية الواحدة اليونان وتلاميذهم السلاف . ومن الناحية الأخرى اللاتين وتلاميذهم الجرمان والانجلوقلتيين . ولم تتلاش اللغة اليونانية تماماً بعد سقوط بيزنطية ، بل ظل شعب الاقاليم يتكلم خلال القرون الوسطى لغة اصطلاحية مشتقة من اليونانية القديمة ومن تلك اللغة الاصطلاحية استخرجت اليونانية الحديثة

---

(١) اسم الاستانة قبل أن يطلق عليها اسم القسطنطينية

ولقد تلقينا ما ثر اليونان في الفلسفة والفن والادب عن طريق هذه اللغة . فيها نشأ الشعر القصصي الحماسي (Epic) بأشعار هوميرس الايلياذة والاوديسا ، وقصائد هيزيوذس . وبرز الشعر الغنائي (Lyrice) ذو الوسمة الدينية أو السياسية أو الرثائية ، مع صولون وسافو وانا كريون وغيرهم . ولما جاء العصر الشهير المدعو بعصر بركلس[1] سما النتاج الفكري الى درجة الاتقان العظيم في الروايات المفجعة مع اسخيلوس وصوفوقليس واوربيذس ، والروايات الهزلية مع ارستوفانس ، والتاريخ مع هيرودوتس وثوسيديدس وزينفون ، والفلسفة مع افلاطون وارسطو ، والبلاغة مع خطباء الاطيقيين . هؤلاء وغيرهم جعلوا الآداب اليونانية آيات ينسخ عنها الناسخون

وبدا الفن بجماله الساذج الأنيق سواء في هندسة البناء والنحت والرسم

---

(١) Pericles هو خطيب وسياسي اثيني وكان رئيساً للحزب الديمقراطي . فاصلح البحرية وتابع الفتوحات وحصن اثينا وشاد البرثينون وقد نشط الفنون والاداب حتى استحق ان يسمى باسمه أعظم عصر عرفته بلاد اليونان في ارتقائها (٤٩٩ ـ ٤٢٩ قبل الميلاد)

ولما اتحدت كلمة روما وملكت أمرها في الداخل، كبرت مطامعها في الاستيلاء على انحاء جديدة. ففتحت جميع جهات ايطاليا وزحفت الى الشرق فهدمت قرطاجنة العظيمة، وحوّلت بلاد الاغريق الى اقاليم لاتيني، غير انها رحبت بالنفوذ الفكري من هؤلاء الاغريق الذين كان سيفها قد غزاهم.

ولما عادت المنازعات الداخلية تبلبل احوال الجمهورية تولى اكتافيوس إدارة شؤون الدولة فاصبح سيد العالم القديم، ونودي به امبراطوراً باسم «أغسطس» يجمع في يده كل اقتدار وسلطة وتشريع

ثم انتقل الصولجان الى القياصرة. ورغم ما تخلل ايام حكمهم من ثورات عسكرية، فقد أصبحت روما بعد اخضاع الاغريق، عاصمة الشرق والغرب فسميت «سيدة العالم».

وتكاد تنحصر عظمتها الخطيرة في القرون الاولى من عهد الامبراطورية لانها كانت حقاً عاصمة العالم اذ كانت دماغهُ المفكر، وقلبهُ الخافق، ويدهُ العاملة. وليس من مدينة أخرى، حتى ولا انطاكية والاسكندرية، لتقوى على منافستها وادعاء ما لها من الشأن والفخار

واصبحت النصرانية في عهد قسطنطين (٣٠٦ــ٣٣٧) دين روما الرسمي وقد أخّر حزم ذاك الامبراطور زمناً سقوط

اما اليونانية القديمة فقد دخلت في عداد اللغات الميتة منذ زمن طويل ، ولا يعنى اليوم بدرسها الا بعض العلماء ، ويدرس مبادئها بعض الطلبة في الجامعات الكبرى . وقد قلّ الذين يجيدونها بين الاكليروس اليوناني على استعمالها في الطقوس الدينية

(٣)

عند اللاتين

يبتدئ التاريخ الروماني بدور هو أقرب الى الاساطير المبتدعة منه الى الحقائق التاريخية الراهنة . ويخمن المؤرخون تتابع ملوك سبعة ملكوا في خلاله من عام ٧٥٤ (؟) الى عام ٥١٠ قبل الميلاد . وفي ٥١٠ اعلنت الجمهورية في روما وقد أدّى ذلك بالامة الى ايجاد نظامات جديدة كالقنصلية ، والتشريع ، واضافتها الى ما كان عندها من نظامات سابقة كطبقة الاشراف وامتيازاتها ، وجمعية المقاطعات ، ومجلس الشيوخ الخ . وعقب الانقلاب منازعة طويلة بين الاشراف والعوام لم تنتهِ الا بفتح أبواب التشريع للشعب

على أن اختلاطهم باليونان بثّ فيهم الميل الى الاقتباس والاستيحاء والرغبة في ايجاد الآداب الكتابية. فكان الشعر اللاتيني في بادئ الامر يحتذي الشعر اليوناني في الاساليب والموضوعات ، أو يكتفي بنقله الى اللاتينية معنىً ومبنىً

وكان المؤرخون اول الناثرين . وأشهرهم كاتو الرقيب[1] الذي وضع تاريخ أمهات المدن الايطالية . ووضع آخرون تواريخ عامة أو خاصة في الشعوب اللاتينية ، وهم في الغالب يتحدون مؤرخي الاغريق في سياق الكلام وتصنيف الفصول وتبويب التآليف . وقد ظلت البلاغة اللاتينية على جفوةٍ وحوشية مدة طويلة فما ان استوحت الاغريق حتى انقلبت فناً مرناً جزلاً استمر يصقلُ ويتكامل بفعل بيانهم . وكان نظام روما السياسي ملائماً لفن الخطابة اذ كانت أساليب الكلام متوفرة للمحامين والمتشرعين

ولقد كانت بلاد اليونان مدرسة روما لأنّ شبان اللاتين العازمين على الاشتغال بالمحاماة واعتلاء المنابر كانوا يقصدون الى مدارس اليونان الكبرى لاتمام دروسهم وتثقيف مواهبهم . كما أن كثيرين من الاغريق كانوا يدرّسون

---

(١) Caton le Censeur سياسي ومؤرخ روماني

المدينة العظيمة . لكنّ الذين خلفوهُ هبطوا بها الى دركات التقهقر والاهمال . فما مرّت فترة حتى ثلمت أسوارها حرابُ الهاجمين واندكت جدرانها أمام غارات الفاتحين

***

اللغة اللاتينية كاليونانية شعبة من شعب اللغات الهندية الاوربية . وهي التي تكلمها جنود اللاتين والمستعمرون من الرومان فحملوها الى جميع انحاء الدولة ونشروها في كل بلد فتحتهُ جيوشهم . فتولدت منها اللغات اللاتينية الجديدة (Néo latines) كالفرنساوية ، والبرفنسالية ، والاسبانية ، والبرتوغالية ، والايطالية ، والرومانشية (واللادينية) ، والرومانية (Roumain) . ويظن علماء اللغات أن هناك وسيطاً بين اللاتينية الاصلية واللغات الحديثة المشتقة منها وهو اللغة الرومانية (langue romane) المحضة وهي شديدة الشبه بالفرنساوية والبروفنسالية

سبق القول ان روما قبل أن تتأثر بالمدنية الاغريقية لم تكن على شيء من الآداب اذ يتعذر اطلاق هذا الاسم على بعض الاناشيد الدينية ، والنكات المبتذلة ، وفن الايماء أو التخييل (pantomime) الذي كان يطرب لهُ اللاتين طرباً شديداً

فن اللاتين كآدابهم منقول عن الفن الاغريقي . الا انهما يختلفان في ان الاوّل يقلد الثاني بلا امانة ثم يخلطهُ بصنوف فنية أخرى فيحرمهُ قالبه المجرد وبساطتهُ الانيقة . والزخارف القليلة التي كان يستعملها الاغريق بمنتهى التحفظ كان الرومان يغدقونها على ابنيتهم وصروحهم بلا حساب . بيد ان الآثار الرومانية اذا كانت دون الآثار اليونانية دقة وسذاجة فهي لا تعدم عظمة وجلالا يلقيان التهيب في نفوس الناظرين

وامتاز فن النحت في روما بما لم يكن ليعنى بهِ الاغريق كثيراً وهو تماثيل الاحياء . لأن من عادات الرومان قبل اتصالهم باليونان انهم كانوا يحفظون في منازلهم صور آبائهم وجدودهم . وكانت تلك الصور والتماثيل تصنع من الشمع او الخشب . ثم تحسنت بانتعاش الفن فصارت تحفر في الرخام . والرغبة في التزلف الى القياصرة وتملق الكبراء كانت تؤدي الى الاهتمام بتماثيلهم ووضعها في الابنية العمومية وصروح الحكومة . ومن هنا تعدُّد التماثيل اللاتينية والباعث على اتقانها

اما في غير ذلك فقد قال الشاعر اللاتيني : « ان بلاد الاغريق المغلوبة أغارت على قاهرها فاكتسحتهُ في دورها»

في روما فن الخطابة والالقاء . وتدل كتابات العهد المدعو «بعهد أغسطس» (أي آخر قرون الجمهورية) على أن المؤلفين كانوا مطلعين على أشهر مصنفات الاغريق من شعر ونثر وأنهم يقلدونهم صراحاً . وفي مقدّمتهم شيشرون العظيم تلميذ اليونان في الخطابة والكتابة والفلسفة جميعاً . ومثله المؤرخون ، والشعراء على وجه خاص

لكنّ هذا لا يعني ان الآداب اللاتينية حاشية معلقة على هامش الآداب اليونانية . بل كان لها طابعها الخاص لانها كانت اكثر من تلك امتزاجاً بالاحوال العمومية واظهر لشؤون الامة . ذلك ان معظم الكتّاب من خطباء ومؤرخين وفلاسفة قاموا بأدوار سياسية فكان لعلمهم وآرائهم وخبرتهم أثر فعال في مصالح الدولة . وكفى ان يذكر منهم شيشرون ، وقيصر ، وماركس اوريليوس ، وتاشيتوس ، وپلينوس الاول ، وپلينوس الثاني ، ليثبت لنا ما تقدم . ولما كانت الآداب اللاتينية ذات اتصال بالحركة السياسية كان اللاتين جاهلين اتباع الفن لذاته الامر الذي كان رائد اليونان في معظم آدابهم وفنونهم

* * *

والذرة ، والعـدس ، وقصب السكر ، وشجر النارجيل (جوز الهند) وانواع الطيوب العربية على اختلافها . غير انها بعيدة عن اوساط التمـدن والعمران ، بعيدة عن تأثير الاغريق ونفوذ الرومان . فايّ سرّ أوجـد تلك الحضارة التي انتشرت بسرعةٍ لم تظفر بها حضارة فعبرت من قارةٍ الى قارة تحمل عزّ العرب باسطةً تمدنهم على آسيا ، وافريقيا ، وبعض اوربا . جالبة ثروة ، وعلماً ، وانتعاشاً حيثما نشر القوم اعلامهم ؟

تنتمي اللغة العربية الى طائفة اللغات السامية وهي ثالث فروع أصلية ثلاثة : الآرامية والكنعانية والعربيـة . فالآرامية تشمل الكلدانية والسريانية والاشورية (الميتة منذ زمن طويل) وهي لغة عامية يقال ان السيد المسيح كان يخاطب بها تلاميـذهُ . وتتكون الكنعانية من العبرانية والفينيقية : فالعبرانية لغة اليهود المقدسة . ومع انها تختلف اليوم كثيراً عن العبرانية الاصلية ، فانها ما زالت مستعملة عنـدهم في الطقوس الدينية . ولهجة من الفينيقية (وهي البونيقية) استعملت مدة طويلة في قرطاجنة وعلى شواطىء اسبانيا ، ولها بالعبرانية قرابة لفظية شديدة

اما العربية فتشمل العربيـة الفصحى ولهجات مختلفة

(٤)

عند العرب

سقطت روما العظيمة فتساءل العالم أي شعب قدِّر له أن يحمل مصباح الحضارة باعثاً بأشعته الى القارات الثلاث. فاذا بحركة جديدةٍ تنشأ في ارض بعيدة بين قوم جهلت اسماءهم سجلات التاريخ

قضت مدنيةُ الاغريق طفولتها في حضن المدنية الفينيقية. ثم دفع اليونان الاسيويين عنهم فنمت مدنيتهم وترعرعت في ارض خصيبة، جميلة الموقع، معتدلة الهواء، عذبة الماء. ثم نسخ اللاتين مدنية الاغريق مكيفيها في قالب يلائم سليقتهم ويتمشى مع روح لغتهم. وقد كانت بلادهم في منطقة تسهل لأهلها الانطلاق الى الخارج وبسط سلطانهم على ما حولهم

ولكن كيف تكونت المدنية العربية، وهي التي انبثق نورها الاول في شبه الجزيرة حيث تستعرُ الرمضاء ليل نهار؟

نعم ان بعض الجهات الساحلية مثل اليمن والحجاز وحضرموت كثيرة الخصب تنتج البنّ، والقطن، واللبان، والمرّ، والندّ، والبلح، والموز، والمشمش، والحنطة،

الذكر المحفوظ لهم على فوزهم الحربي فحسب ، بل الخلافة العربية مدينة بعظمتها للآداب والعلوم اكثر منها لمضاء السيف وتعدّد الفتوحات

ففي القرون السبعة الاولى التي بدأت بالدعوة الى الاسلام والهجرة من المدينة (عام ٦٢٢ للميلاد) ، وامتدت الى القرن الثالث عشر ، يشهد المؤرخون لمدنية من اعظم المدنيات التي عني باثباتها تاريخ الآداب . فيها كان الشعراء والادباء والعلماء والمؤرخون والفلكيون على اختلاف طبقاتهم ونحلهم يتسابقون الى اصقاع أظلّها العلَم العربي فصارت وجهة الطالب وكعبة الباحث . كانوا يذكرون حث النبي على طلب العلم ، وقوله ان الذي يسير في سبيل طلبهِ انما هو مسهل امامهُ طريق الجنة . يذكرون ذلك فيتقاطرون من كل الامصار من المغرب الاقصى والهند وجاوه والقوقاز وتركستان . فيقطعون البحار الواسعة ويطوون الجبال والوهاد وراء القوافل الكبرى ووجهتهم المساجد الشهيرة في مكة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة . لأن الجامع لم يكن مكان الصلاة فقط بل كان (وما زال في اكثر البلاد الاسلامية) ملتقى العلماء ومجمع المتباحثين ومدرسة المتعلمين . فتقوم ثمت المناظرات في الموضوعات

تكلمتها القبائل القاطنة في جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وغيرها . وهي اللغة التي فازت بالبقاء على حين اخواتها وبنات عمها طوين في عالم النسيان منذ امدٍ مديد

ظلت العربية منزوية الى اواسط القرن السادس فبرزت بغتة تتمتع بقوة بالغة اشدّها . فما عرف لها التاريخ ادوار الطفولة والنمو . وذلك لا ينفي انها قد تكوّنت في زمن بعيد القدم ، او انها قد تكون شعبة من لغة ساميّة سابقة فُقدت في مجاهل التاريخ . لأن بعض خصائصها اللغوية (كجمع التكسير مثلا) يميزها عن العبرية والارامية فيجعلها أشمل منهما للمعاني وأوفى للاغراض . ومن ذا الذي لم يسمع بغناها في المفردات والمرادفات ؟ ذاك الغنى الذي يعدُّ عجيباً اذا ما قوبل بفقر اللغات السامية الاخرى

بدت العربية في القرن السادس لتكون لسان الحضارة الجديدة . فانطلقت من شبه الجزيرة تنقل الى الامصار القصية مفرداتها ومميزاتها وجابت الاقطار ناشرة لهجاتها المختلفات من اطراف جزر الهند الى اواسط القارة الافريقية

* * *

لم تقمْ سطوة العرب في ايام مجدهم وعزيز

بالخلفاء ويفردون للعلم والادب مكاناً من حياتهم وحياة قومهم

ولقد عني العرب بالتاريخ عناية خاصة لانهم شعروا باحتياجهم اليه لتدوين مايقع من الحوادث في صدر الاسلام وما يلقاه الدين الجديد من المقاومة أو الترحاب . اما العلوم اللغوية فقد كان لها عندهم شأن لم يكن لعلم آخر . وسرعان ما وضعوا قواعد الصرف والنحو للغتهم الزاخرة . في حين أن الاغريق وهم مهذبو الامم الاوربية ، لم يفرغوا من وضع اصول غراماطيقهم [1] الاّ بعد انتقالهم الى خارج بلادهم يوم جازت حضارتهم الى وادي النيل فقامت بها عظمة الاسكندرية

وما قيل في الرومان من حيث تأثير الاغريق في مدنيتهم ينطبق على العرب بعد فتح بلاد فارس . لأن التمدن الفارسي

---

(١) الفلاسفة والمناطقة هم علماء الغراماطيق الاول عند الاغريق. منهم أفلاطون في محاورتيه مع كراتيلس و السفسطائي . وارسطو في كتابه في الخطابة ، وفلاسفة الرواق . الا ان جميع هؤلاء كانوا يهتمون بفلسفة الغراماطيق اكثر من اهتمامهم بالغراماطيق نفسه . وقد دعي ارستوفانس البيزنطي ابا الغراماطيق وهو أول من استعمل الحركات في اللغة اليونانية . ولم يفرغ الاغريق من وضع جميع اصول غراماطيقهم الا في العهد البيزنطي

السياسية واللغوية والدينية

ويجـوز القول في الذين كانوا يهتمون بتلك المناقشات اهتماماً يدفعهم الى تدوين خلاصـة ما يسمعون في صحائف يوزعونها على فريق دون آخر — يجوز القول فيهم انهم كانوا الصحافيين الأول . وقد كانت جميع احوال الدولة داعية الى اثارة هذه النهضة الفكرية . فالاحتكاك المتواصل بالشعوب الغريبـة ، وعيشة المدن الكبيرة ، وثروة الدولة المتزايدة ، ورفاهية الحيـاة الفردية الناتجة عن الفتوحات الواسعة ، كل ذلك كان دافعاً بالمدنية الادبية الى الامام

منذ القرن الثاني للهجرة اخذت تلتئم الاجتماعات العلمية في مدن الشام والعراق ، في دمشق والبصرة والكوفة على وجه خاص . فكان عهد الخليفة المنصور عهداً زاهراً تقدمت فيه الآداب ، وارتقت الافكار ، وترجمت المؤلفات الهندية واليونانية في الفلسفة والآداب والعلوم . فتعددت المكاتب العمومية وغصت قاعاتها بالطلاّب والمطالعين . وكان كل خليفة وكل امير يفاخر بما انشأهُ من المكاتب وبعدد ما جمعهُ من نفيس الكتب . ولما كان الخلفاء يبتاعون الكتب بوزنها ذهباً ، ويفسحون صدر مجالسهم للشعراء والعلماء ويجزلون لهم العطاء ، كان الاغنيـاء والاعيـان يقتفون

لـكن العرب الذين كانوا يستنكفون عيشة الحضر هبطوا الاودية الخضراء ، واستوطنوا المروج الفيحاء في جيرة الفقراء والفلاحين . وقد زاوجوهم فامتزجت المشارب واتحدت القلوب، فترك الغالب في حياة المغلوب أثراً بيناً من حيث تحسين الاحوال وتسهيل المعيشة ورفع مستوى الادراك . فان الآداب والعلوم والصناعة والثروة والامان كانت تحل أينما حلت مدنيةُ العرب . وقد كانت سوريا ومصر وشمال أفريقيا والاندلس أوساطاً سعيدة للدأب والنشاط بينا كانت اقطار اوربا في حالة اشبه بالهمجية . ويوم كان الغرب جاهلاً وجود الشرق الاقصى ، ولا يعرف من افريقيا الا بعض سواحلها القريبة ، كانت قوافل العرب وسفائنهم تحملُ تجارتهم الى الهند وجاوه والصين واواسط افريقيا والجهات القصية من اوربا كروسيا واسوج والدانمارك

عرفت اوربا العرب بفتوحاتهم الواسعة . ولم تكن لتصدق في بادىء الامر ان سكان البادية يحسنون شيئاً غير النهب والسلب والتخريب . على أنها الفت مع الزمن وجودهم في الاندلس . ولما ان رأت اسبانيا مستمتعة بعيشٍ رغيد في أمان وسلام ، أرغم أهلها على الاقرار بان العرب

القديم قد صُبَّ في التمدن العربي الحديث وما كان أن امتزج بعناصر بيزنطية . ومن ذلك الخليط المختلف ، المتناقض احياناً ـ حيث تلاقت آثار مكة ، وسوريا اليهودية والمسيحية ، وبيزنطية ، وبلاد فارس وبلاد الاغريق ، (هذه فيما يتعلق بالعلوم والفلسفة فقط) نشأت مدنية سبكت في قالبٍ خاص فبدت للملأ مدنيةً قومية عربية

لم يعنَ الفن العربي بالصور والتماثيل . و النحت العربي كالرسم مقتصرٌ على تنميق الحروف الكتابية . انما العرب اجادوا في نوع من هندسة البناء بدأوا باقتباسه عن الفرس ثم مزجوه بخصائص بيزنطية . وقد راج ذلك الفن رواجاً عظيماً في اسبانيا فبنيت طبق أصولهِ « الحمراء » في غرناطة ، وجامع اشبيلية ومأذنته الباذخة . ويمتاز البناء العربي باقواسهِ الانيقة ، وأعمدتهِ الهيفاء ، وتخريمهِ الدقيق وبزخرف كله رونق وبهاء . ومن اجمل آثاره مساجد الاستانة وقرطبة ومصر

كان اليونان واللاتين قد سبقوا العرب الى غربي آسيا وشمالي افريقية . الا ان نظاماتهم وعاداتهم لم يكن لها نصيب في حياة الشعب ، ولم يقتبس بعضها الا سكان المدن الكبرى وبقي اهل الارياف في ذلهم وبؤسهم يرتعون

نقلا عن مجلة « كونكست » الانجليزية . جاء فيه « ان العلم الحقيقي دخل اوربا عن طريق العرب لا عن طريق الاغريق فقد كان الرومان أمة حربية وكان الأغريق أمة ذهنية . أما العرب فكانوا امة علمية

« فانهم غزوا ممالك الشرق مثل الهند وفارس وبابل ، وتعلموا منها كل ما استطاعت هذه البلاد ان تقدمه لهم . ولم يقتصر علمهم على الصنائع اليدوية مثل النسج والدباغة والصياغة التي اشتهر بها الشرق . ولكنهم تعلموا أيضاً جميع ما يمكن تعلمه من الهندسة والطب والميكانيكيات

« وقد أحرق البطريرك كيرلس مكتبة الاسكندرية في القرن الخامس فهجر آلاف من العلماء تلك المدينة الى فارس واستوطنوها . فلما ظهر العرب عادوا فجمعوا تلك المعارف المشتتة ، بل أضافوا اليها

« ثم انتشروا في الغرب ، وجازوا البحر الى اسبانيا حيث لا يزال شاهداً على عبقريتهم كاتدرائية قرطبة والحمراء وقد كان سكان مدينة قرطبة يزيدون عن المليون في القرن الثالث عشر . وكانت شوارعها مبلطة ومضاءة . وكان فيها ما لا يحصى من الحمامات . وكان فيها نحو مائة مستشفى عمومي . ولعل القارىء يدرك قيمة ذلك اذا عرف ان شوارع

بارعون في فنون السلم كما انهم متفوقون في فنون الحرب . وما تأسست جامعة قرطبة العظيمة وطارت شهرتها الى ما وراء جبال البرنات ، حتى توارد علماء الفرنجة يطلبون العلم على علماء المسلمين

ومن بين قاصديها رجل فاضل كان يدعى (Gerbrt) تلقن العلم من اساتذة العرب وذلك لم يحل دون ارتقائه كرسي البابوية الجليلة بعد سنوات باسم سلفستر الثاني . لانه كما قال روجر باكون الراهب الفرنسيسكاني وهو نابغة كبير من نوابغ القرون الوسطى، اذ اوصى في كتبه بدرس اللغة العربية: « ان الله يهب الحكمة من يشاء . فلم ير اعطاءها للاتين لذلك لم تزهر الفلسفة الا عند شعوب ثلاثة : اليهود والاغريق والعرب »

ومعلوم ان اوربا مدينة للعرب بكتب جمة نقلها اليهود من العربية الى العبرية ثم ترجمت الى اللاتينية ومنها الى اللغات الاوربية الحديثة . كما أن فلسفة ارسطو لم تصل الى علماء القرون الوسطى الاّ عن طريق العرب وبعد تراجم اربع : من اليونانية الى السريانية ، فالعربية ، فالعبرانية ، فاللاتينية

وقد نشر الاستاذ سلامه موسى في جريدة « البلاغ » المصرية مقالا عن «العلوم والحضارة ، ونصيب العرب فيها »

عادوا الى بلادهم يحملون بعض أنظمة العرب التي اطلعوا عليها في رحلتهم . فاقتبسها الاوربيون وقدروها قدرها . وعلى ذلك الاساس العربي المتين أقامت أوربا صرح مدنيتها الحديثة

(٥)

لماذا تبقى العربية حية

من هو المنبه الي تكوين هذه المدنية القومية ؟

هو فتى كان بالامس يقصد الشام في عير قريش للتجارة وهو اليوم محمد النبي العربي ورسول المسلمين

أما مصدر تلك الحضارة فهو القرآن

لقد ذاع القرآن بسرعة لم يظفر بها كتاب قبله ولا بعده . ولم يقصر انتشاره على الشعوب التي نزل بينها وتوافقت تعاليمه ومدركاتها وطبيعتها . بل خضعت له بعدئذ أمم لها من حضارتها السحيقة ما قد كان يُعدُّ كافياً للتفلّت من سطوته ورفض الاذعان لأحكامه

ولقد أوجد القرآن ديناً عربياً ، ودولة عربية ، وأحكاماً عربية ، وآداباً عربية صارت كلها أجزاء قومية واحدة ربطت شعوباً لم تكن العربية لغتها . لذلك قال جماعة من

باريس لم يوضع عليها البلاط الا في ختام القرن الخامس عشر ولم يكن في لندن في نصف القرن السادس عشر مصباح واحد في شوارعها . أما الحمامات والمستشفيات فلم تعرفهما هاتان المدينتان الا بعد قرون

« فنحن مدينون للعرب باستكشافاتهم العلمية اكثر مما نحن مدينون لهم بثقافتهم او فنونهم . فهم روّادالزراعة العلمية والتربية العلمية للدواجن . وقد زادوا معلوماتنا عن الكيمياء ونواميس البصر ، وعرفوا حمض الكبريت وحمض النيترات . وهم الذين علمونا الحساب والجبر وأضافوا الصفر الى الأعداد الهندية التسعة . وكان الناس قبلاً يعتمدون على الهندسة في تقديراتهم ، فاخترعوا الحساب الاعشاري . وكان علماء العرب يعتمدون على المشاهدة في أبحاثهم بخلاف الاغريق فانهم كانوا يعتمدون على الفلسفة . ولكن العلم لا يرقى الا بالمشاهدة والتجارب . وقد استعمل العرب المغناطيس كما انهم استخدموا البوصلة في الملاحة » اه

كذلك أدّى العرب الى الانسانية ما على الامم الكبيرة من واجب النفع والافادة . انتشرت لغتهم وحضارتهم أيما انتشار فكانوا صلة أمينة صلة خير وضياء بين العصور الخالية والقرون الحديثة . ولما هبط الصليبيون الشرق

أبحاث الفلاسفة ومناظراتهم فكانوا بما نقلوا وما اوجدوا اساتذة الفلسفة الحديثة

سبق القول ان قد اشترك مع العربية لغتان آخريان بكونهما قوميتين نشرتا عقيدة دينية ، مذهباً سياسياً بين شعوب مختلفة . أي اليونانية واللاتينية . فقد كانت اللاتينية مستعملة من اسبانيا في ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ، ومن نهر الرين الى جبل الاطلس . واستعملت اليونانية من أقاصي صقلية الى شاطىء دجلة والفرات ، ومن البحر الأسود الى تخوم الحبشة . لكن ما أضيقهُ انتشاراً اذا ما قوبل بانتشار العربية التي امتدّت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء ، وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتر ! أما اللغة الفصحى فقد استولت على جميع انحاء الشرق الاسلامي . وان لم تكن لها الغلبة كلغة كلامية على بعض اللغات في الشرق والشمال ، فقد أوجدت تبديلاً محسوساً في الفارسية والهندية والهندستانية والتركية ولغات أفريقيا ولهجات التتر . كذلك في اللغات الحديثة المشتقة من اللاتينية أو المقتبسات منها ، كلمات كثيرة ذات أصل عربي

لقد عُدّت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة

المؤرخين ان التمدن العربي كان تمدناً اسلامياً صرفاً .
والقرآن مصدر جميع العلوم التي عني بها المسلمون في أوج حضارتهم . فلتفسير آياته وسوره وجدت علوم الكلام وعلوم المنطق . ولتفهّم ما فيه من نظام وتشريع وُجدت علوم الشرع والفقه . ولم تكن غاية المؤرخين الاولين من العرب الا تحديد وقت نزوله وتدوين الاحاديث النبوية

ثم أليس الجغرافيون الاول أو علماء المسالك والامصار ، هم الذين مضوا من أقاصي أفريقيا وآسيا لتأدية فريضة الحج ثم عادوا يصفون رحلاتهم وما رأوه في البلاد البعيدة من الجديد غير المألوف ؟ ألم يكن غرض علماء اللغة ايضاح ما غمض من آي القرآن وتطبيق قواعد الصرف والنحو على نصوصه ؟ ألم تطلب ارصاد الفلكيين وعمليات الرياضيين لتحديد ساعات الصلاة وتوقيت مواعد الحج والصوم ؟ ألم تستدع مسائل الوقاية الصحية والنظافة اهتمام الاطباء كما ظلّت بعد تحثهم على البحث والتنقيب ؟

نعم لم يهتم العرب في ذلك الدور بعلم من العلوم الاّ لأن آيات القرآن قضت بمعرفته لاجتلاء معنى غامض ، أو شرح قول مستغلق . ومذاهب علماء الكلام هي التي نبهت

والمجمع اللغوي؟

نعلم أن المجمع اللغوي كان يلتئم كل اسبوعين اثنين في دار الكتب المصرية بدعوة من المدير السابق . وان هذه الجلسات ظلت تنعقد في الشتاء الماضي حتى جاء الصيف ولفحت لوافحه . فانحلّ المجمع وانطلق « يصطاف » في اشخاص اعضائه الموقرين، على الشاطئ ذي النسيمات العليلات

ولما انكسرت شوكةُ الحر ورجع الناس من مصايفهم عاد المجمع الى الالتئام في دار الكتب ، وكلٌّ من لجانه تشتغل على حدة لعرض خلاصة أبحاثها على هيئة المجمع . لكن ما كان ان استقال الاستاذ لطفي بك من ادارة المكتبة . وقد مرَّ على هذه الاستقالة شهرٌ دون أن يلتئم المجمعُ ودون أن نقرأ عنه في الصحف شيئاً

فأي خطب دهاهُ ؟

يتحمس الناس عندنا لمسألة في بادئ الأمر تحمساً أحسن ما يقال في تعريفه أن الفرنجة ينعتونه « بالشرقي » . حتى اذا ابتعد موجد الفكرة وواضع اسها عن ميدان العمل لسبب من الاسباب، هبط المشروع وتفككت اجزاؤه .

منذ سقوط مدنيتاها . فما الذي حفظ العربية حية بعد زوال مدنية العرب بقرون سبعة ؟

ان الذي كان باعثاً على تكوين المدنيــة العربية هو هو الذي ما زال حافظها الى اليوم : هو القرآن

لذلك ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حياً وما دام في أنحاء المسكونة ثلاثمائة مليون من البشر يضعون يدهم على القرآن حين يقسمون

« الاجبشن ميل » تضحك

استهلت جريدة « الاجبشن ميل » الانجليزية هـذه السنة المباركة بضحكة مطبوعة ذات عنوانين انيقين يزينان العمود الخامس في الصفحة الاولى من عددها الصادر صباح أول يناير سنة ١٩١٩ . لقد أضحكها ما قلتُ عن المجمع اللغوي فترجمتهُ الى الانجليزية تحت هذا العنوان : « اهمال « الخالدين » في مصر » . ونشرت مقدمة وجيزة قالت فيها ان « تهاون أعضاء المجمع يترك اللغة العربية ملوثة بالالفاظ الغريبة . مثل بوستة وبيسكليت وتراموي وغيرها من الـكلمات التي تشوب صفاء اللغة »

ثم عادت فنقلت كلام « الاخبار » في تصريح فضيلة شيخ الجامع الازهر ورئيس المجمع اللغوي بان جلسات المجمع ستعود الى الانعقاد ، وانهم (أي الاعضاء) يبذلون جهدهم في ايجاد الفاظ عربية للمسميات الافرنجية

هذا التصريح اثبتته « الاجبشن ميل » بالحرف دون أن تعلق عليه بكلمة ، إلا انها جعلت له هذا العنوان الضخم الذي ينمّ عن بسمة الازدراء وراء لهجة الجد : « جهـد

كأن لا قيمة للفكرة نفسها ولا اهمية لها الا بأهمية مروّجها ودوام حضوره . في حين ينبغي أن تكون قيمة الرجل من قيمة مشروعه ، وأن يكون حضوره وغيابه سيان من حيث التأثير في العمل لأنه يظل في اطّراد على كل حال

فاذا كان لطفي بك موجد فكرة المجمع والداعي الى عقد جلساته قد ترك ادارة المكتبة للاندماج في الوفد المصري فأي علاقة للمجمع بذلك ؟ لم يكن للمجمع اللغوي صبغة رسمية ، ولا كان للحكومة تدخل في شؤونه ، رغم ان اجتماعاته كانت تعقد في دار تابعة لوزارة المعارف . فما دام متمتعاً بالحرية التامة ، ترى لماذا لا يتفق الاعضاء المحترمون فيما بينهم على الاجتماع في مكتبة احمد زكي باشا مثلاً ، أو في منزل أي عضو من الاعضاء الآخرين ، وكلهم من اهل الجاه كما انهم أهلُ علمٍ وفضل ؟

لماذا لا يتفقون على ذلك فلا يدعون هذا المشروع يغرق في الماء أو يطير في الهواء كأكثر مشروعاتنا الشرقية ؟[1]

---

(١) كتبت هذه المقالة والمناقشة التالية لجريدة « الاجبشن ميل » بتوقيع « خالد رأفت » وهو اسم مستعار بدلاً من « مي »

ما زلنا في الموضوع

يظهر ان اخواننا السوريين سواء في الوطن والمهجر قد وصلوا الى دور انشاء الروابط وتأليف المجامع . ففي نيويورك « الرابطة القلمية » ، وفي دمشق « الرابطة الادبية » ، وفي بيروت « المجمع العلمي » . وكلها خطوات صالحات ننظر اليها نظرة الرضى والاستحسان . ان لمثل هذه المجامع تأثيراً في اللغة من حيث التنقية والصقل ، فضلاً عن الانعاش والتنشيط

عندما أقرأ الكثير مما يكتب في هذه الايام أقف حائرة وبي استفهام ما عسى يكون حكم الاجيال المقبلة علينا ؟ اني أشعر في اكثر مطالعاتي العربية باني في ماضي اللغة العربية أو في مستقبلها . في ماضيها مع المحافظين الجامدين ، وفي مستقبلها مع المتهورين المجازفين

ولكن أين نحن من حاضرها وما اسم اليوم الذي نحن فيه ؟ ان السير على الاساليب العتيقة وتقييد الفكر بالاستعارات المتحجرة ، من جهة . والمجازفة في اعتناق كل جديد دون بحث ولا تمحيص من جهة أخرى ،..

المجمع الجهيد » . وهي تعني بذلك كلام الاستاذ الاكبر القائل : « اننا اجهدنا النفس كثيراً في سبيل اطلاق اسماء عربية على كثير من الآلات الزراعية وفي سبيل وضع تعبيرات عربية صحيحة بدلاً من عديد الاصطلاحات المتداولة »

لا لوم على الصحيفة الانجليزية . ولكن أتتفضل فتقول لنا لماذا هي تنظر الى هذا المشروع بعين المرتاب في نجاحه ، القائل ان لا ضرورة لهذا المجمع ولا فائدة من أعماله ؟

والاّ فما الذي يضحكها يا ترى ؟

لماذا لا يجوز للمجمع اللغوي ولكل كاتب عربي أن يؤثر استعمال الفاظ عربية دون التعبيرات الافرنجية ؟ أليست الحال كذلك عند جميع الشعوب ؟

ولو اقتصرنا على لغتها دون غيرها ألا تذكر « الاجبشن ميل » ان الانجليز أنفسهم يفضلون الكلمة السكسونية الاصل على الكلمة اللاتينية ؟ وان كبار كتابهم اذا وجدوا أمامهم كلمتين اثنتين تؤديان المعنى تماماً احداها سكسونية والاخرى لاتينية سارعوا الي استعمال الكلمة الاولى لأنهم يرونها أفصح وأبلغ ؟

فلماذا ينكر علينا ما هو في نظرهم عين البلاغة وكل الحق ؟

وتطورها بمقتضى ما يحيط بها من الاحوال ، وما يستحثها ويوحي اليها من المؤثرات

* * *

ولكن لماذا دعوا مجمع بيروت « المجمع العلمي » ؟ أليس انه تألف للبحث في شؤون اللغة والنهوض بالآداب العصرية ؟ فما « للعلم » وله والحالة هذه ؟

أعرفُ اننا اعتدنا اطلاق هذه الكلمة على علم اللغة ، كما نسمي العارف بأصوله « عالماً » . فعندنا في مصر مئات (ولماذا لا أقول ألوف ؟) « العلماء » في اللغة والفقه ، الحائزين لشهادة « العالمية » من الازهر أو من مدرسة القضاء الشرعي . ولكنهم ليسوا « علماء » بالعلوم الرياضية والطبيعية الخ . غير أنهم يتبعون نظاماً معيناً في ألقابهم وفي دراستهم جميعاً

أما المجامع التي تؤلف في هذه الايام ، وتُسنّ لها القوانين على الطراز الحديث ، فعليها أن تسمي الاشياء باسمائها دون ابهام ولا إشكال

* * *

في القاهرة مجمع يدعى « المجمع العلمي المصري » أنشأته الحملة التي صحبت نابوليون من الاختصاصيين في مختلف

يوقفاننا في موقف الحيرة والقلق ويجردان أدبنا العصري من طابع تطبع به الآداب عادة في كل دور من أدوارها

ولئن حق الانتقاد على دعاة الاسلوب العتيق الذين كأنهم ينكرون أنهم ولدوا بعد أولئك القدماء بعصور فليس ثمة ما يسوغ افساد اشتقاق اللغة وتصريفها والتساهل في قواعدها أو القضاء على روحها

انما الغرض من اللغة أن تكون آلة صحيحة لاظهار ما يراد اظهاره من فكر وعاطفة وبيان . انما الغاية منها ايصال المعنى الذي وضعت لاجله . والتردد في التعبير كثيراً ما يكون تردداً في ما وراءه من مادة فكرية وانشائية . فاذا وصلت اقلية راقية الى الكمال النسبي فكراً وتعبيراً ، وتيسر لها أن تكون ذات أثر في بيئتها ، قامت تحتذيها خاصة المتعلمين فاحتضنت أساليبها وتعلمت منها البحث عن أساليب جديدة

وهذه الاقلية تؤثر بدورها في غيرها . فيظلّ تفاعل الفكر واللغة في اطراد لمصلحتهما معاً . لأن هذا التفاعل أي تهذيب الفكر عن طريق التعبير ، وتهذيب التعبير عن طريق الفكر ، عامل أوليّ في تكوين آداب الاقوام

والآلات وتعريف المشاعر النفسية الخ

***

عقد المجمع جلساته الاولى في دار الكتب وبدأ أعماله بتعيين لجان تبحث في الشؤون التي عهد بها اليها . فهذه تبحث عن الاصطلاحات العلمية ، وتلك عن الاصطلاحات الفلسفية ، وتعنى غيرها بالمسميات السيكولوجية الخ . وقد رأيتُ قائمة حسنة « لمصطلحات علوم الفلسفة الحديثة » قدّمت الى المجمع من أحد أعضائه امين بك واصف . ثم جاءت الحركة المصرية تهزّ الامة منذ ١٣ نوفمبر ١٩١٩ . فاستقال لطفي بك من منصبه لينضم الى الوفد المصري المجاهد في اوربا لتحرير البلاد . وتمزّق شمل المجمع ، وتوفي بعض أعضائه ولم نسمع عنه بعدئذٍ خبراً

ولا أظنه عائداً الى الالتئام في هذه الايام العصيبة أيام المظاهرات والالوية ، أيام « فليحي » و « ليسقط » ، بين تشكيل الوفد الجديد وانتخاب أعضاء الجمعية الوطنية المقبلة التي ستكون بمثابة « برلمان » نيابي

السياسة هي الزي الذي تتزيا بهِ اليوم أفراد الامة . فمن عالم ماذا يريد ومجاهر بما يعتقد . ومن تابع هو سعيد بأن يسير أمامه قوم ليسير في اثرهم مع التابعين . . .

العلوم . وأعضاؤه اليوم خليط من وطنيين وأجانب وكلهم من صفوة العلماء في هذه الديار . يتطارحون في قاعته المحاضرات العلمية النفيسة . ثم « الجمعية الجغرافية » ومحاضراتها تبحث في حدود البلدان وطبيعتها وأخلاق أهاليها وعاداتهم . كذلك جمعية « الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع » تعنى بما ينطبق على اسمها ويدخل في دائرتها

أما المجمع الذي كان قصده كقصد المجمع البيروتي فكان يدعى « المجمع اللغوي » . ومن اعضائه الدكتور صروف واحمد زكي باشا والاب لامنس اليسوعي والمغفور لهما شيخ الازهر السابق وحفني بك ناصف . وقد دعى إلى انشائه احمد لطفي بك السيد يوم كان مديراً لدار الكتب

لقد كان لطفي بك عاملاً كبيراً في تكوين النزعة المصرية الحديثة . وكان له في « الجريدة » أبحاث خطيرة اجتماعية وقانونية وسياسية وفلسفية وأدبية . وقد عني باللغة عناية خاصة . ومن رأيه ادخال اصطلاحات المعاملات وما حسن من الالفاظ العامية في لغة الكتابة ، وقبول كل لفظة أجنبية ليس لها مقابل في العربية لتسمية الادوات

« ان المجمع اللغوي لا فائدة منهُ الا اذا جعل غايته تلقف جميع الكلمات الشائعة بين العامة ودمجها في اللغة . لأنَّ اللغة ملك الامة ، وفي يد الامة حياة اللغة وموتها . وان لم يكن لهذا المجمع من مثيل الا في فرنسا أفنحسب سائر الامم عاجزة ركيكة البيان لأن لا أكاذمية لها ؟ كلا . ان الغربيين لا يقضون وقتهم في مثل هذه المماحكات الباطلة ولديهم ما يصرفهم عنها من المشاغل الخطيرة . وكما ان اليونان والطليان لا يجهدون النفس لاحياء لغتهم القديمة ويكتفون بلغتهم الحديثة التي تتفق منها السهولة والتراكيب والاصطلاحات مع حاجات العصر ، كذلك على المتكلمين باللغة العربيــة ان يطرحوا اللغة الفصحى بصعوبتهـا وتعقيدها جانباً . وان يأخذوا بكل لفظة تدور على الالسن لأنَّها تؤدي معنى من المعاني المطلوبة فاذا اعتزم المجمع اللغوي على ذلك كان عمله نافعاً . والا فليدع الشعب وشأنه يتصرف بلغته كما يشاء »

هذا أول ما اذكره من اعتراض سبيرو بك لأن الاستعارات المقبولة والتراكيب المنقولة التي يرى فيها بعضنا كل الفصاحة وكل البلاغة ، كادت تفسد علينا ذوقنا ونشاطنا وحريتنا الفكرية بل وحاسة الحياة فينا

« الاجبشن ميل » تناقش

(١)

تذمّرت بالامس اذ رأيت « الاجبشن ميل » تضحك من مشروع المجمع اللغوي . أما اليوم ، وقد توزعت في عمود منها ونصف عمود شظايا قنبلة قلمية ، فاني أذهل بعض الذهول أمام هذه الحملة غير المنتظرة

لا أظن المناقشة ذات جدوى اذا أريد منها الاقناع . بيد انها موفورة الفائدة مرغوب فيها عند ما ترمي الى احتكاك الآراء وما قد يؤدي اليه من شحذ الذهن والاهتداء الى رأي جديد أو اجتلاء رأي مبهم . واذا كان مناظرنا واسع الاطلاع ، خالص النية ، صادق في تمحيص الفكرة بأمانة ودقة دون تشبث بها وتعنت لها لأنها فكرته ليس الا ّ ـ وجدنا في مناقشته عدا الفائدة سروراً ونشاطاً

وهذا ما أشعر به ـ بعد الاجفال الاول ـ ازاء اعتراض سبيرو بك

وأول ما يحضرني من اعتراضه هو قوله :

الحرم اللغويّ القاسي . وجوزينا على وقاحتنا ، أو على استقلالنا الأدبيّ ، بالكلمة ذات الشأن الخطير كأنها هي الأخرى قدّستها موافقة الخليل وسيبويه : « هذا عربي بالافرنجي ! »

والذين يرموننا بهذا « الحرم » لا يذكرون حتى ولا حقنا الطبيعي في ان يكون لنا حكم متواضع على « اللغة العربية البليغة » التي اقنعوا نفوسهم بأنهم كاتبوها ! !

(٢)

فان أنا رأيت رأي سبيرو بك بوجهٍ في وجوب اصلاح اللغة وانعاشها فأراني واياه على خلافٍ في التفاصيل . ويمكن تلخيص اعتراضه في هذه البنود الثلاثة . يعترض حضرتهُ :

أوّلاً ـ على صعوبة اللغة

ثانياً ـ على تضاعفها بين فصحى أو كتابية وكلامية أي عامية

ثالثاً ـ يعترض على انشاء المجمع اللغوي ويحدّد وظيفتهُ أو بالحري هو يحذف الحدود من تلك الوظيفة ويجعلها شائعة

الغرب يعالج مجاري الماء وتيارات الهواء ، وينبش دفائن الطبيعة وأسرار النفوس ، ويسعى الى اخفى الزوايا من هـذه الارض فيستعمرها ويغلبها على مرافقها ومواردها ومحصولاتها ، ويستدر من جبالها وسهولها وأنهارها ثروةً ما كان الأهلون ليحلمون بوجودها

وفي هذا الوقت المملوء بالعراك وتنازع موارد التجارة والثروة ، والسعي للمعرفة والنور ، ترانا اذا شئنا أن نكتب ونعبر عن هذه الحركات الجديدة ، نحرص جداً ليس فقط على ان لا يغضب من عجزنا الخليل وسيبويه ، ولكن نجتهد (وباطلا نجتهد) أن لا نعرّض اللفظة الحديثة لسخط المناطقة وعلماء اللسان والشعراء والمفسرين العديد عديدهم الذين لم يصدروا لها التصريح بالحياة والتجوال !

الامم حولنا وفي ديارنا تجري وتبدع وتنبش وتطير وتغوص وتكتشف مسخرة قوى الطبيعة لنشاطها وحاجتها . أما نحن فاذا حاولنا أن نحدّث عن بعض هذا فليس لدينا الا الاستعارة القديمة والاسم الذي رضي عنه القاموس ، وهما لا ينطبقان على المعنى المستحدث والآلة التي لم يعرفها أسلافنا . فاذا اقتحمنا على الاسم الافرنجي وكتبنا كما تملي علينا شخصيتنا ونزعتنا الفردية تلقّانا في الحال

والصغيرة (Majuscule & Minuscule) من الكتابة التي يسمونها لاتينية ، واثنتين أخريين من الكتابة التي يسمونها جرمانية . ولكل من الكتابتين حروفها وخطها كأنهما لغتان لا تتشابهان . وما هذه الا احدى صعوبات تلك اللغة العصية . الا انها لم تحل دون تقدم الألمان في ميادين العلم والاقتصاد والفلسفة والآليات والرياضيات الخ . وهم يباهون بهذه الصعوبة وينظرون ببعض الازدراء الى اللغات المشتقة من اللاتينية وينكرون عليها اسم اللغات . بل يقولون انها « لهجات »

حتى الفرنساوية تجد في كتابتها صعوبة لا شبه لها في اللغة العربية . فما قد يكتب عندنا بثلاثة حروف يقتضي احياناً عندهم سبعة حروف . والحركات التي تجد اليوم عندنا من يثور عليها ويطلب حذفها موجودة عند الفرنسويين وان اختلفت وظيفتها اللفظية بعض الاختلاف . وتصريف الاسماء الذي يحرجنا في العربية موجود عند الألمان وعند اليونان الذين يضرب بهم سبيرو بك المثل . ان اليونانية الحديثة بتصريفها وحركاتها وقواعدها ليست دون العربية صعوبة وتزيد عليها في اشتباك الأبجدية . وحسبي ان أذكر من ذلك ان حرف الياء يكتب عندهم على سبعة أنواع ،

أما الصعوبة فاذا كانت بيّـنة في اللغة العربية فهي غير محصورة فيها . وأية لغة تخلو من صعوبة اللفظ أو التعبير والكتابة أو القواعد ، أو الزوائد التي لا منفعة لها ؟ حتى ولو كانت حديثة مختلطة كاللغة الانجليزية . فكيف بالعربية وهي من امهات اللغات وميزتها على جميع اللغات الشائعة في كونها اللغة القديمة الحية رغم الزمان

ان الذين تعلموا منا الانجليزية يعرفون صعوبة نطقها ويعجبون للحروف الكثيرة التي لا تظهر في اللفظ ومع ذلك فلا يحذفها الانجليز ويرغمون ابناءهم والمتعلمي لغتهم على اجهاد النفس في ما لا طائل تحته . والانجليز قوم عمليون ملكوا العالم بهذه الصفة . وروّجوا مصالحهم ولغتهم حتى صارت مع الاسبانية ، أوسع اللغات انتشاراً . وهم مع ذلك يحرصون على تلك القيود التي تثقل كلّ لغة عصراً لتسقط عنها في عصرٍ آخر . ويظهر ان وقت تحرير اللغة الانجليزية من تلك القيود لم يأن بعد

ويصدق هـذا على اللغات الأخرى . هاك الألمانية مثلا ، لغة العلم والتجارة والكبرياء التي يطمع أهلها في احلال الثقافة الجرمانية محلّ الثقافة اللاتينية في أنحاء المعمور . فان الأطفال يتعلمون بها أبجديات أربعاً : اثنتين منهما الكبيرة

لئن اكتفى اليونان والطليان بلغتهم الحديثة دون القديمة فلأن الشعبين الأولين اندثرا والذين يعيشون في ايطاليا وبلاد اليونان لا يتحدّرون منهما مباشرة . بخلاف العرب الذين نجد بينهم عائلات متسلسلة منذ عهد صدور القرآن. والشعبان الاجنبيان ينطقان بلغة جديدة مشتقة من القديمة ولكن لها قواعدها واصولها وضوابطها ، لا لهجة من لهجاتها الاصطلاحية

ان تضاعف اللغة أمر طبيعي عند جميع الشعوب . ففي قومية واحدة ذات لغة كبرى تتفاهم بها جميع أنحاء الوطن الواحد ، تجد لكل أقليم لهجتهُ الاصطلاحية الخاصة يخلّد هذه اللهجة الشعراء والكتاب الاوفياء لبيان « وطنهم الصغير » بتجديدها دون ان يكون ذلك تهديداً لكيان اللغة الجامعة الكبرى

عن طريق احياء اللهجات الاقليمية نشأت شهرةُ نفرٍ من كتاب الفرنسويين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . أمثال ميسترال ورومانيل وأوبانيل مجددي لهجة بروفنسا واللهجات الاخرى من لسان أوك (langue d'oc) الذي يشمل وحده اللهجات الجكسونية والكتالونية واللنجدوسية والليموزينية ، والبروفنسالية والدوفينية

تارة بالحرف المفرد وطوراً باتحاد حرفين من حروف العلة

الاصلاح ليس الهدم دواماً . بل هو في الغالب تبديل وصقل وتكييف . اذ ليس في صالح الامة إنكار الماضي الزاخر بالمجد الأدبي والحكمة . وكما ان الفرد الواحد من الناس لا يأتي العالم مستقلا عن أمسهِ وغدهِ بل يأتي متصلاً على رغم منهُ بما سبقه وبما سيلحقه ، فكذلك اللغة التي هي وحدة حية ورثناها وورثنا معها الحقّ في أن يكون لنفسيتنا مجموعاً وأفراداً أثر فيها . أما نبذها والاستعاضة عنها باللغة العامية فاعتراف بالعجز والخذلان . لأن اللغة تنتعش بانتعاش الامة وتجمد بجمودها · وأدل دليل على ذلك ان أساتذة الأزهر ـ وهم أئمة اللغة والساهرون على كيانها القديم ـ كانوا ، على ما قيل لي ، يلقون الدروس على تلاميذهم منذ نحو قرنٍ باللغة العامية . ولا عجب في ذلك والامة يومئذٍ في سباتٍ عميق

(٣)

لذلك كان اقتراح سبيرو بك بالاكتفاء باللغة العامية غريب في بابهِ . ولا أدري هل في التاريخ مثال واحد من نوع هذا التنازل والتجرّد.

اقرب الينا منالا وأثبت أساساً ؟ لا شك عندي في ان ضلع جميع هذه البلدان معها

وقد خضعت اللغة الفصحى مرغمة لسنّة التطوّر فما أضعف الشبه بين عربية الجاهلية وعربية أيامنا ! هناك الفاظ وتراكيب واصطلاحات اندثرت من تلقاء نفسها لان اللغة الحية كجميع الكائنات الحية تشمل قوّتي التركيب والتحليل . فهي من الجهة الواحدة تنمو وتتجدّد بما تضمه الى معانيها ومفرداتها . ومن الجهة الاخرى تندثر منها الالفاظ الغريبة والمفردات الحوشية والكلمات غير المطلوبة . وهذا ما تم للغة العربية في تاريخها وعلينا الآن ان نمهد لها الوسائل لتجاري الحركة الكبرى في العالم بجميع شعبها وفروعها فيتسنى اذن ان تبقى رابطة فريدة بين مختلف الشعوب الشرقية . ولا يمكن ان نحافظ على مكانتها هذه الا وهي اللغة الفصحى القوية بقواعدها واصولها ، النازعة عن الجمود للاحتكاك بنشاط الافكار حولها

(٤)

وصلنا الى المجمع اللغوي الذي تتخاصم صحف العاصمة لأجله وهو في غيبوبة الاحلام

والسافوارية والرومندية . أقتبسُ هذه القائمة عن لاروس الذي يختمها بكلمة . . . الى آخرهِ !

ويقابل هذا اللسان لسان أويل (langue d' oil) وهو الذي تغلّب على تلك اللهجات فكان اللغة الفرنساوية التي نعرفها اليوم

كذلك في ايطاليا لهجة البندقية غير اللهجات البيمونتية والبولونية والمودينية والنابولية والصقلية والفيورنتينية . ولكل من هؤلاء شعراء وكاتبون بلهجتهم الاقليمية على مقربةٍ من تصانيفهم في اللغة الايطالية الفصحى

ونلقى التعدُّد نفسهُ في اللهجات العربية . فلهجة مصر غير لهجات سوريا والعراق والحجاز والجزائر ومراكش الخ . حتى لهجات تلك الاقطار نفسها تختلف فيما بينها . فلهجة الصعيد غير لهجة القاهرة . ولهجة فلسطين غير لهجة لبنان ، ولهجة لبنان غير لهجة دمشق ، ولهجة دمشق غير لهجة حلب والاسكندرونة . وهنا أقلّد «لاروس» وأقول... الى آخرهِ

فأي هذه اللهجات نعتنق وهل من صالح أهل البلاد ان يؤلفوا لكل لهجة منها كتباً جديدة ويضعوا لها أصولاً وقواعد جديدة ؟ ! أليست صعوبة اللغة الفصحى والحالة هذه

اللغة فنحترم قواعدها وأصولها . فلا نحن نكذب ونداجي . ولا اللغة تجمد وتختلط . وما نطمع فيه ويعمل له التعليم والتهذيب هو رفع العامة الى فهم أوسع وأحذق والنزول ببعض الخاصة الى ميدان أسهل ليتم في اللغة ما هو تام بين المراتب من التمازج

أما ما يستطيع أن يفعله المجمع اللغوي سواء انعقد في مصر أم في غيرها من الاقطار العربية ، فينحصر في امور أربعة :

اولاً ـ ان يؤلف لجنة تبحث في كتب العرب ففيها بحر زاخر من الالفاظ والمسميات والمفردات الرشيقة البليغة التي نجهلها فيستخرجون منها كل ما يمكن الانتفاع به

ثانياً ـ ان يؤلف لجنة أخرى توجد لجميع المسميات والمعاني والادوات الجديدة أسماء وتعبيرات سهلة ان لم تكن في كتب العرب فعن طريق النحت والاشتقاق والتعريب لتقرير ما يتفاهم به أهل جميع الاقطار . فلا يكون كلٌّ من كتابهم قاموساً لذاته ومجمعاً متفرداً

ثالثاً ـ أن يؤلف لجنة ثالثة ترجع الى « عمال السكة الحديد وباعة الاقمشة والاثاث والماعون وادوات

وظيفة المجمع ـ يقول سبيرو بك ـ أن يقبل جميع الالفاظ الدائرة على الألسن ويدوّنها في قاموس اللغة

إذن يا سيدي الكريم، ما شأننا والمجمع في هذه الحال؟ ولماذا تنعقد هذه الهيئة العلمية وكل فردٍ من أفراد الامة « مجمع » قائم بذاته؟

الشعب يقول « تلتوار » و « ترمبيل » و « سمس » و « سجر » و « ماراتزمو » . أيكون انعاش اللغة بمثل هذه الالفاظ التي تُعد بالمئات؟ أتجديدٌ هذا وترقية أم هو مسخ وتشويه؟

في اللغات الاوربية لغو هو من سقط الألسن الجاهلة يسمونه Slang أو Argot ، ولا نعلم انه يرضى باستعماله كاتب يحترم نفسه، فضلاً عن نبذ المجامع له. فاذا كان الشعب كثير الاستعمال لمثل هذه الالفاظ، أيتحتم تسجيلها في اللغة الراقية، وهي التي يأبى الاصغاء اليها الفرد المهذب؟ ان للتعبير ارتقاء كما للافكار والعواطف والميول. وكلما لطفت النفس من امرىء وتثقف الفكر تهذّب تعبيره وسما بيانه لأن بين القلب واللسان سبيلاً سوياً. وما نطمع فيه الآن هو انصاف أنفسنا فنصرّح لها بأن تكون كما أرادتها الطبيعة وتفصح عن خوالجها بحرية. وان ننصف

ثم تدرجن الى العناية بعلوم الآداب والتاريخ والاجتماع وغيرها ؟

على المجمع العربي أن يبدأ بما بدأت به المجامع الاخرى . لقد أطلعتنا اوربا على ما أبدعتـه وتتابعت الاكتشافات وتعدّدت العلوم فوجدنا أنفسنا بغتة إزاء أشياء نجهلها ومسميات لا أسماء لها عندنا . بينا يشتد احتكاكنا بالاجانب واحتياجنا اليهم ونضطر الى مخالطتهم سواء في بلادنا وفي بلادهم . وقد درسنا لغاتهم فرأينا فيها العجب . ولا أدري لمـاذا نحن لا نجاري تلك اللغات ، ومميزات لغتنا هي ما فيها من التصاريف وحروف المعاني وهذه كافية وافية . واذا اضطرت الى اسم لمسمى جديد فاما أن تضعه لها واما ان تقتبسه من غيرها . على هـذا النسق تمشت العربية في القرون الاولى حين ترجمت اليهـا كتب العلم والفلسفة من السريانية واليونانية والهندية . وقام فيها واضعو علوم اللسان فانهم وضعوا واشتقوا وعرّبوا واقتبسوا . وبقيت العربية في مقامها الأنيق يتفنن في سبك المعاني في قوالبها أبو الطيب وأبو العلاء والصابي والاصفهاني وابن سينا وابن رشـد وأمثالهم من العلماء والادباء

لقد وسع القرآن اللغة العربيـة وحفظها من الدثور

الزينة والاستصباح والطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة التي اتسعت دائرتها بيننا · فتتعرف مصطلحات كل جماعة ومهنة . وتأخذ عنهم الاسماء التي عربوها وتواطئوا على استعمالها . فتتناولها وتهذّب منها ما هو خليق بالتهذيب وتدوّنه في القاموس الذي يتحتم تأليفه

رابعاً ـ ان يلخص لنا المجمع القواعد في كتاب واف على اختصاره على نحو ما يفعل الافرنج · بحيث يضمن للمتعلم الالمام بها فيعالج اللغة ويكتبها كتابة صحيحة في أقرب وقت ممكن

هذا أهم ما يقوم به مجمع لغوي عربي . على أن لا ينفرد مجمع قطرٍ واحد بتقرير الالفاظ وتدوينها لأن اللغة ليست له وحده . بل عليه أن يعرض خلاصة أبحاثه على علماء الاقطار الاخرى ومجامعها فيبحثونها ويكون التقرير في آخر الامر بالاجماع ـ قدر المستطاع

اذا كانت الاكاذمية الفرنساوية أشهر اكاذمية من نوعها فلماذا نضرب صفحاً عن مثيلاتها اللائي هنّ دونها شهرة، على انهنّ جميعاً أنشئن في بادىء الامر لتنقيح اللغة وانعاشها .

أو الاصلاح . يخطها في زاوية كوخه في قرية بعيدة فيرنّ صوته في ملايين القلوب الشرقية وتتوزّع عواطفه بين شعوبٍ عديدة . وحسبنا هذا لنحرص على اللغة الفصحى التي هي رابطتنا الوحيدة المكينة

هذا ما ينبغي أن يذكره المجمع اللغوي أنّى انعقد . كما عليهِ أن يذكر ان التحصن في الماضي جمود وموت والاستسلام للفوضى جنون واستهتار . فكما ان الشعوب هي ابنة الماضي والحاضر والمستقبل فكذلك لغاتها ترتكز على الماضي ، وتجاري الحاضر ، وتهيء المستقبل الذي يسهل عليه بعدئذٍ أن يعمل لنفسه

ولا يفوتني هنا ان أسدي إلى سبيرو بك الشكر على عنايتـه باللغة العربية والآداب العربية مما تفرّد به بين اخوانه الصحافيين والباحثين . فلهُ مني ومن جميع عارفي فضله الحمد والثناء

وأبقاها في رونقها الاول[1] . ولا يطلب من أبنائها الآن لجعلها تجاري النهضة الفكرية والصناعية الحديثة الا أن يجروا على خطة أسلافهم الأولين في وضع المصطلحات وتسمية المسميات

ان لغتنا واسعة حية . نكتبها ورغم ما يعصانا من المفردات والمعاني فاننا نشعر بفيضٍ فيها وتجدُّد

الشعوب تحاول اليوم نشر لغاتها لتقوّي كيانها وتروّج مصالحها . وتحاول ايجاد لغة دولية جديدة يتفاهم بها الغرباء فيتحدون ويتضامنون ، وهي لغة الاسبرانتو وما نحوها . فكيف ينبذ الشرقيون هذه القوة الكبيرة التي امتازوا بها ، ويتجاهلون أهمية جامعة اللغة التي توحّد بين عواطفهم وأفكارهم وأميالهم ؟

يكتب الكاتب العربي الواحد كلمة الشكوى ، أو الحرية ،

---

(١) يقول الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « الاشتقاق والتعريب » :

«ولما أنزل القرآن ـ وهو المعجز ـ تضمن كثيراً من الكلمات الاعجمية التي أدخلها عليه العرب مع بضائعهم وصقلها بلغاؤهم وشعراؤهم بألسنتهم حتى أصبحت بذلك فصيحة كسائر فصيح كلامهم . ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته ولم تفارقه مزية اعجازه » . « وقد تتبعها السيوطي (أي الكلمات الاعجمية في القرآن) فبلغت زهاء مئة كلمة »

ولا يظن ان الشرقي وحده حائر في هـذا المعنى بل تناولت الحيرة الاوربيين . وكثيرون منهم يشيرون الى زوجاتهم باسماء يتبسم لها السامع ان لم يكن بشفتيه ففي نفسه

ولقد أخذت المسألة منذ شهور دوراً في فرنسا هو من الاهمية بحيث استدعى اهتمام الاكاذميا التي حاولت ان تعين لفظة يعني بها الرجلُ شريكته في الحياة

ترى اذا ذكرها في غيابها فكيف يدعوها ؟ أيقول سيدتي أي « مدامتي » (بالفرنساوية وليس بالعربية) ؟ أم يقول « مدام فلان » أي مدام نفسه ـ شأن الطفل المدعو بزيد ، مثلاً ، يحدث الناس عن كورته التي هي كورة زيد ، وان زيداً اكل تفاحةً كبيرة بعد ان ارتدى زيد ثوباً جميلا لا يمكن أن يحصل عليه من لم يكن بزيد

أم يقول زوجتي ، أو امرأتي ، او جنيّتي ، أو أي شيء ؟

ولم يخبرونا ما اذا مرّ في أبحاث الاكاذميا خيال من هو اكثر ملوك فرنسا ارستقراطية واناقة . أعني لويس السادس عشر الذي كان يذكر ماري انطوانت أمام الاعوان باسم « الملكة » احياناً ، وباسم « امرأتي » غالباً . دون ان يردعه ما في اللفظة من معاني الدالة العائلية

فلان «ومدامته»

بين الجمل الاصطلاحية المستعملة على بطاقات التهنئة بالعام الجديد تجد هذه الجملة الكثيرة الشيوع «فلان ومدامته يهنئانكم الخ الخ»

طالما وقع نظري على هذه الكلمات. ومع أني ألفتها، فهي تضحكني كل مرة. لأنها تذكرني بذلك اللبناني الذي أضاع زوجته في شوارع نيويرك ومضى يسأل البوليس عنها بلغة زعمها انكليزية حين قال: «يا مستر وين راحت هالمستيره؟»

لا يخفى على ذوي «المدامات» وغيرهم ان مدامتي ومدامتك ومدامتهُ ليست دون مستيرتي ومستيرتك ومستيرته فكاهة مستملحة. ولا يخفى ان التعبير العربي في هذه الحالة ليس بالميسور ولا ينتظر أن يكون ميسوراً لانِ العرب لم يكونوا ليضموا أسماء نسائهم الى أسمائهم في تبادل المجاملات الاجتماعية. فبديهيٌّ ان المتفرنج منا يتفرنج «بنصفهِ الافضل» بعد أن تفرنج في أمور جمةٍ لا غنى عنها في الوقت الحاضر.

ناصعٌ على ارتفاع قيمة المرأة . اذ أن الزوج من زمن غير بعيد (وما زال كذلك في الطبقة الدنيا والمتوسطة الجاهلة) كان اذا أراد ان يذكر زوجته بلع ريقه أولاً ، ثم صمت لحظة ، ثم أشار اليها باستعارة « الاولاد عندنا »

« والاولاد عندنا » هي التي صارت « حريمي » بفضل « التطور » الحاضر

وخلاصة القول فان استعارة « فلان وقرينته » تقوم بكل لياقة مقام « فلان ومدامته » أو « فلان ومستيرته » او « فلان وسنيورته » . واذا ذكر الرجل تلك القرينة نخير ان يقول زوجتي أو امرأتي وليس مدامتي . هذا مع الاعتراف بأن لفظة « مدام فلان الفلاني » على بطاقة الزيارة هي انسب واحكم من اللفظة العربية . واذا كتب للزوجين كتاباً مشتركا فيستحسن العنوان باسم « فلان وقرينته » . لأن كلمة « زوجة » ليس لها الصيغة الرسمية المقتضاة في الاسم العاني لمكتوب

اعترفُ بوجود لفظة أخرى كلما همّ القلم بتحبيرها بلعتُ ريقي انا الاخرى شأن من أوشك ان يقول « الاولاد عندنا » . وهي لفظة « عقيلة » التي لا يأنف استعمالها كثيرون من كتابنا

لقــد درجنا كالشعوب التي اقتبسنا بعض أساليبها الاجتماعية ، على ان يسمي الرجل زوجتــه باسمها في العائلة وفي حلقــة الاصدقاء ، تاركا لفظة « السيدة » او « الست » لـكلامه عنهـا مع الخدم . فلا يسأل خادمهُ هل عادت فلانة ؟ وانما هل عادت « الست » او « السيدة » ؟ — ولئن حسن التمشي على هذا ، فلماذا لا يرضى الرجل الشرقي ان يقول للغرباء وللمعارف « امراتي » او« زوجتي » ببساطة لويس السادس عشر ؟

إنّ انخم ما أعرفه هو اصطلاح المسلمين في هــذه الديار بقولهم عن مدام فلان « حرم » فلان . إنها لتسمية توفقوا فيها كل التوفيق . وإذا ذكـر الواحد زوجته قال « حريمي »

بيد اني لاحظت انهم يطلقون هــذه اللفظة على الزوجة المسلمة

أما المتزوجون من أوربيات (وجلهم من الشبان المتعلمين في أوربا) فان الواحد منهم يقول « زوجتي » . وهي دون « حريمي» نخامة وأنفة ، ولـكنها أقرب الى التسوية الادبية بين الزوجين

بقي أن نقرر ان كلمة « حريمي » ، بلا مداورة ، دليل

أجوبة الامتحان

كتبت هـذه المقالة رداً على محمد افندي صادق عبد الرحمن محرر « النهضة النسائية » الذي اقترح علي في المجلة المذكورة تغيير بعض الاسماء الاعجمية المستعملة في البيوت المصرية واستبدالها بألفاظ عربية

هوّن عليك يا صادق افندي ! فليس ثمة ما يستدعي حرج الصدر ، وضيق الخلق ، وشق الجيوب . هون عليك ، وابق في أحاديثك الشهرية على ذلك الظرف المأنوس

سيطول منك العناء ان أنت اردت ان تنصب نفسك على تحري الألفاظ الدخيلة واستبدالها بما يقابلها في العربيـة . وستخذلك القوة والنشاط ان انت تعمدت مطاردة تلك الألفاظ العديدة واكتساحها

ليس للغات حدود لأن ما تترجم عنه من عواطف وخواطر لا يقف عند حد . ولا يمكن حبس أية لغة ضمن سياج وهمي من محتويات المعاجم ، ومفردات الثقاة ، وتقارير المجامع العلمية ، لأن الميول الباعثة على التعبير لا تأبه للمعاجم ، ولا تعنى بآراء الثقاة ، ولا تتكيف بتقارير المجامع.

ألا رحمة ، يا حملة الاقلام !

أجيرونا من وقر هذه الكلمة الممزقة غشاء المسامع : تنازلوا عنها كرماً في مطلع هـذا العام الجديد ! وعليكم بالزوجة ، والقرينة ، وبزوجة فلان وقرينة فلان ، ريثما تتحفنا الفطنةُ منكم بلقبٍ سعيد لا حلَّ فيـه ولا ربط . . .

الاختلاط بأمم أخرى عن طريق السياسة والاقتصاد والزواج فاذا بهذه الامم تعطينا الفاظها ، وتغمر لغتنا بفضلها ، وتحبونا بترقيع لغوي مزرٍ . فصار حديثنا ، حتى حديث بعض كبار كتابنا ، شبيهاً . . . بالسلَطة الروسية

***

اما كلمة « آبلا » التي يظهر أنك مستاء منها بوجه خاص فأظنها مترجمةً عن الاصطلاح الافرنجي

ذلك أن في مدارس الراهبات تنادي التلميذات معلماتهن الراهبات باسم « يا أختي» Ma Sœur . فبماذا تنادي التلميذة معلمتها في المدرسة المصرية ؟ ان كلمة «يا أختي» « يا أخي » شائعة بين الشرقيين شيوعاً لم يألفه الاوربيون . والفتاة الشرقية كثيراً ما تنادي رفيقتها بالدراسة ، وصويحبتها ، باسم الاخت . فاذا استعملت هذا الاصطلاح لمخاطبة معلمتها ، فأي فرق تضع إذَن بين معلمتها ورفيقتها ؟

فاهتدوا الى كلمة « آبلا » وهذه اللفظة التركية ومعناها « الاخت الكبيرة » تفي هنا بالمراد . اذ ليس فيها تصلب كلمة « معلمتي » ، ولا عبودية كلمة « سيدتي » . وليس فيها الدالةِ والالفة التي تلازم كلمة « أختي » العربية . بل هي جاءت مزيجاً معتدلاً من الدالة والاحترام ، وكلاهما

وعبثاً تقام حول اللغة الحواجز والسدود لأن اللغة ككل كائن حي حساس ، ذات اتصال دائم بما يحاذيها ويطرأ عليها . فالمدّ والجزر فيها متعاقبان ، والنبذ والاكتساب على وفق حاجاتها سنّـة جارية لا تجدي في تحويلها عربدة الساخطين

وكما تتأثر أحوال الامم باحتكاكها بالامم الاخرى ، وتتأثر بالحوادث فتأخذ وتعطي ، وتقلّـد وتقلَّـد ، وتقبس وتقبَس ، كذلك تتأثر اللغة بذلك الاحتكاك ، وتوجد فيها الحوادث ، قومية كانت أم تاريخية ، تغيراً محتوماً . حتى ليتسنى على وجه التقريب تتبع تاريخ الاقوام بمسايرة التغير البادي في لغتهم طوراً بعد طور

ولقد اختلطنا بالدولة التركية اختلاطاً شديداً ستة قرون سيطرت فيها على دوائر الحكومة والادارة في مصر وغيرها من الاقطار الناطقة بالعربية . فأدخلت في تلك الدوائر الفاظاً تركية ، واصطلاحات تركيـة بقيت في المحررات الرسمية وأثرها يدور على الالسن . كذلك كثرت النساء التركيات سائدات ومسودات ، في المنازل الشرقية . فكان نشر لغتهن بين ذويهن ومخالطيهن أمراً طبيعياً . وحيث لم يفلحن في نشر اللغة نثرن أسماء لمسميات متداولة ، هي هـذه الالفاظ والاسماء التي تود أنت اليوم أن تستبدلها بسواها . ثم طرأ

وإفساداً للذوق ، وتضييقاً للادراك وهو اوسع السبل الى الجهل والتقهقر والانكماش . ولكن الحكمة والواجب معاً يقضيان بترويج ما عندنا مما ينطبق على حاجاتنا ويفي بمطالبنا . فإن لم يكن عندنا استفدنا بنتاج إخواننا بالانسانية ليفسح لنا الحياة ويسهل علينا التفاهم . لأن نتاج الانسانية من جميع جوانبها ملك للانسانية في كل زمان ومكان . والمكابرة في كل امر بلاهة وجمود وانتحار بطيء

اما ان يكون لدينا ممتلكات ثمينة نعرض عنها بلا سبب فذاك الضلال المبين

من ذا يشرح لي لماذا ينادي الطفل المصري والدته بقوله « نينه » ؟ ولماذا تقول الفتيات المصريات عن امهن « نينتي » ؟ كيف ترضون ان تكون اول لفظة غريبة ، وأعز إسم غير عربي ؟ للامهات عذرٌ في الماضي ، ولكن ما عذر النساء الناهضات في الحاضر ؟

إن كلمة « ماما » اقرب إلى لفظة أمّ العربية . ولقد سمعت بين اهل البادية وبين بعض اهالي فلسطين غير المتحضرين كلمة « ميمه » وهي من اميمة تصغير التحبب في مناداة الام . وهناك اساليب اخرى وكلها عذبة يهتدي اليها القلب العربي لينادي الام المحبوبة التي تسهر على مهودنا ،

ضروري بين تلميذة ومعلمتها

ولكن اذا جاز استعمال هذه اللفظة وسواها مما لا مقابل له في العربية (وهـذا لا ينقص من شأن اللغة على الاطلاق) ، فلا مسوّغ لاستعمال الكلمات التي عندنا ما هو في معناها خيرٌ منها وأوضح

منها كلمة « تنت » الفرنساوية التي تعني العمة والخالة بلا تمييز ، بينا هي عندنا أبين آصرة وأجلى تعريفاً . و «الفاميليا» تستطيع أن تكون « العائلة » دون أن تتبلبل الالسن وتضل الافهام . و « هاو آر يو ، شير امي ؟ » يمكنها أن تكون « كيف حالك يا صديقي العزيز ؟ » او باللغة العامية اللطيفة « ازيك يا أخي ؟ » دون أن يرى أحدٌ مكروهاً في عزيزٍ لديهِ . « وتري بيان » أو « أول رايت » في وسعها أن تكون « حسناً جداً » او « كويس خالص » دون أن يضحي أحد بميل من ميوله ودون أن يتنازل عن رأي من آرائه . ولكنه يكون بذلك أحسن ذوقاً ، وأوفى وطنية ، وأكرم قومية

* * *

لست أعني ان كلّ الوفاء وكلّ الوطنية في تعظيم ما هو لنا وتحقير ما هو لسوانا . إنّ في التعنت تصغيراً للنفس ،

الانجليزي مثلاً ـ وهي من اصل عربي ـ لا تنال من قوة ذلك الاسطول ، ولم تمنعه من نشر الراية البريطانية في اربعة اقطار الدنيا . . .

* * *

هنا اورد فقرة جاءت في الصفحة الاخيرة من رسالة « الاشتقاق والتعريب » التي وضعها الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي بدمشق ليبدي رأيه في اللغة وتطورها . فقال بقبول اللفظة الغربية مع العربية او المعربة واعتبارها مرادفة حتى تشيع ويتلقفها الفهم . ثم قال :

« اذا تنكرنا لتلك الكلمات الدخيلة واسأنا بها الظن وقلبنا لها ظهر المجن وعملنا على طردها من بين اظهرنا ، اخشى ان يدركها الحنق علينا وتعمل على الانتقام منا . فتغري بنات جنسها أعني الكلمات المعربة كلها من قديم وحديث ـ بالاعتصاب العام . ويصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطور لغتنا وبيوت اشعارنا . وبديهي ان كلمة « الله » تكون معهن . لانها سريانية او عبرانية . وما ظنك بفئة « الله » معها ؟ لمن يكون الفلج والنصر والغلبة ؟ لا جرم ان تلك الكلمات الدخيلة الاعجمية الاصل التي لا عداد لها ـ لو غادرت لغتنا لأبقت فيها فراغاً واسعاً يعسر علينا ان نملأه

وتملأ خلايا حياتنا . فما شأن « نينا » غير العربية وشأننا والحالة هذه ؟

* * *

وفي الختام اقول ان « لجنة الامتحان » الممثلة في صادق افندي قد تحكم بأني غير ناجحة في هذا الامتحان ، واني من الراسبين الذين يرشحون نفوسهم احياناً للانتحار. قد تحكم « اللجنة » بذلك لاني لم اقل باستبدال جميع الالفاظ الغريبة استبدالاً سريعاً عاماً بالفاظ عربية

لا بأس ، لا بأس . فالزمان يغير الاحكام ، اذ ندرت الاحكام المعصومة من الغلط

وكيف يجرؤ امرؤ على الحكم في حين ما زال عندنا السردار والحكمدار والبكباشى الخ . الخ حتى بعض الاشارات الرسمية والاوامر العسكرية ، غير عربية ؟ وفي حين ما زال الباشا المصري ، والبك المصري ، والافندي المصري باشا وبيكاً وافندياً بالتركية ؟

لا ضير من الحكم اياً كان . كما انّ اللغات الاجنبية لا تضيرها الالفاظ العربية المندمجة فيها . وليشهد الشهود ان العبرة ليست بترجمة كلمة من لغة الى لغة . وان لفظة « اميرال » التي تطلق على امير جيش البحر ، او قائد الاسطول

النشيد القومي المصري

بزغت علينا شمس اليوم ومعها تصريح « لجنـة ترقية الاغاني القومية » بوقوع اختيارها على النشيد الذي وضعه شوقي بك ليكون نشيداً وطنياً . وكانت هذه اللجنة قد فتحت مسابقة بين الشعراء المصريين ، فاجتمع لديها ٥٦ نشيداً حاز الاسبقية بينها نشيد شوقي بك . فطرحته على أهل الفن لتلحينه وضبطه بالعلامات الموسيقية ليصير النشيد الرسمي ويتغنى به الناس في اجتماعاتهم

أترانا نسمعه بعد اليوم من جماعات الصبيان الذين يجرون في الشوارع منشدين بذلك الصوت الشجي القرار عند كل مصري :

يا سمك يا بـنّي — تلعب بالميّـه — ولعبك يشغلني

يا صيد العصر — يا سمك يا بـنّي

أرجو ان أراهم بعـد اليوم تاركين « السمك البني » وشأنه لينصرفوا مع شوقي الى تعديد مفاخر الجدود التي يدور النشيد حولها :

بكلمات عربية اصلية . من ذلك عدة آيات واحاديث اذا غادرتها كلماتها الاعجمية مست الحاجة الى ان يخلفها غيرها من العربية المحضة . وفي هذا ما يدعو الى وقف دورة الفلك واعادة ما مضى من الزمن وتجديد امر البعثة وإنزال الوحي

« اللهم غفراً ! »

ولكن كيف يكون لواء مصر في النجوم ـ « وهيّء في النجوم له مقرّا » ـ ثم يعيش « ابن النيل » في ظل ذاك اللواء وهو في مصر بالقارة الافريقية من سيارة الارض ؟ كيف يتوصل المرء الى رفع علم قومه في كوكبة الجوزاء، او المرأة المسلسلة ، او الشلياق مثلا ، ويبقى هو مستظلا به على سيارة يبلغها نور تلك الصور السماوية فلا تدري هل الحياة مقيمة في مصدره ، ام ان تلك الكواكب قد ضرب فيها الانحلال منذ انطلاق اشعة منها ـ لهول ابعادٍ تفصلها عنها !

هـذا ما لا يستطيع تفسيره احد . وليس من تفسير ممكن سوى ان الشاعر وجـد امامه معنى قديماً ذا طنينٍ مرضيٍّ فاستعاره ضارباً صفحاً عن مخالفته لأَبسط اصول العلم والمنطق . وهذا ما نفعله جميعاً ومرات عديدة في الشعر والنثر والخطابة والمحادثة العادية . وهذا « الغلوّ البديعيّ » هو من ألزم عيوب الآداب العربية

غير ان وصف الهراوي افندي للنيل « وهو يطوف بالوادي عرضاً وطولا ويبسط فيضه عاماً فعاماً » سائغ جميل

* * *

لنا الهرمُ الذي صحب الزمانا ومن حدثانه أخـذ الاماانا
ونحن بنو السنا العالي نمانا أوائل علّـموا الامم الرقيـا

الا انه لا يكتفي بامتداح الماضي بل أضاف طارف الامة الى تالدها ، وذكر اتحاد العنصرين المصريين ، المسلم والقبطي ، واتفاق كلمتهما على المناضلة في سبيل الاستقلال . ثم ختم النشيد بهذين البيتين وفيهما وعد بتهيئة مستقبل يليقُ بالماضي :

نقوم على البنـاية محسنينا ونعهـد بالتمام الى بنينا
نموت فداك مصر كما حيينا ويبقى وجهك المفديُّ حيا

* * *

أما النشيد الذي جاء بعد الاول في قرار لجنة التحكيم فهو لمحمد افندي الهراوي الشاعر وأحـد موظفي دار الـكتب . ومنه :

فيا وادي الـكنانة لن تزولا وفيك النيل يجري سلسبيلا
يطوف بمائهِ عرضاً وطولا ويبسط فيضهُ عاماً فعاما

فيا ابن النيل، هزّ لواء مصرا وهيء في النجوم لهُ مقرا
واطلع بالهلال عليـه فجرا وعشْ في ظلـّه العالي إماما

آمين ! هذا ما نتمناه لمصر العزيزة ولأبنائها

واما امتداح البسالة والشجاعة والمفادة وجميع الفضائل التي ظهرت في ابناء الامة واستحثاثها على النخوة والنهوض . مثال هذا النوع المارسلييز التي قال فيها نابوليون ـ على عهدة ادمون روستان ـ « لهـذا اللحن شاربان » ، والبرابانسون أي النشيد البلجيكي ، والنشيد الامريكي

وربما كان اجمل هذه الاناشيد وأحراها بهز النفوس وإثارة الحمية اناشيد الشعوب المستعبدة التي تألمت كثيراً فلم يسلبها الألم ثباتها وقوتها ورغبتها في استرداد حريتها المسلوبة وترميم شرفها المثلوم

فالى أيّ النوعين ، بل الى ايّ الانواع ينتمي النشيد المصري الجديد ؟

نشيد شوقي ونشيد الهراوي عذبان يظهر فيهما ما امتاز به الذوق المصري من حسن اختيار الالفاظ ، وسلاسة التركيب ، ومتانة السبك . ولكن هل هما يفيان بالمقصود ؟ وهل يبقى الاول نشيداً قومياً على الدوام ؟ هذا سيحكم به المستقبل

* * *

ابتاع احـدهم مرة بيانو ومضى الى معلم كان يعلمه الموسيقى فاخذ يصف له حلاوة تلك الآلة ولطف طنينها ..

وما دام الكلام على النشيدين الاولين فيظهر لي ان نشيد الهراوي اسلامي ـ « واطلع بالهلال عليه فجرا » ـ اما شوقي فقد جعل الوطنية غير الدين

جعلنا مصر ملة ذي الجلال وألّفنا الصليب مع الهلال

وأقبلنا كصفٍّ من عوالٍ يشدُّ السمهريُّ السمهريا

وليس هذا التآخي في حب الاديان بجديد عند شوقي بل تجده في كثير من قصائده

وأيُّ طبيعة سمحة رحبة لا تدرك ان الدين رابطة بين الخالق والمخلوق . بينما القوميـة هي الرابطة الدنيوية التي ما داخلتها فكرة الدين الا انزلت المحن بالقوم ومزقت شملهم . فلا يقوم لهم قائمة ، ولا تُضمن لوطنهم حيـاة هنيئة بغير التكاتف والاتحاد

* * *

أهمّ الاناشيد القومية نوعان : فإما ابتهال الى الله ليطيل أعمار الملوك وينصرهم على اعدائهم . مثل النشيد الملكي الانجليزي ، والميكادو الياباني ، والمصري السلطاني . ونشيد القيصر الروسي قبل البولشفية ، ذلك النشيد الفخم الجليل في تلحينه الهادئ وأوزانه الطويلة

محروسة!

في ١٦ يناير ١٩٢٣

تستأنف « المحروسة » الصدور اليوم بادئة عامها التاسع والاربعين، بعد أن اوقفت عامها الثامن والاربعين بطوله تقريباً

يقال ان اسم « المحروسة » أطلق على القاهرة لاعتقاد السكان بانها محفوظة بقوّة سحرية، او روحانية، تحمي منها الربوع والآثار. فلذا ترى ما فيها محفوظاً ثابتاً بينا آثار البلاد الاخرى تتداعى وتتهدم، وان كانت احدث عهداً

فبديهيٌّ إذن ان نتوهم ان القوة التي تخفر مدينة الاهرام وابي الهول تهيمن كذلك على كل ما سمي باسمها وتشمله بالعطف والرعاية. فان هذه الصحيفة أوقفت ثلاث مرات منذ مطلع الحركة الوطنية سنة ١٩١٩. ولعلها أصيبت اكثر من جميع الصحف المصرية. ولكنها سلمت من الاذى كل مرة، محروسةً بالقوة الخفية التي تخفر هذه المدينة العظيمة

وكما ان آثار الجراح هي أنبل الاوسمة للجندي، « فالمحروسة » تحمل علامات جهادها الثلاث أوسمةً حقيقة.

فقال المعلم ليست المسألة مسألة حلاوة ولطف . انما يجب ان تكون آلتك ذات اقتدار على ارسال جميع الاصوات التي وجدت لأجلها وتأدية جميع المعاني المطلوبة منها . عليها ان تكون هائلة عند الهول ، ناعمة وقت النعومة ، متحمسة وسط الحماسة ، ممتثلة راضية ساعة الرضى والامتثال

وهذا القول ينطبق على النشيد المصري . انه « حلو كثيراً » وينقصه « شاربان » . ينقصه قصف المدافع ، ورنين الاجراس ، وزفير اللهيب ، وزغردة النساء ، وهتاف الثوار ، وقعقعة قيود الذين سجنوا لأجل الحرية وأنين الذين قتلوا في سبيلها

ينقصه مواكب النعوش الملفوفة بالالوية الحمراء وضجيج الجماعات حولها « ليحيي ذكر شهداء الحرية ! »

يمطرني السوريون الاسئلة فاحدثهم عن ظرف مصر وادبها وطربها وذكائها . أحدثهم كيف أن مصر التي طالما صوّروها صاغرة خانعة كالتماثيل الجاثية عند قديم الاضرحة - قد هبت اليوم موفورة الشباب والنبل والشهامة

أحدثهم بخشوع وتحنان عما رأيت وسمعتُ وعرفتُ . فأرى الخشوع مني والتحنان قد انتقل الى السامعين فجال في عيون النساء دموعاً وبدا في وجوه الرجال تأثراً . فادرك عندئذ ان مصر أصبحت مطمح الانظار وموضوع الاعجاب

ولئن كان هذا مما يبعث في مصر عاطفة الاغتباط والفخار فهو كذلك يلقي عليها مسئولية كبيرة . لأن في الاعجاب تشجيعاً ووازعاً وايماء الى المنهج القويم الذي يتحتم السير فيه نحو العلى

ولا يساق السائر في مثل هـذا المنهج بدافع الغرور والمباهاة . اذ لا مباهاة ولا غرور مع المسئولية . فالمسئولية صارمة تثقف الذات القومية والذات الفردية ، غير ملاينة ولا مهادنة . وهي من اكبر البواعث على نفض دثار الخمول وتكوين صفات النبل والكرامة في النفوس الموهوبة

بأن يكون لها مكانها في متحف تذكاراتها الثمينة

لقد صودرت « المحروسة » في اول عهدها ، كما يقول العارفون – يوم ان كانت ميـدانا لأقلام أثارت الشرارة الاولى التي صارت في النفوس يقظةً، وفي الاذهان نوراً . أعني جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . كما امتزج اسمها باسماء سليم نقاش ، واديب اسحق ، وعبد الله نديم وسواهم من كبار الادباء والشعراء . ومن هذه الاسماء وهذه الافـكار تألف متحفُـها الذي تستعرض اليوم محتوياته ، وقد حملت علاماتها الثلاث أوسمة خليقة بصحيفةٍ وسمها اولئك العظماء بوسم المجدِ والبقاء

* * *

اصبحت مصر كعبة العالم العربي وحاضرته المعنوية . فما لاح فيها نورٌ الا استضاءت به الاقطارُ الاخرى ، ولا مضت في ارجائها صيحة الا اهتزّت لها القلوب ، ولا ظهر فيها أسلوب جديد في الادب والاجتماع والسياسة ، الا نظر فيـه الآخرون باهتمام ومالوا الى تحدّيه قائلين « أليس ان مصر فعلت ذلك ؟ »

صرفت شهور الصيف المنصرم في سوريا ولبنان فـكانت اكثر احاديثنا اليومية تدور على مصر ويقظة مصر

الحياةُ امامكِ

كتبت هذه الرسالة الوجيزة خاصة لكتاب
« محفوظات البنات » الذي اقترح تأليفه مجلس
مديرية القليوبية ليدرس في مدرسة البنات
الاولية التابعة له بشبرا البلد

الحياة امامك ، ايتها المصرية الصغيرة ، ولك أن تكوني فيها ملكةً أو عبدة :

عبدةً بالكسل ، والتواكل ، والغضب ، والثرثرة ، والاغتياب ، والتطفل ، والتبذل . وملكة بالاجتهاد ، والترتيب ، وحفظ اللسان ، والصدق ، وطهارة القلب والفكر ، والعفاف ، والعمل المتواصل

فان عشتِ عبدةً بأخلاقكِ كنتِ حملاً ثقيلا على ذويك فكرهوكِ ونبذوكِ . وإذا عشتِ ملكةً أفدتِ أهلك ووطنك وكنتِ محبوبة مباركة

فأيهما تختارين ؟

إذا اخترتِ الملك فروّضي نفسكِ على المكارم منذ الساعة ، لأن الملوك يسلكون طريق العز منذ الصغر

عيشي يا مصر المحروسة أهلاً لاعجابٍ يتحول عندك مسئولية وكرامة ، فترسلينه الى الاقطار الشرقية وحياً وانعاشاً وقدوة جميلة !

في فم من يحسنها ! وما أحبها الى من اعتادها ! هي لغة الموسيقى والفن والقلب والشباب والربيع ، وكل لفظة من الفاظها تستحضر شواطئ ايطاليا وآكامها وخضرتها وأزهارها ، وألواح متاحفها ، ولياليها الغريدة ، وقلبها الخصيب وروحها الخالد . . . »

وظلت كلمات الشيخ صاحب المكتبة وصورة وجهه المفتون بوطنه في ذاكرتي حتى المساء اذ اجتمعتُ بطائفة من كرام السوريين رجالاً ونساء . فاخبرتهم عما سمعتُ في ذلك الصباح وتمنيت ان يكون لنا نحن الشرقيين مثل ذلك التعلق باللغة التي فكر فيها آباؤنا ، وعبروا عن افراحهم وآلامهم وآمالهم وجهادهم .

فوافق الحاضرون . الا ان احدهم ــ وهو من « الطراز الحديث » المكرَّر ثلاثاً ــ فتح فاهُ فتحة انيقة تليق بالقرن العشرين وتكلم قائلا :

ــ « نعم ولكن لفظ العربية صعب علينا . فهناك حروف خشنة مثل (محاولا اتقان اللفظ) ال ... عين وال ... حاء وال ... خاء ، يا الهي ! كل هذا يمزق الحلق فضلا عن ثقله على السمع » وطفق حضرته يتكلم الفرنساوية جاعلا الراء منها غيناً غنّاء

تكلموا لغتكم !

حبذا غيرة تبديها « جامعة السيدات » في بيروت على اللغة العربية

وعلى ذكر اقتراحها « اللغة والوطن » اقول اني دخلت منذ أيام مكتبة ايطالية صغيرة ابتاع بعض كتب جبرائيل دانونتزيو . فأقبل صاحب المكتبة على صفوف الكتب يستخرج منها مؤلفات ذلك الجندي الشاعر الفرنساوية (لان دانونتزيو وضع كتباً بهذه اللغة) وتراجم كتبه الايطالية اليها . وإذ طلبتُ المؤلفات الايطالية في الاصل لا منقولة سأل ما إذا كنتُ أريدها لنفسي ام لغيري . قلت ـ « بل أريدها لنفسي »

قال وقد أبرقت أسرته ـ « اذاً تعرفين الايطالية ؟ »

واذ اجبت بالايجاب اخذ يتكلمها وقال بلهجة المتوسل :

— « لماذا لا تتكلمينها اذن ؟ أعلمُ ان الفرنساوية اكثر شيوعاً في هذه الديار وانها هي المصطلح عليها في الحوانيت والاندية . ولكن ماذا يمنعك عن استعمال لغتنا مع ابنائها ؟ الفرنساوية جميلة ، ولكن آه ما أجمل الايطالية

رسالة وحاشية

(١)

نقد الكتب

استاذي الدكتور العلاّمة

اشكر لك المقال الممتع الذي كتبتهُ عن نقد الكتب في عدد فبراير وكان عليَّ ان اصمت تهيباً عند لهجتهِ الصادقة . على انَّ لديَّ شيئاً أضيفهُ

لم اعنِ « مجلتكم » في كلامي عن قصور الصحف ، ولا عنيت سواها من المجلاّت المنتبهة لما فُرض عليها . فتحدثنا كلَّ شهر عن كتب ونشرات ومجلات وأعداد ممتازة من الصحف بكلام كله افادة . فهي من هذه الوجهة ترضي الواجب العلميّ الذي تعمل للقيام بهِ بكرامةٍ وأستاذية

أما ما ذكرته عن الصحف الاجنبية فاستأذنك بألاّ نتباحث فيهِ . لتلك الصحف شأنها في التفاهم مع جمهورها وارضاء بيئتها . اننا بعيدون عنها . ولأغراضها ودخائلها

فتبادر الى ذهني ان المرحوم الدكتور شميل قبل وفاته بشهور قليلة حضر درس الكونت دي جلارزا استاذ الفلسفة يومئذٍ في الجامعة المصرية . وكانت المحاضرة في فلسفة ارسطو . فمضت عشر دقائق تقريباً والدكتور يصغي بانتباه تام . اذ ذاك لفظ جناب الكونت كلمة « الطبيعة » ثلاث مرات في جملة واحدة . فمال نحوي الدكتور شميل وسأل :

— « أوطنيٌّ هذا المحاضر ام اجنبي ؟ »

فأجبتُ — « هو مستشرق اسباني »

ذكرت تلك الحادثة متعجبة كيف ان اناساً ولدوا في جرود لبنان ، او في انجاد سوريا ، او في سهول مصر ، يجدون اللغة « خشنة يا الهي ! تمزق الحلق » ويحسبون من يتكلمها في المجتمعات « فلاحاً » . في حين ان اجنبياً يتقن لفظها ويحسن الافصاح بها في موضوع فلسفي عويص . يحسن ذلك الى درجة ايهام رجل كالدكتور شميل ، وحمله على التردّد مدة عشر دقائق تقريباً ، قبل ان يقدم على الاستفهام هل ذلك الاجنبي من اهل اللغة ام من محبيها

تكلموا ما شئتم من اللغات يا بني أمي ! ولكن لا تنسوا لغتكم

المدعوّة حنيفة بنت احمد السقا فتضاربتا وجرحت احداهما الاخرى جرحاً طفيفاً في يدها تقتضي معالجته يومين كاملين » أو «سطا اللصوص ليلاً على عزبة « ما أدري ايه» فاستيقظ بعض الاهالي ففرّ اللصوص ولم يوقف لهم على اثر » الخ . الخ

فأكرم علينا يا افندم ، دام فضلك ، برأيك في نشر امثال هذه الغرر ؟

قد يكون من واجب الصحافي ان يفسح صحيفته لما هو اتفه من هذا ، فكيف بالوقائع الفكرية والادبية التي هي من اصدق مقاييس تطور الامم ؟

أقول إذاً ان الصحافي يتحتم عليه ـ وليس له في ذلك الخيار ـ يتحتم عليه ان يذكر في صحيفته كلّ كتاب يرسل اليه . اما الركون الى الاغضاء فإجحاف في حقوق المؤلف ، إجحاف في حقوق القارىء ، اجحاف في حقوق الجمهور الذي له ان يطلع على قوائم ما تنتجه افراده ، وإجحاف في حقوق الصحافة ذاتها التي هي بذلك السكوت تسجل على نفسها القصور وعدم المبالاة بما لا يجوز إغفاله

افهم ، واعلم بالاختبار ، ان النقد عمل شاق دقيق يستغرق وقتاً طويلاً ويتطلب معرفة واسعة ، وذوقاً مهذباً ، وبصيرة شفافة ، واحساساً حياً يفهم العدل كما يفهم الجمال.

جاهلون . أنتَ تعرف منها بالاختبار بعض اساليبها ، اما انا فأجهلها تماماً . فاذا حدّثتُ عنها كنت دعيةً متطفلة . وعلى كلّ ، فليس كلّ سارٍ في الغرب جديراً بالاقتباس في الشرق دون مراعاة الحاجة المباشرة

وإنما أسألك : كيف يمكنني ، أنا الجمهور ان أطلع على حركة التأليف والترجمة في البلاد ، في مختلف الموضوعات الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتمثيلية والادبية الخ ؟ كيف يمكنني ان أعلم بصدور ما يهمني من الكتب ؛ سواء كان اهتمامي بها اضطراراً للعمل وكسب الرزق ، أم للفائدة الفكرية ، أم للتفكهة وإرضاء للرغبة ؟ إنّ رسائل الاخبار الكبرى هي الصحفُ السيارة ، وكلّ الغاية منها إيصال الاخبار الى الجمهور واطلاعه على ما يجري في بيئته وفي العالم من الشؤون والحوادث . فإن لم تنقل لي تلك الصحف ما وُجدت لنقلهِ ونقل نظائرهِ ، فمن ذا يكون الرسول بين المؤلف الذي كتب للجمهور ، وبيني انا الجمهور الذي اتطلع الى ما ينشر لي مؤلفي ؟

تعلم الصحف الغاية من وجودها والسرّ من نشرها ، فتراها تذيع أمثال الاخبار التالية :

« تشاجرت زينب بنت علي في الخرنفش مع جارتها

(٢)

« الرأي العام » المصري في عهد محمد علي باشا

حاشية —

وهكذا في رسالةٍ وحاشيتها عليَّ ان أجابهَ العلم في شخص الدكتورصروف ، والصحافة في . . . صرحها المذكور اعلاه ، والتاريخ في شخص حسين افندي لبيب استاذ التاريخ في مدرسة « القضاءِ الشرعي » . فقد انكر عليَّ حضرتهُ قولي ان احدى الفوائد التي اخذت مصر تجنيها بعد جلاء الفرنسويين هي بدء تكوُّن « القومية » . لأنه يرى ان « فشو روح القومية واستحال الرأي العام مظهر من مظاهر رقيّ الاوربيين في القرن التاسع عشر »

لقد غنمتُ من كتابات الاستاذ ، لا سيما من كتابه عن « المسئلة الشرقية » . فوائد تاريخية جمة . لذلك أقول اني لو كان لي الحظ ان اكون من تلاميذه لكنت اجترأت ان اسأله في « حصة » اليوم ، أو بعدها ، ما اذا كان الرأي العام الاوربيّ قد اشترك اشتراكاً أصحّ كثيراً من اشتراك « الرأي العام » المصري على عهد محمد علي ، في جميع الحوادث التاريخية العصرية

وكما يفهم انظمة الحياة ، ـ فهو لذلك غير ميسور لكلّ من ادَّعى حمـل لوائه . والصحف في شاغل لانهما كها بالمشاكل السياسية والقومية . فلا أقل من ان يؤدوا هذا الواجب وبأن يذكروا باختصار اسم كل كتاب يهدى اليهم بلا تحيز ولا استثناء ، مع اسم مؤلفه وموضوعه وثمنـه والمكتبة التي يباع فيها . حتى اذا شعر كاتب او قارىء باندفاع خاص في سبيل الكتاب كتب ما شاء في نقده او تمحيصه او معارضته أو تحبيذه

الصحافة سجلّ الوقائع اليومية والمرآة التي ينعكس عليها من نفسية البيئة الصور المتتابعة التولد ـ فاي الوقائع واي الصور تفضل ثمرات المطابع ونتاج الاذهان والقلوب ؟ بل يوم تقومون ، أيها المفكرون ، تزنون كفاءة الامة وتحصون خطاها في سيرها الى الامام ، فهل لكم من وثيقة اصدق من الكتاب والفنّ والمتحف ؟ كلا ! وذاك ما تهملون !

والآن وقد فرغتُ من الخصومة التي يحسبها سادتنا الرجال عنصراً ملازماً للمزاج النسويّ ، اعود ضاحكةً من قلمي الذي تمتع لحظة باستقلاله التام وقام يناطح صخرة الصحافة المنيعة ـ أستغفر الله ! عنيتُ صرح الصحافة المنيع

التدقيق والتمحيص . واذا وجد في « الرأي العام » بعض العناصر المتبصرة المدركة أليس معظمه مسيراً معالجاً كآلة تدفع فتصيح ، ثم تجذب فتصمت ؟ وسيكون ذلك ابداً لانه يستحيل ترقية جميع الناس الى مستوى واحد

فلماذا لا يجوز لمصر التعبير المستعمل في البلدان الاخرى لأحوال متشابهة ؟ وتلك الاقلية التي انتبهت سواء عن استياء من حكومتها ، او طمعاً بمصلحة خاصة ، او بايعاز من محمد علي ، لو لم تنتبه لمقدرتها على ازعاج المماليك ترى أكانت تزعجهم فتغلبهم ثم تلاشيهم ؟ وأكان محمد علي ينجح وحده كما نجح بأعوانه ؟ وتلك الحلقة التي التأمت يومئذ حول الوالي وأيدته فكانت النواة الاولى في تكوين الوحدة المصرية الحديثة ، أي الاسماء نطلق عليها سوى اسم « القومية » الآخذة في التكون ؟

هذا . واني لأرجو الاستاذ الجليل ان يظل « واقفاً لنا بالمرصاد » في سبيل تحري الصواب في الوقائع التاريخية ما امكن . لانه بذلك يتم واجبه العلمي وينيلنا الفائدة المطلوبة

أهو « الرأي العام » الانجليزي الذي يبايع ملوك انجلترا ، مثلا ؟ أم هي فئة من الموظفين والكبراء تقوم باتمام العادة المرعية والتقليد المستحكم في مكان معين من عاصمة انجلترا ، فيعدُّ سكوت الجماهير في انجلترا وفي المستعمرات الشاسعة مبايعةً وتسليماً ؟

هذه صورة « الرأي العام » في ما هو عادة وتقاليد ، فما هي صورته في الانقلابات الخطيرة ؟ أهو « الرأي العام » الذي أوجد الجمهورية في الولايات المتحدة ـ وأوجدها في اميركا المتوسطة والجنوبية ؟ أهو « الرأي العام » الذي دعا الى الجمهورية الفرنساوية الاولى والثانية والثالثة ؟ أهو « الرأي العام » الذي قلب الحكومة الروسية ؟ يقال ان المانيا لو استفتيت اليوم لغلب فيها الحزب القيصري . ورغم ذلك فافراد قلائل يديرون دفة الجمهورية فيها . ويوم يتكلم التاريخ سيحدثنا عن « ثورة » امريكا وفرنسا وروسيا والمانيا فنحذق ما يقول . لعلمنا ان كلّ انقلاب يبدأ دواماً برأي أخصّ أي رأي فردٍ . يصير بعدئذٍ رأياً خاصاً او رأي افرادٍ او زعماء يسيطرون على « الشعب » بنفوذهم او بالاستهواء او بالارهاب . ويتكلمون باسمه وهو احب ما عليه ان يذكر ويحسب في الوجود ، في حين لا مقدرة له على

لأني لم اقرأ تلك القصائد التي نظمها عرب الجاهلية ومن عقبهم ولم يصل الينا ذكرها الا بالنقل والتواتر . كذلك لامني لجهلي منظومات قصصية حماسية مخطوطة حفظت في المكاتب الخصوصية ، لم يطلع عليها غير حضرته وأفراد قلائل من الافاضل امثاله

اعترف باني مجرمة في ذلك . ولكنها جريمة أجبر على ارتكابها سائر أبناء العرب كما ترتكب ملايين البشر خطيئة أبينا آدم بنظام الوراثة . بيد اني مستعدة للتكفير عن جريمتي بالصورة الآتية : ليؤكد لي حضرته ان تلك المنظومات من نوع الالياذة وحائزة مثلها لجميع الشروط التي يعرف بها الشعر الذي يسميه الفرنجة (épopée) فاتلقى تأكيده باليقين واستشهد بتلك المنظومات بعد اليوم على عهدته

وبكلامي عن « الايبوبي » عند الافرنج انما اعني تلك المنظومات القديمة الطويلة مثيلات الياذة هوميروس او التي نسجت على منوالها . وقد ذكرت بعضها في سياق الكلام على عمرية حافظ . اما اليوم فقد سرت الفوضى الى كل شيء . وكما حدث اختلاط محتم بين الدرجات الاجتماعية واللغات فقد سرى الاختلاط كذلك الى أبواب الشعر

الشعر القصصي الحماسي

(١)

استاذي الدكتور العلاّمة

قرأتُ البحث المستفيض الذي نشر تباعاً في عددي ابريل ومايو وقد تفضل به الشيخ كاظم الدجيلي اعتراضاً على ما كتبتهُ في الشعر القصصي الحماسي حينما نُشرت عمرية حافظ. اسأل حضرته قبول شكري لما استهلّ به مبحثه من جميل ذكري . إني اعتبرُ ذلك الثناء ناطقاً بسعة حلمهِ اكثر منهُ دليلاً على اهليتي . ولكني ، على كل حال ، سعيدة بهذه الكلمات المنشطة الآتية من بعيد . ويظهر لي ان العظمة العربية التي اندثر ما كان لها من صرح ومعقل على شواطئ دجلة والفرات ما برحت حيةً نامية نباهة وخلائق عاليات في نفوس كرام الاهلين

على انهُ في اجزاءِ بحثهِ الأُخرى قد اوقع بي ظلماً عادلاً . . . اذا جاز الجمع بين هاتين اللفظتين . لانهُ لم يكتفِ بايراد اسماء القصائد والملاحم والعلواءات المدوّنة في مجموعات الاشعار ودواوين العرب ، بل لامني تلميحاً

شكيمة . وكلامهم كعزيمتهم ورجولتهم ، قد تفوق بلاغتهُ بلاغة الاليـاذة · على ان ذلك لا يكفي لتكوين الشعر القصصي الحماسي الذي وضع له اهلُ الغرب قواعد وشروطاً. فان نَقص شرط من تلك الشروط أو تبدَّلت قاعدة من تلك القواعد خرجت المنظومة من حيز (الايبوبي) ودخلت دائرة شعرية اخرى . لذلك قاتُ يوم كتبتُ عن عمرية حافظ ان هـذا النوع من الشعر (الحماسي) « عندنا منهُ كثير كشعر عنترة العبسي مثلاً »

غريب ان جميع من قرأتُ من المستشرقين يقول بخلو العربية من الشعر القصصي الحماسي ، ومنهم من يطنب في وصف جمالها واتساعها وفلسفة قواعدها . وقع في يدي في العام الماضي مجموعة المعلقات مذيلة بشرح ألماني من وضع المستشرق « وولف » وكنتُ في مجلس حضرهُ احد كبار علماء المسلمين عندنا · فصرت اسأله عن معنى بعض الالفاظ غير المألوفة ــ وما اكثرها في المعلقات ! ــ فكان يهزُّ رأسه احياناً ويبسم قائلا « لا ادري ! » . فأبحثُ اذ ذاك عن معنى الكلمة في الذيل الالماني واجده . فاذا ما ذكرنا ان عرب الجاهلية كانوا اقرب العرب في جميع العصور الى نظم الملاحم ، وذكرنا ان المعلقات اول تلك الملاحم وأهمّها ، ـــ

والادب . فملاحم الافرنج في العهد الاخير يتغلب فيها العنصر الغنائي فضلاً عن قصرها . واذا اتصل الباحثون الى اثبات عربية سفر ايوب قبل ان يبرز عبرانياً، فلا حاجة بنا الى غير هـذا الاثر العظيم لنكون من اغنى الامم في الشعر القصصي الحماسي

اما الجزء المحسوس من مقال الأستاذ، حيث ذكر القصائد المدونة في مجموعات العرب، فيسرني اني واياهُ على اتفاقٍ تام في امرها الجوهري . والاختلاف بيننا انما هو على الاسم فقط : فحضرتهُ يطلق على هذه المنظومات اسم الشعر القصصي الحماسي . وانا أُسمي بعضها شعراً وصفياً كقصيدة بشر بن عوانة في مقتل الاسد ، مثلا ، وقصيدة مزرّد بن ضرار السعدي في وصف شكتهِ . واسمي الكثير الآخر شعراً حماسياً . حضرتهُ يقول ان من قرأ شعر آخيل في الايلياذة ودرس أشعار عنترة العبسي ومهلهل بن ربيعة وقرابتهِ البرّاق بن روحان يرى قرب المبدإ والمغزى بين أبطال العرب الثلاثة وبطل اليونان . ذلك لا ريب فيه . غير ان آخيل فردٌ واحد من امة يتكلم كلاماً حماسياً ، وما كان كلٌّ من عنترة ومهلهل والبرّاق الاّ فرداً واحداً من أمةٍ يتكلم كلاماً حماسياً . أبطالنا كابطال الاغريق بل أشد

شعر الملاحم كالالياذة اذ ترى هوميرس فيها ينطق بلسان الجميع »

نقلتُ هـذه السطور عن مقدمة الالياذة لأن حضرة الاستاذ استشهد غير مرة في مبحثه بالمقدمة المذكورة ، ولأني أرى فيها تعريفاً حسناً لما جرينا على تسميته شعراً قصصياً حماسياً

نقول « شعر قصصي حماسي » ولا نقطن ان أول دليل على تغيبه من عندنا هو تغيب اسم ينبىء بوجوده . كيف لم يهتم العرب الذين وضعوا للمسمى الواحد مئات الاسماء احياناً ، بايجاد كلمة تدل على خلاصة ما عندهم من آداب ؛ نعم انه يوجد كلمة ملحمة ، وجمع ملحمة ملاحم . . . ياحفيظ ! لو كنتُ شاعراً وعلمت ان احدى قصائدي ستصبح ، بل ستمسي ، يوماً ملحمة من الملاحم ، لكنت كتبت براءة شرعية بيني وبين القوافي والاوزان بحذافيرها .

ثم ان هـذه الكلمة لا تؤدي معنى Epopée مطلقاً . واسم « حماسي » وحده أو « قصصي » وحده يعني نوعاً آخر من الشعر . واسم قصصي حماسي طويل كالشواطىء وهو من وضعنا نحن أبناء هذه الايام . ولكني أتلقى بسرور كلمة « علواء » التي اشار بها حضرة البحاثة المفضال

عجبنا لأمثال وولف هـذا الذين وقفوا حياتهم على هذه الابحاث وتعصبوا للغة العربية واحبوها حباً يفوق حب كثيرين من اهلها لها، كيف ينكرون عليها شيئاً ثابتاً فيها ؟ وكيف لا يدري هذا الرجل الذي ذيّل المعلقات بذاك الشرح الوافي في ايّ الصنوف الشعرية ينتظم صنف المعلقات؟

ومن جهة اخرى كيف يقول معرّب الالياذة في مقدّمتهِ : « فلا سبيل اذاً للزعم بوجود ملاحم لعرب الجاهلية على نحو ما يراد منها بعرف الافرنج » ؟ وهو الذي قال بعد التلميح الى ان حرب البسوس عنـد العرب تقابل الحرب الطروادية عند الاغريق ، وذكر ما تناقلته العرب من منظوم بديع لوصف مواقعها ، قال : « اننا نجد تلك القطع غير ملتئمة لفقدان اللحمة بينها فهي كالحجارة المنحوتة قد أُحكم صنعها وبقيت ملقاة في ارضها غير مرصوصة بالبناء . ثم اذا نظرت الى اشهر الرجال والنساء فيها رأيتهم جميعهم شعراء . فكليب يقول الشعر ومثله زوجته جليلة واخوه مهلهل . وكذلك مرّة شاعر وابنه جساس شاعر . وكل ذي شأن في القصة من غريب وقريب شاعر . كالحارث بن عباد وجحدر بن ضبيعه . فمجموع شعرهم أشبه من هـذا الوجه بالشعر التمثيلي لأن لكل حادثة شاعراً ينطق بها . بخلاف

دواماً الى أحد هذين النوعين لأن الطبيعة العربية لم تهتم قط بالنظريات المجردة ولم تنزع الا الى الاشياء المحسوسة الملموسة . فجاء شعرها الفريد صورة صادقة لجوهرها الوجداني . وكان الشعر القصصي الحماسي عندها متفقاً وسايقتها الخاصة يجري على منهجه الخاص خاضعاً لجماله العربي الانيق الخاص . ولو قام أحد شعراء عصرنا يسرد تاريخ الامة العربية لجاءت هذه العلواء المجيدة اعظم وأبدع اليادة في تاريخ الادب عند جميع الشعوب

اثبتُ هذا الرأي ليس بصفته رأياً حسناً ولكن بصفته رأيي ـ كما كان يقول مونتاين . وقد يكون الخطأ نصيبي والصواب في جانب غيري . ولكن الحقيقة كعبة جميع الباحثين فانما اياها ينشدون في كل نفيٍ واثبات . ولو اردتُ اليوم كتابة ما دونته بالامس لما ابدلت من الالفاظ الاساسية لفظة واحدة . ولو لم يكن لذلك من سبب سوى حمل الشاعر البغدادي على كتابة تلك الصفحات الممتعة النفيسة الاثنتي عشرة في معارضتي لكفى ـ

(٢)

هلاويا !

لقد عاد الشيخ كاظم الدجيلي في فبراير ١٩٢٤ الى

الاب انستاس ماري الكرملي ، فهي أتمّ ما استعمل الى الآن معنى واختصاراً ولفظاً . ولكن ان نحن أخذنا بها وأطلقناها على الشعر القصصي الحماسي فهي كذلك دليل على غيابه لندرة استعمالها . فقد اخبرني من قرأ اكثر كتاب الاغاني انه لم يرَ لها ذكراً فيهِ

ان غياب « الايبوبي الافرنجية » لا يحط من مقام لغتنا لأن في العربية منظومات عالية وشعراً حماسياً بديعاً (مما دعاه بستانيّ الالياذة « ملاحم قصيرة ») يتفق مع روح الامة . ولن يصل شعراء الافرنج الى الاتيان بمثل ما يميزه من جزالة اللفظ وفخامة المبنى ورصف المعنى والبساطة البليغة ـ بساطة الروح العربي وبلاغته الخلابة . لأن الغربي سيظل ابداً غربياً والعربي عربياً مهما قرّبت بين أحوالهما الخارجية اسبابُ العمران

ومن طبيعة العربي المبوط الى نفسه وتحليل ما يجول فيها من عاطفة وميل ورغبة ومفخرة . فاذا ما اقبل ينشد تغنى بما يهيجه من غضب وكيد وانتقام وحماسة وكرم ونخوة ، فكان مبدعاً شعر الحماسة والفخر . أو نظم المراثي أو زفر بما يسعّر جنانه من وجدٍ وحنين ، فكان مبدعاً شعر الغزل والنسيب . وشعره الوصفي ينتمي

طويلة تملأ كتاباً تاماً وتصف وقائع الحرب الكبرى . بقلم الاستاذ اسعد خليل داغر . واخرى قصيرة هي « ترجمة الشيطان» للاستاذ عباس العقاد في الجزء الثالث من ديوانه . ومنظومتان للمرحوم عبد الحليم افندي المصري

ولئن خصصت هذه المنظومات بالذكر فلأني اطلعت عليها . وقد يكون هناك غيرها مما أجهله

أنشأ الشيخ كاظم ينشر رده لتقرأ الناس وظهر الجزء الاول من تلك المرافعة الجديدة في شهر فبراير . لا شك انه تعب كثيراً وبحث كثيراً . وهو ولا شك مورد لنا مع اسماء المنظومات التي اهتدى اليها الاسم الذي كانت تُعرف به عند العرب . اذ كيف يهتدي المرء الى فرع من الآداب ولا يهتدي الى اسمه ؟

فاذا أثبت الشيخ كاظم وجود الشعر القصصي الحماسي (وهو فاعل باذن الله) في لغتنا فهل يعترف لي شعراء العصر والمجامع العلمية بهذا « الفضل » ؟ وهل يسلمون بأنه لولا « العناد النسائي » ما كنا وصلنا الى هذه النتيجة ـ « الباهرة ؟ »

قيل لي ياسيدي الاستاذ انك رحلت أخيراً الى انجلترا لتدرّس اللغة العربية في جامعة لندن . وسواء كنت الآن في انجلترا أم في العراق فهات يدك اصافحها !

موضوع الشعر القصصي الحماسي الذي يُطلق عليه هذه المرة ـ ولعله نسي اني كنت من أنصار هذه التسمية ـ اسم « العلواء عند العرب » . فجاء يثبت وجود هذا النوع من الشعر تقريراً «للحقيقة»، وانصافاً للعرب، وترويضاً ـ طبعاً! ـ لذلك « العناد » الذي يأبى حضرته إلا ان ينسبه اليّ

ناقشني . وصمت خمسة أعوام درس خلالها الحقوق ، ونفحني بقصيدة نشرها في « الهلال » ودعاني فيها ببعض الاسماء الحلوة التي يبتكرها الشعراء يوم يوطدون النفس على معالجة « العناد » عند امرىء بوجه من الوجوه ، وعلى ان يسترضوه بالاوزان والاسجاع ليخاصموه بالنثر المرسل

وكنت أعلم بقصيدة وبلا قصيدة ، برسالة وبلا رسالة ، باسترضاء وبلا استرضاء ، ان الشيخ كاظم لن يسكت حتى يسكتني ويسكت المستشرقين القائلين بتغيب الشعر القصصي الحماسي من لغة العرب ولغات الساميين عموماً

وليسمح لي الشيخ كاظم ان أحاول ارضاءه في ان أضيف الى بعض القصائد « العلوائية » التي ذكرتها سابقاً من حافظ وشوقي ومطران (أورد الاسماء على حروف الابجدية) منظومات جديدة اطلعت عليها بعد . . . الفصل الاول من قضيتنا . احداها « الحرب الكبرى شعراً » وهي منظومة

حديث عن الشرق الاقصى

في الشتاء موسم السياحة يكثر من الأدباء والعلماء الاجانب روّاد هذه الربوع من يطلب التعرف الى بعض حملة الاقلام عندنا . فيفوزون بذلك عن طريق التوصية التي ليس أبرع منهم في السعي للحصول عليها

ولئن أزعجك ، دون ان يدهشك ، من بعض هؤلاء تصميمهم على تسيير الحديث في منهج قرّروه سلفاً واصرارهم على تأويل الكلام لمصلحة سياسية يخدمونها أو غرض خاص يعملون لهُ ، فانه يشفع فيهم الغربي اليّقظ المنصف الذي يحب بلادهُ ويجاهر بحبهِ . الا أنه يسلم بأنها ليست كلّ الدنيا وان ليس من المعقول ان تتغلّب مصلحتها على مصالح جميع الاوطان وجميع الشعوب . بل ان هناك انسانية . لكل جزء منها حقه في حدوده الطبيعية

يسلّم بأنك انسان مثله تتمتع بمثل حقوقه في العاطفة والمطلب والمصارحة والمسعى . ويعترف بأنه سمع عن هذا الشرق ولكنه لا يعرفهُ ويود ان يعرفه ليقف على

تعجبني منك نخوتك وتعصبك للغتك في ادبٍ وهدوء ورصانة . ويعجبني منك ثبات خمسة اعوام رغم اعمالك الاخرى ، ورغم قصائد الاسترضاء في الشعر والنثر

قد تستغني اللغة عن كثير من شعرها . ولكنها لا تستغني عن همم رجالها وثباتهم وجهادهم للخير والحق والانصاف

أتمنى هذا الثبات وهذا الجد وهذه النخوة لجميع رجال الشرق . ولأجلها أصافحك عن بعدٍ ، ايها الشاعر العراقي ، مصافحة الثناء والاعجاب

الجزئيـة انظمة الـكوں الـكبرى المُحدثة كل شيء . « أولئك نوادر قلائل في العالم بأسره وفي جميع الاجيال » كما قلتِ البارحة . ولـكنهم النواة الجوهرية التي تتكون حولها دوامات الجماعات المنظمة حركاتها على يد أشخاص ثانويين . ولقد كان في نظرنا أمراً خطيراً ان نستبين هذه النواة الثمينة في الشرق الادنى وراء تحرك الخواطر والمطالب في اختمار بطيء . . . »

كالكتا (الهند) ٣٠ ابريل ١٩٢٣

« عدنا اليوم من زيارة طويلة لمدرسة تاغور سانتينكتان (ميناء السلام) . وطيّ هذا قصيدة انكليزية من الشاعر مهداة اليك خاصة واسمها « طائر الصباح »[1]

---

(١) هذه هي صورة القصيدة وهي رمزية :

SURUL

The bird of the morning sings.

Whence has be word of the morning before the morning breaks, and when the dragon night still holds the sky in its cold black coils ?

Tell me, bird of the morning, how through the twofold night of the sky and the leaves, he found his way into your dream, the messenger of the east ?

The world did not believe you when you cried, "The Sun is on his way ; the night is no more"

O sleeper, awake !

Bare your forehead, waiting for the first blessing of light, and sing with the bird of the morning in glad faith !

Rabindra Nath Tagore

ما فيه من جمال وصدق وانسانية

من هذا الفريق كاتبان امريكيان جاآني العام الماضي يحملان توصية من الدكتور فارس نمر. كانا قد طافا في ربوع الشرق الادنى. ومما أدهشهما في مصر وغيّر زعمهما في « تعصب الشرقيين» امر بسيط في نظرنا وهو انهما دعيا الى تناول طعام الغذاء يوم عيد الميلاد على مائدة رئيس الوفد المصري (وهو يومئذ المصري (بك) باشا السعدي)

وسارا من الشرق الادنى الى الهند. وقد يظهر بعض ما هما عليه من صدق وعدم تحيز في هذه النتف التي اقتطعها من رسائلها عن الشرق الاقصى ــ الاقصى بموقعه الجغرافي. ولكن ما أدناه الينا بروحه وحالته وموقفه!

* * *

بورت سعيد ٢٧ ديسمبر ١٩٢٢

« لقد كان سرورنا عظيماً عندما سمعنا البارحة اننا ذاهبان اليكم مرة أخرى مع زكي باشا وأمين بك يوسف. فظفرنا بزيارة الوداع بعد زيارة التعارف

« ... نكرر هنا ما قلناه سابقاً. وهو ان أهم ما في رحلتنا هذه يقوم بما نتلقاه من أفراد أدركوا الفكرة الواحدة الشفافة التي لمسها القليلون وتتبعوا وراء الحوادث

الفكر الغربي آخذ في ايجاد التضاعف والتركيب فيها شيئاً فشيئاً . وترين الهندي بوجهٍ عام حساساً رقيقاً يتأثر بسرعةٍ ويلبي بكل اخلاص نداء الجود ويبادل عواطف المحبة بكل صفاء

« يخيل انهُ انحط بعض الشيء على كرّ الأجيال ، لكن ليس في جميع القبائل . فالماراثا نشيط مستقل يتكل على نفسه . والبنجابي شديد محب للحرب وان كان في وسعه ان يصرف قواه في غير المكافحة والقتال . وهو أمرٌ أثبتهُ في « امريتسار » خلال فترة اللاتعاون . أما البنغالي فهو أضعف من هذين بنيةً ، وهو رقيق لطيف ذكي طاهر القلب سامي الفكر . ومنه تلقّى الفن الهندي نفحة الانتعاش وهو الذي أوجد في الآداب نزعة التجدُّد والتحسين

« أما فقدان قيادة غاندي الشخصية فظاهر كل الظهور . وأمثال س . ر . داس موفورو الاخلاص والكفاءة الا انه ينقصهم مغناطيس المهاتما ومواهبه الروحية . على ان الشعور جلي بأن غاندي تكلم فأرسل نفحةً من روحه العظيمة وان هذه النفحة تبحث لذاتها عن طريق في حياة الهند . وأما الاتحاد بين المسلمين والهندوس فليس على ما يرام . ولهذين الفريقين دروس لا بد أن

« ... سمعنا خلال هذه الاونة أخباراً كثيرة عن مصر . منها ظهور لائحة الدستور الجديد . ومنها احتجاج حزب العمال في انكلترا على سياسة لورد اللنبي : وهذه الامور وغيرها لا تخلو من الاهمية رغم ان لكل مسئلة وجهين ، ورغم ان هذه الحوادث نتائج لا أسباب . يمكننا ان ندرك ذلك نحن اللذان زرنا الشرق الادنى واستجلينا شيئاً من تلك الحركة الفكرية الواسعة التي تعمل بهدوء ليوم آتٍ

« جئنا الهند منذ ثلاثة شهور تقريباً وهو وقت قصير جداً لمن يتلمس المعنى الجوهري من حياةٍ متشابكة مرتبكةٍ في مثل هذه البلاد العظيمة المترامية الأنحاء . ومع ذلك يمكننا ان نخبركِ ببعض ما رأيناه وشعرنا به خلال هذه المدّة

« الهند ـ كبلادنا الاميركية ـ في تطور وهي الآن تجتاز أزمة سينتج عنها خير كثير للهند نفسها وللعالم اجمع . جئناها والروح مشبعة من روح ثقافتها القديمة . فوجدناها في القرن العشرين مجاهدة تتنازعها مشاكل القرن العشرين . النشء الجديد فيها جادٌّ حارٌّ ، ونراهُ راغباً في تأدية خدمة صالحة للنفع العام . العادات هنا بسيطة والأساليب الحيوية خالية من تكلف الرسميات الا ان أثر

هذا الحديث عن الشرق الاقصى ما أحراه بأن يكون عن شرقنا الأدنى ، لو نحن استطعنا ان نوجد لنا اسمين متوافقين كاسمي رسولي الحرية السياسية والادبية في الهند

لقد أطلق سراح غاندي في اوائل فبراير الماضي . وما ان غادر المهاتما سجن يرودا حتى أرسل منشوره الاول بشكل خطاب الى محمد علي رئيس الجامعة الهندية الوطنية الكبرى فعبّر فيه عن عقيدته الوطنية ورغباته وآماله . قال انه يعلم ان الحالة الآن أشد قلقاً مما كانت يوم دخوله السجن . وقال انه ما زال يعتقد ان طريق الحرية والاستقلال هي — أولاً — في الاتحاد بين الهندوس والمسلمين والسيخة والمجوس والنصارى . ثانياً — في مداواة فقر الهند بالاتكال على مغازلها وانتاجها . لأنه مقتنع بأن المغازل وحدها هي التي تنقذ الهند من موتها الاقتصادي الذي تجود فيه بنفسها

ثالثاً — في التزام السلم في القول والعمل والفكر « وهي أسلحة لازمة لنا للوصول الى غايتنا » . ويعتقد انهم « لو عملوا باخلاص لما احتاجوا الى المقاومة السلبية التي يرجو ان لا يحتاجوا اليها وان كانت مؤثرة وحقة وانها حق من حقوق الامة والفرد ، بل واجب اذا هددت حياتهما بالخطر »

هذه الاركان الثلاثة التي تقوم عليها سياسة غاندي

يتعلمها أحدهما على الآخر قبل ان يتفاهما ويتحدا الاتحاد الأمثل . ورغم ذلك فهناك فكرة مستقيمة تتمشى وتنمو في سبيل الاتحاد المنشود وتقدره وتعمل له . وهـذا بلا ريب أهم أغراض غاندي

« أما تاغور ومدرسته « سانتنكتان » فخميرة فعالة في عجين الهند . كان فن الهنـد منذ قرن على لا شيء من الابداع تقريباً ، اذ كان قاصراً على النقل والتقليد . فأرسل تاغور صيحة في الهمم الخامدة وما فتىء ينادي بالهند لتجود بما لديها وتسعى لتوحيـد ثقافتها والترابط الفكري والأدبي مع سائر انحاء آسيا . عندئذ ـ يقول تاغور ـ يمكننا ان نعود الى الغرب مقتبسين خـير ما في حضارته فلا تشوهنا لأننا نكون مرتكزين على حضارتنا القومية

« فكر تاغور فكر بديع التآلف ، محكم التركيب ، بعيد المرمى . هو الفكر الشرقي المحض الذي لم تفسده نزعة سطحية أو زخارف غريبة . ولكن الرجل مع ذلك لرحابة قلبه واتساع عواطفه يدرك الجيد الحسن من جميع الجوانب ويقدر ما فيه من انسانية صادقة . . . » و . ب .

* * *

الهيبة في النفوس محرزة بذلك نصراً خالداً . وليكون أثرهُ التهذيبي مباشراً فقد أنشأ مدرسته « مرفأ السلام » ببلدة بلبار من اقليم البنغال ، وهي التي انضمت اليها اخيراً جامعة كبيرة من هاتيك البلاد

يتخرّج النشء في هذا المعهد على آراء تاغور ومذهبه . ولا ريب انه سيكون قوة كبيرة في تجديد ذلك المحراب العظيم الذي ما زال مستودعاً للمثل الاعلى رغم عواصف الحياة وأنوائها

ويوم الاربعاء من كل اسبوع ، وهو يوم الراحة في « مرفأ السلام » ، كان تاغور يجمع تلاميذه ويخاطبهم كأخ كبير وصديق رؤوف . ومن تلك المحاضرات الاجتماعية والفلسفية والفنية التي ترمي الى تحقيق كنه الحياة والوقوف على اتصال الحياة الفردية بالحياة العامة ، خرجت مجموعة كتابه « سيدهانا » النفيسة . مؤدية صورة حية من روح تاغور النورانية الرحيبة المفعمة جمالا ولوذعية ووطنية وانسانية

فكأنه في حين غاندي « النبي السياسي الوديع » يدفع الايدي العاملة الى العمل ويحرض على الثورة السلبية ، فان تاغور يقوم على حراسة اللهيب الجوهري في حياة الهند

ذي الروح الكبيرة الحلوة يعجبنا أن نردّدها كل يوم . وبسببها . يقول رومان رولان الفرنسوي في كتابه الجديد الجميل ان « المهاتما أوجد في تاريخ السياسة أقوى وأنفذ حركة شهدها العالم منذ الفي سنة »

* * *

وبينا غاندي وتاغور ، وهما مجدا الهند ، يتفاهمان ويتعاطفان ويطلبان لوطنهما شيئاً واحداً الا أنهما لا يسلكان لذلك سبيلاً واحداً

غاندي يريد أن يجرّد الهند من كل أثرٍ غريب في الصناعة والسياسة والادارة والثقافة . وأن يعود بها الى عهد الآباء فتكتفي نفسها من نتاج مغزلها ومنوالها ، وتعيش عيشة ساذجة هادئة بمعزل عن ضوضاء العمران الاوربي

وأما تاغور فيمثل قوّة أخرى من القومية الهندية . ذلك الشاعر العالم والفيلسوف لم يأتِ بنفسه في المعمعة السياسية بل عني بوجهٍ آخر لا يغني عنه الاستقلال الاقتصاديّ والسياسي . وهو التهذيب القوميّ في المدرسة الحرّة ، واسماع العالم صوت الهند في آدابها العالية وفلسفتها الزاخرة

في كتبه خاطبت الهند العالم أجمع ، وما زالت تلقي

وحسن ادارتها لمصالحها الحيوية . والتعليم (مع ترقية الصناعة الوطنية وترويجها) في مقدمة هذه المصالح . وعليه المعول الآن في الشرق لتقوم المدرسة مقام المدرسة ومقام العائلة في آن واحد . لان النشء يجد غالباً في المدرسة الراقية الجو المعنوي المثقف الذي لا يجده في البيت

اعتدنا ان نلقي جميع المسؤوليات على الحكومة . مع ان التعليم يجب ان لا تتعهده الحكومة وحدها التي يهمها منه خصوصاً تخريج الموظفين لمصالحها . بل هو عمل أهلي وطني حر

لذلك حق عى الشرقيين في هذا الطور الجديد ان ينيلوا التعليم الوطني الحرّ ما يليق به من الاهتمام . وان يجعلوا لوزارة المعارف حق « الرقيب الناصح لا الشريك المخالف» . ومجالس المديريات وهي الصور الصغرى لطبقات الشعب أولى الهيئات بنشر التعليم الحرّ والنهوض به

كذلك نحتاج الى ارسال صوت الشرق الى الخارج لنقول أن حركتنا السياسية والاقتصادية انما هي مظهر فقط من حياةٍ قومية غنية واسعة

ويذكيه في مدرسته ويغذيه . ويرسل الى العالم الوقت بعد الوقت خبراً عنه وصورة محيية منه

* * *

كلٌّ من غاندي وتاغور متمم للآخر . واذا كان الحديث عن الهند أشبه ما يكون بحديث عن شرقنا الأدنى لتشابه المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هنا وهناك ، فالدواء العام الذي ينشدونه في تلك الاقطار هو هو أول ما نحتاج اليه . نحن كالهند نحتاج الى التوحيد بين العناصر ليتم لنا النهوض والاخذ باسباب الحياة . نحن كالهند في حاجة الى احياء الصناعة الوطنية وترويجها لنتدارك فقرنا ونكفي حاجتنا قدر المستطاع . وان لم يكن في الامكان ان يستغني الان أي قطرٍ من أقطار المسكونة عن صناعة الاقطار الاخرى أو عن بعض انتاجها ، فذلك لا يخلينا من تبعة التهاون في ترويج أقمشتنا ومصنوعاتنا على اختلافها

ونحن كالهند نحتاج الى مدارس وطنية حرّة ـ دون أن ننكر فضل مدارس الاجانب ـ تكيف النفوس على حب البلاد وتتعصب لقوميتها ووحدتها . فرقيّ الامم والافراد يقاس بمبلغ امتلاكها زمام أمورها

أرى تمثال ماريت باشا منصوباً فوق ضريحه على مقربة من المتحف المصري الذي سعى لانشائه، قلتُ : « لقد جمعت ايها المحسن آثار الفن المصري في متحف جميل، فنم آمناً في ظل المتحف المجيد ! »

ولكني لا أحذق معنى تسمية رصيف في بورت سعيد، أو في غيرها من البلاد المصرية والشرقية جميعاً، باسم رجل اجنبي منتهى ما يعلم الباحث من مميزاته انه امبراطور

تؤخذ أسماء الشوارع من اسماء عظماء البلاد وأبطالها وكتّابها والمحسنين اليها من ابنائها احساناً مادياً أو معنوياً. أو هي تستخرج من تاريخها القديم. أو تُقتبس من حادث طرأ عليها وترك فيها اثراً. هذا هو الاصطلاح الذي يتمشون عليه في سائر البلدان. فما لامبراطور النمسا والمجر ولشوارعنا، وما لنا ولاسمه مهما يكن طويلاً عند ما يكتبه باللاتينية ؟

كان وما زال سمو الخديو السابق صديقاً لهذا الامبراطور فلم نسمع ان حكومة النمسا دعت أحد شوارع فينا باسم عباس حلمي. وكان وما زال سمو البرنس فؤاد شقيق الحضرة السلطانية صديقاً حميماً لايطاليا وابنائها، وحتى الآن لم نعلم ان رصيفاً في روما أو شارعاً في نابولي

امبراطور يصير ملكاً [1]

أعني الرصيف الذي طلب اهالي بورت سعيد استبدال اسمه « فرنسوا جوزيف » باسم ملك ايطاليا . وغريب أن يكون المرء امبراطوراً فينقلب ملكاً . رغم اعتقاد البشر أن الاول ارفع من الثاني . ورغم ان الملوك لا يهدأ لهم بال في هذه الايام الا اذا غنموا لقب امبراطور

قد يكون الحق في يد اخواننا البورسعيديين . غير اني لا أفهم لماذا يطلق اسم ملك اجنبي على شارع او رصيف مصري . ولا أدري ما هي علاقة عميد اسرة هبسبورج ، أو كبير أسرة سافويا بأماكن شرقية عمومية أو خصوصية

معقول وواجب ان تطلق على شوارعنا وأرصفتنا أسماء المحسنين من الاجانب . فاذا ما رأيت تمثال دي لسبس قائماً عند اليم الذي أوجد له دي لسبس يداً زرقاء تصافح البحر الاحمر وتنقل بين قارات العالم القديم (بصرف النظر عن كل ما يتخلل ذلك من السيئات واشباه السيئات) حسنات العلم والتجارة والاقتصاد . اذا ما رأيت ذلك التمثال قلتُ : « احسنت ايتها الامواج بلثم موطئ قدميه ! » وإذ

(١) كتبت هذه الملاحظة في مدة الحرب

في عالم الالحان

(١)

لقد أخذ المعهد الموسيقي المصري على عاتقه حملا ليس بالخفيف ووضع نصب عينيه غاية محمودة. فلا يسعنا الا التمني أن « يأخذ الله بناصره » والدعاء له بالعمر الطويل

قالت صحف الأمس ان ادارة هذا المعهد ضمت الى اعضائها حضرة الاب كولانجت وغيره من الملمين بهذا الفن الماماً نظرياً أو عملياً . وذلك عين الصواب . إذ لا شيء يفيد موسيقانا والولوعين بدرسها مثل احتكاكهم بالموسيقى الغربية والاطلاع على افكار فناني الافرنج وأسلوب تمرينهم العقلي واليدوي والاقتباس عنهم .

يعيرنا الغربيون ان ليس في الموسيقى الشرقية أفكار ولا وصف ولا تصوير ولا تصور ، ولا أوبرا . سبحان الله ! وما حاجتنا يا ترى ، نحن ذوي الاعصاب الطروبة الذين يشجينا شدو القصب وتنهد النهر ونوح الحمام ، ما حاجتنا الى اشتباك الالحان وضوضائها ؟ نحن نتمنى لموسيقانا ان تظل شرقية محضة ، تعبّر بانغامها العميقة الحزينة عن

يعرف باسم هذا الامير المصري

فلماذا نعطيهم ما لا يعطوننا ؟ ولماذا نجرّد ابناء الشرق من نصيبهم الطبيعي ؟

نعم ان شوارع كثيرة تدعى بأسماء الحوادث التي طرأت على المدينة وباسماء نفر من المصريين . ولكن آخرين يستحقون الذكر ولا يذكرون . بينا كثير من اسماء الشوارع تدهش وتضحك . وتحمل على التساؤل ما اذا كان رؤساء مصلحة التنظيم من الاستغراق في التأملات الفلسفية بحيث لا يدركون، مثلنا نحن عامة الناس، ما تكنه وتبديه تلك الاسماء من النكتة والمهزلة

يشعر الافرنج الذين لم يألفوا ألحاننا بشيء من الغرابة اذ يسمعونها لاول مرة، وقد يتألمون لجدة الاوزان وتنافر الاهتزازات منها وتباطؤ الآهات. ذلك لأن السلم في الموسيقى الافرنجية ينقسم فقط الى مقامات كاملة والى أنصافها. في حين قسم الشرقيون المسافات بين المقامات الاصلية فكانت عندهم « المسافة الكبيرة » المحتوية على ثلاثة مقامات سموها أرباعاً، و « المسافة الصغيرة » المحتوية على ربعين فقط. ومن ثم الاهتزازات الدقيقة التي تزعج السمع الغريب في بادئ الامر. زد على ذلك ان الاصوات الشاذة عندنا كثيرة وهي لا تندر بين أكبر ملحنينا. وأقول بصراحة اني لا أعرف بين الذين سمعتهم من الاموات او الاحياء الا اثنين أو ثلاثة من ذوي الاصوات الصحيحة. اما الاموات فاشهد فيهم، بهذه الثقة، لأني سمعت صوتهم في الفونغراف

كذلك يخطىء المغني عندنا في تقسيم اوقات الانشاد وتوازن الآهات والأدوار. فقد يبدأ باصلاح اوتاره في الساعة التاسعة ولا يفرغ من ذلك إلا نحو الساعة العاشرة. فيصرخ « يا ليل يا عين ». ويظل منادياً ليله وعينه حتى انتصاف الليل. ثم يقضي الشطر الثاني من الجلسة الموسيقية على

خفايا القلب الشرقي وحنينه ولوعته ، وتلمس نفوسنا بترجيعها البسيط فتهتدي فيها الى مستودع العواطف الشجية وينبوع العبرات السخينة

ان الموسيقى الغربية رغم كونها « علميَّة » في طورها الحاضر تحدث مختلف التأثيرات شرط ان يكون السامع عليماً بها أو فاهماً ببداهته انغامها . والا كانت جلبة وضجيجاً لا يناله منهما غير الصداع الاليم

على ان أكثر الشرقيين يفهمون موسيقى بلادهم بلا درس ولا استعداد ، لأن مقاطع الحانها ساذجة متشابهة . باستثناء المتفرنجين الذين يدعون ان الموسيقى العربية لا معنى لها . وسبب هذا الحكم في الغالب هو تمكنهم من التوقيع ـ سواء كان ما يوقعون من جيد الموسيقى الافرنجية أم من رديئها ـ على البيانو . مع ان تقدير الموسيقى الغربية لا يؤدي الى انكار الشرقية . واصدق برهان على ذلك ان جماعة من كبار الموسيقيين الافرنج حاولوا اقتباس الالحان الشرقية وادخال شيء منها في ما يؤلفون . منهم كميل سان سانس الذي ألف لحناً ممزوجاً من جملة ألحان مصرية باسم « تذكارات الاسماعيلية » . فضلاً عن قطعه الفارسية الكثيرة

(٢)

كان المعهد السابق ذكره يشتغل خلال الحرب . ويظهر أنهُ هو الآخر استبدَّ به المقدور المتحكم في كثير من مشروعاتنا . فكان « شعلة قش وانطفأت » . ولعلي أجهل مصيره وهو ما زال حياً يُرزَق ويرزِق ؟ حبذا الخطأ في مثل هذه الحال وفي كلّ حالٍ تشبهها !

على أننا لسنا في جمودٍ موسيقيّ صرفٍ . ولا يسعنا الاّ تقدير جهود أساتذة الموسيقى وهواتها في وسط ما زال من هذه الجهة في سبات ، ولم يستيقظ منه الاّ الأفراد القلائل

لا يخفى ان الموسيقى الشرقية جمدت عصوراً طويلة بعد ان وصلت عند المصريين والاشوريين والعبرانيين الى درجة الاتقان المتناهي . بشهادة الآلات المنقوشة صورها على الآثار . ولم يتغير السلم الموسيقي الشرقي أصلا رغم انحطاط الفنون كل هذه المدة . وأهم ما يلاحظ في الأعوام الأخيرة من قبيل التجديد هو ضبط الألحان بالعلامات الافرنجية . بعد ان كانت الألحان تنتقل بالتواتر والتداول من جيل الى جيل شأن الالحان الشعبية القديمة في أوربا

مقطع أو مقطعين من الدور . وكم يضيق المرء ذرعاً بهذا التطويل ويكاد يصرخ في وجه المغني : فهمنا يا سيدي ! اذكر النشؤ والارتقاء وغير هذه الجملة !

ليس كلّ الغناء في اللحن فقط ، بل ان معنى الكلمات عامل أوليّ في حمل الاعصاب على الاذعان لسلطة الموسيقى . فلينوّع الموسيقيون اذاً الفاظهم ما استطاعوا . ولينشدوا كل أدوارهم وليس كلمات منها فقط . وليتركوا الليل مصغياً لا هاتهم المطربة والعين مغرورقة بدموع الحزن والسرور . والآهات مؤثرة شرط أن لا يكثروا منها الى حد يملّ عنده السمع وتسأم النفس

ليس على المعهد الموسيقي الاحتفاظ بالموسيقى العربية ونشرها بين الغواة فحسب . بل عليه وفي هذا أهمية موقفه ، ان يعني باصلاحها وحذف ما علق عليها من الشذوذ والافراط في المرادفات ، وان يبث فيها نسمة الانعاش

نرجو ان يعنى المعهد بذلك . وما أشد شكرنا له يوم نراه قد أدخلنا في سفر التكوين

أعني بلا ضحك ، سفر التكوين الموسيقي

الفرنساوية العصرية . وهو اليوم مع ملحني الروس رائج بين هواة الموسيقى ، لا سيما منذ وفاته . لأنه بعد ان سكب شبابه الغض أنغاماً مضى . فهو يمثل في نظري الدور الذي مثله كيتس أو شلي في الشعر الانجليزي

في موسيقى دبسي تهب حيناً بعد حين لفحة من جو نا او تئن روح الشرق الحزينة . وقد بدا بعض ذلك في قطعةٍ موسومة باسم « سهرة في غرناطة » سمعتها في الحفلة المذكورة موقعة على البيانو أحكم توقيع . لم يخلد الملحن في كل تأليفه هذا الى جو الاندلس الذي تلاقت في بيانه الفني أرواح الغزاة من العبرانيين والقلت والفينيقيين واليونان والقرطاجنين واللاتين والقوط والعرب . ولا تغلّب على شتيته المنظم النغمات ذلك الطابع الشرقي ذو الحماسة الكئيبة الذي نستجليه في معظم ما نسمعه من الموسيقى الاسبانية . بل هو استسلم لأثر الموسيقى الاوربية المتعارضة أنغامها بالعناصر الوصفية والذهنية والتصويرية في تساوق الالحان (harmonie) لمسايرة اللحن الاساسي وهو النغم (mélodie) . استسلم لذلك وعبر عنه باسلوبه الاركستري بعد تكييفه بطبيعته الفنية ونبوغه الطروب .

فكتابة الموسيقى اذن أصبحت غربية يزيد عليها العلامات المحتم زيادتها لان ليس في الموسيقى الغربية ما يقابلها وهي أرباع المقامات . ويساير هذا التجديد محاولة ادخال العنصر الغنائي الغربي وإدماجه في النغم الشرقي على نحو ما فعل ملحنو الغرب الذين استوحوا الموسيقى الشرقية وأفاضوا من عنصرها على مبتكراتهم . إلا انهم أبرع منا في الاستيحاء لأنهم فازوا بثقافةٍ موسيقية وفنية راقية . أما نحن الذين كان لنا آلات موسيقية تمتعت بكمال لم تصل الى بعضهِ آلات الاغريق في مجدهم ، ونشأت عندنا ذوات الأوتار كالعود والقانون والقيثار التي دخلت أوربا عن طريق اسبانيا ـ فضلاً عن سائر الآلات المذكورة في التوراة ـ فما نحن اليوم إلا في دور الثغثغة

وفي هـذا صعوبة موقفنا وكثرة ارتباكنا وتهافتنا أحياناً على ما هو بالاعراض أحرى . في حين نطرح الطرفة الفنية المنيلة قوتاً وتنقيفاً وصقلاً

(٣)

في فصل الشتاء تكثر عندنا الحفلات الموسيقية الوترية والغنائية . ولقد حضرت أخيراً حفلة كانت كلها مكرّسة لتوقيعات كلود دبسي الشاب الذي أبدع في الموسيقى

تجدُ من الانفعال والشجن والبث والكآبة ما يجعلنا وإياهم في جو واحد من الطرب

ولكن صونوا كرامة الطرب ، أيها الاساتذة ، ولا تسجلوا علينا أشباه حكاية الكوكاين . لا تجدّد لموسيقانا بهذه الدندنة التي تدعى (Musiquette) وحاشا للمحترف أو الغاوي ان يفسد ذوقه وثقافته الفنية بالاستماع الى مثل هذه الالحان التافهة . ليست الغاية من التجدد نقل الالحان الغربية على ما هي وإنما التجدّد بالاستيحاء . كأن مثلاً ترى شيئاً جميلاً . أو تسمع لحناً مطرباً . أو تقف على فكرة رائعة فلا ترسخ في حافظتك على ما هي بلا زيادة ولا نقصان . بل هي تشعرك بوجود كنوز كثيرة وراء ما تدرك ، وتفتح لك منافذ على آفاقٍ لم تأبه لها من قبلُ . فتنظر فيها ومنها تستمد

اكبر قيمة البيان الفنيّ وقيمة الحياة الأدبية في ما تفسح من أفق وتشعرنا بوجوده من مجهول . لا بما تؤديه من المعاني المحدودة . كلّ قيمتها في حثنا على تناول أعلى مثال من الجمال وبما تبسطه من ابدية لا يلمسها الحس الا لدن يحاذي الوحي . رغم كون الأبدية كامنة في هذا الحس كما يشتمل عمر الشخص الواحد على سلسلة من حلقات

الا انه ظلّ يعود دواماً ويعود أبداً بعد كل وثبة وكرّة وفرّة الى ذلك القرار الذي تئن فيه كآبة الشرق السحيق . وتتنغم منه الزفرات والآهات على وقع خرير المياه من نوافر المرمر الشفاف ، في ليل قصر الحمراء المثقل جباه الملوك والامراء بوسم المجد وأحلام الغرام

أظن أن من أنفع ما يستوحيه ملحنونا الشرقيون هو هذه الحفلات الموسيقية تعزف فيها ألحان الغربيين الذين بين أرواحهم وبين الروح الشرقية قرابة

لأن هذه القرابة موجودة في الفن والادب والموسيقى والفلسفة . فان ادجر آلن بوو مثلا ، وموسه وبايرن ودانتي وهايني وشكسبير كذلك ، أقربْ ما يكونون الينا . بينا ملتن وتاين ولافونتن وكاردوتشي ورسكن وأوهلند أبعد ما يكونون . بتلك القرابة نستوحي الموسيقى التركية والفارسية والارمنية واليونانية الحديثة والبلقانية . لاسيما الهنغارية التي يسهل الاقتباس منها مباشرة . ففيهن جميعاً شيء من ذلك الحث المهيج تلازمه النهفة الحزينة الجوهرية في الروح الشرقية . ونجد مثل ذلك في الموسيقى الروسية كموسيقى روبنشتاين وجانكا ورخمانينوف وارنسكي ليادوف وجريج النروجي . فعند هؤلاء وغيرهم

معرض الصور المصري

(١)

مارس ١٩١٩

لقد أضيف الى الاحاديث المزعجة التي ملأت اندية القاهرة في هذه الايام موضوع لطيف لم تألفه بعد اجتماعاتنا ، موضوع الفنون الجميلة . وذلك بفضل المستر ستيورت الذي عرض رسومه المصرية ، وفضل اخواننا الاقباط الذين أقاموا قبله معرضاً كشف لنا عن أمر جهلناه.

واني لأستغفر عما خالجني من الشكوك . فاني دخلت القاعة وفي نفسي ارتياب كثير وأمل ضئيل . ولكن ما ان عرضت طائفة من متقن الرسوم حتى قلت الكلمة التي سمعتها ممن زاروا المعرض قبلي وهي : « انهُ أحسن كثيراً مما كنت أتوقع »

مرضية النظرة الاولى في الردهة الكبرى لجامعة المحبة والغرف الاربع المحيطات بها وقد تغطت منهن الجدران طولا وعرضاً . ولم أكن أدري ان للطائفة القبطية شغفاً بالرسم . غير أن العارفين يقولون ان هذه المعروضات

التجدد والفناء . والأثر الفني قمين بالخلود على قدر ما يحدّث عن تلك الابدية التي تتعاقب في الأجيال . وما عمل الأجيال الا أن تمرُّ في رحابها وتنقضي

(٣)

بين موسيقى الشرق وموسيقى الغرب فرق اساسي فهي في الغرب علم . تمثل في تأليفها وتوقيعها مأساة الجهاد والكفاح بين العواطف والذكاء

أما في الشرق فكل الموسيقى عذاب وشجو وأنين

هي صوت القلب وخلاصة التعبير الوجيع . يتجسم فيها دون غيرها معنى الامتثال اليائس والصبر المرير . فتسمعها أبداً منشدة على لحن واحد « ميلودي » . وكل إنعاشها يجب ان يأتي عن هذه الطريق وليس عن طريق ادخال التساوق « الارموني » فيها . فتساوق الالحان أخصّ خواص الموسيقى الغربية

قال لسنج مرة انه يعتقد بأن رافائيل قد كان يكون مصوراً عظيما حتى ولو ولد بدون ذراعين . والموسيقى الشرقية تستطيع ان ترتقي دون ان تتبدل طبيعتها اذا هي تعهدها الحذق الفني والحاسة الموسيقية الدقيقة

(النصف تقريباً) من صنع السيدات والاوانس، وهو شيء لم نكن نتوقعه مطلقاً وتسرنا منه المباغتة اللطيفة. وقد كان هناك غرفة خاصة باحدى الاوانس وقد غطت نقوشها ورسومها الجدران الأربعة. وفي غرفة أخرى كنت ترى جمهوراً من الفتيات يتناقشن ويتسامرن ويسارقن الزائرين النظر آونة بعد أخرى. ولو علمت انهن صاحبات الرسوم المعروضة لأدركت معنى تلك النظرات الخفية

ان هذا المعرض التجريبي مقدمة لتحقيق آمال كبيرة ان شاء الله. لقد قلّد إخواننا فكانوا متقنين ونسخوا فكانوا مجيدين ونائلين من مثل رئيس مدرسة الفنون الجميلة في هذه العاصمة كلمات التشجيع والاطراء. فهيا الآن الى الابداع والابتكار واستيحاء الطبيعة والحياة مباشرة بلا وسيط! نظرة عين أو ثنية شفة، أو دمعة ترتعش على حافة الجفن، أو سحابة تذهب حواشيها أشعة الشمس، أو خيال من خيالات السرور والاسى والشوق والتمني — كلُّ معنى مهما يكن هزيلاً ينقلب أثراً فنياً بعمل المخيلة المبدعة والريشة الخالقة. وكلما عالج الفنّان التعبير عن ذاتيته نمت تلك الذاتية واتسعت. وقد اصبح باب المقابلة والمسابقة والمفاضلة مفتوحاً. وكثرة المترددين على الندوة تنبيء

انما هي لبعض الغواة من رجال ونساء وان الآخرين لم يعرضوا لوحاتهم . أما المحترفون ـ وهم عدد يذكر على ما قيل لي ـ فقد أبوا الاشتراك في المعرض لانهم اشترطوا ما لم يتمّ الاتفاق عليه

لا يلوم هؤلاء من يدركُ قيمة العمل والجد لنيل غاية بعيدة ، ولكلٍّ مطالب تقاس عنده بما بذل من سعي ومجهود . على اننا كنا نود أن يتم الاتفاق على ما يرضي الغواة ولا يغضب السادة المحترفين . حتى ينجلي للجمهور مظهر صادق من الحركة الفنية عند اخواننا الذين يبالغون في التكتم واخفاء أساليبهم وميولهم عن غير الاقباط

لم يكن ثمة ما هو منقول عن الطبيعة مباشرة أو معبر عن فكرة شخصيَّة إلاّ رسمان اثنان. إلا أن من الرسوم المنسوخة عن رسوم موضوعة من تماثيل ونقوش وفوتغرافيات ومناظر طبيعية ، كان حسناً . ومنها ما هو دقيق الاتقان سواء في التفاصيل والاجمال . وكلٌّ من سعى لاقامة هذه الندوة وعمل في تنسيقها وترتيبها يستحق جزيل الشكر . لأنّهُ كان مشجّعاً فكرة صالحة ومعزّزاً قيمة الفن بين ظهرانينا . ومما يغتبط له بنوع خاص انّ قسما يذكر من هذه المعروضات

وهذا هو الكمال في المساواة في عوالم الفنّ والفكر والعلم حيث تتجلى الطبيعة الانسانية العامة واحدة عند الجميع

وقد درج المعرض على هـذه المساواة منذ سنته الثانية · بيد انه أقيم هذه المرة في قاعات سافوواي بصورة شبه رسمية ومكبرة عن صورة المعرض الذي كان يقام في الأعوام الماضية . وهو الذي كان حجر الزاوية منه ذلك المعرض الصغير في دار جامعة المحبة القبطية سنة ١٩١٩ !

كانت القطع المعروضة هذا العام تنيف على الأربعمائة ولا أدري هل اللجنة المنظمة أصابت في ذلك . لأن الكثرة ليست ضماناً لرقيّ الذوق الفنيّ ولا دليلاً على جودة الصنعة

قد لا يغضّ التدفق من نفاسة النوع عند الطبائع الغنية الفياضة . ولكنه عندئذٍ الإستثناء الجميل . أما القاعدة ففي وجوب التأني للاتقان الذي لا كمال بدونه . والقليل المتقن لا سيما عند المبتدىء خير من الكثير المشوّش

كان على اللجنة ان تتصعّب في قبول المعروضات وان تكون أدق نظراً في الاختيار ليكون القبول منها بمثابة التشجيع لذوي المواهب الفنية والتقدير لمعروضاتهم . كان عليها ان تنبذ « الخرابيش » التي يزعم أهلها انهم يعرفون يرسمون ويصوّرون . فلا تضع الادعاء والخلوّ حيال

باستعداد عند الجمهور لدرس الاعمال الفنية وتقديرها

أي شيء أجمل من الفن وأي شيء أقدر منه على تصفية النفس وترقية الميول وتطهير الافكار وتنقية العواطف ؟ واذا انفتح ذلك الباب باب الغبطة المعنوية فهو لا يغلق أبداً . بل يعبره المرء الى عالم جديد تملأه مسرات (وآلام !) تتضاءل أمامها المسرّات والآلام الأخرى

نرجو أن يقام هذا المعرض كل عام ونرجو ان يحقق الآمال ، كما نرجو أن لا يكون في المستقبل قبطياً صرفاً بل مصرياً كلّ المصرية . لأنّهُ كما يتيسر الاخاء في أفق الوطنية كذلك هو ميسور في جميع الدوائر السامية دوائر الخير والعلم والفن والفلسفة [1]

(٢)

أبريل ١٩٢٤

رأينا هـذه السنة المعرض السادس . وهو ، طبق المرام ، ذو صبغةٍ مصرية كما يليق بالبلاد التي يُقام فيها وطائفة كبيرة من معروضاتهِ من صنع المصريين . ومعها معروضات لغير المصريين محترفين وهواة رجالاً ونساء .

---

(١) كتبت هذه المقالة بتوقيع « خالد رأفت » المستعار

المصوّر في الخطوط والألوان والشكل والقالب بمثابة الاغلاط اللغوية في آثار الكاتب . تلك الاغلاط تتضخم ولا تغتفر عند الكويتب المتطفل . بينا هي جزء من شخصية الكاتب الكبير . فالشواذّ اللغوية والبيانية كثيرة عند شكسبير ، وجلية عند بايرن وغيره ، على انها لا تنقص من قيمتهم بل الواقع انهم جوّزوها ودمجوها في اللغة لمجرد وجودها في آثارهم . وهي عيوب قابلة الاصلاح واصلاحها من أسهل ما يكون

رأينا من هذه اللوحات في المعرض . أما عيوبها ففي ارتباك التأليف وعدم مراعاة التوازن في توزيع الطباق والابعاد ، وكأنها كانت مفتقرة الى توحيد الاسلوب على منهج واحد . ولكنّ فيها مجهوداً جميلا ، واقتحاماً جديداً ، وسعياً لشقّ سبيل غير مألوف

وهناك لوحات تستوقف الانتباه لانها خلال التعبير عن فكر متغلب أو تأثر طام أنبأتنا بأن ثمة شخصية كبيرة ومزاجاً فنياً مشوّقاً قدّر له ان يبرز بحرية وان يصعد عالياً في أفق الفن

فكما ان في هذا المعرض وجوهاً للتحسين والاصلاح فكذلك فيه حسنات توحي الرجاء . وأكبر الامل انه

الكفاءة والمقدرة يطميان عليهما . وخير « للصالون » ان يحوي مائة لوحة ــ أو أقل ــ جديرة بالالتفات والاستحسان من أن يحوي مقدار ما تحويه صالونات باريس وروما ، فيظهر العجز في هذه الكثرة ولا يكون تعدّد الأطر والنقوش شفيعاً في نقص الاصل وضعفه

فمن تلك المعروضات ما كان يحتمل احتمالاً . ومنها السطحيّ المصطنع الباهت كأنه نقش بماء الورد . ومنها ما لا يقبل الا كأثر رسم في الطفولة يوم بدأنا ننسخ طاقات الورد والاواني الزرقاء والصفراء عن دفتر كاتارينا كلاين الألمانية . وأفهم ان يستاء الفنانون من جيرةٍ لا ملق لهم فيها ولا نخر

وكان مما يبعث على السرور والأمل ان نتبين بين تلك القطع (المنسوخة عن منسوخ في الغالب) بعض الرسوم الجديرة بمكانةٍ لائقة في أيّ معرضٍ ذي كرامة . فنرى فيها فنّ التلوين ، وجرأة الخطوط ، وإحكام الرسم ، وجلاء الأسلوب ، وحذق التعبير عن خاطرة جلية أو تأثر غير مرتبك

ولا بأس من عيب أو عيوب إذا كانت اللوحة ناطقة بمزاج فني واضح الحدود والفوارق . فعيوب

الروح العامة اذا هم وجدوا من الظروف ظهيراً واستطاعوا ان يثقفوا مواهبهم بما تقتضيه من سعي ومجهود وثبات

ولكن ليس كل من رسم كذلك . وللمرء كلّ الحرية في ان يرسم لنفسه ويعرض رسومه في منزله . ولكن حريته تغدو محدودة يوم يهم بنشر ما لها به في معرض عامّ

ان الرسم والتصوير والنحت كالشعر والموسيقى ، لا خير فيها إلاّ اذا عبرت عن مزاج تامّ وكانت على جانبٍ من الاتقان . في حين ان أية نهفة من صوتٍ ولو غير جميل ، تعني شيئاً ما وتدلُّ على خاصة حيوية . وحسبها انها تنوُّع من التنفس الذي هو أصل الحياة وضمانها ودليلها الواحد . أما التصوير والرسم والنحت والشعر والكتابة الادبيَّة فلا بدَّ أن يتساوى فيها حظّا الصنعة والفنّ . أيّ « كيفية » التعبير و « كميَّة » من شخصية يتسنى التعبير عنها

ونحو هذه الغاية فالتسر مصر في معرضها التصويري فتنشر آثاراً توازت فيها المادة والاسلوب . وليس من الضروريّ ان يتكاثر العدد كلّ سنة ، ولكن من المحتم أن يرتقي الفنَّانون وتصقل مواهبهم وتجود آثارهم . فالفنّ ككل شيءٍ آخر في الحياة ، له مختاروه وأشياعه

يقام كلّ سنة وان في مصر الآن نواة فنية يرجى لها النموّ . فللجنة الساهرة على هـذا المعرض السنويّ أجمل الثناء ، مشفوعاً بالرجاء ان يكون الانتخاب في العام الآتي أدق وأحكم . فمصر طفلة في الفن واليقظة ، وهي ككل حدث تحتاج إلى من يتعهدها بخبرة ومحبة

(٣)

أقول مصر في طور الحداثة وأعني كل ما تتضمنه هذه الكلمة . فان هـذا الطور إذا كان كثير العيوب ففيه كذلك حظ كبير من الحسنات والمواهب التي تنتظر الصقل والنموّ

في هـذا الطور خلوص النية وصفاء الطوية وذكاء الفؤاد ، ومقدرة العطف ، وشتى الحوافز لاقتحام أعلى القمم . وفيـه خلوّ من مرارة التجربة وتجاهل لليأس والفشل . وهو حديقة تنور فيها كل أزهار الامل

ومصر متمتعة بهذه الثروة الفاخرة

فعلى متعهدي الفن فيها ان يذكروا ان بعض الامزجة ذات وزنٍ كبير أو ذات وزن ما . وتلك هي التي يكون الاغضاء عنها جريمة وخسران . وسيكون لاصحابها أثر في

« أعتقدُ باخلاص ان خير نقدٍ هو النقد المنوّع الشعري المبهج . لا ذلك النقد البارد الذي يسلك طريقة علم الجبر في حلّ المسائل الرياضية ، فيزعم شرح كلّ غامض وفضّ مغالق الطبيعة ، دون تحيز ولا تفور . بل بتجريد نفسهُ اختياراً من كل مزاج وكل نزعة

« يتحتم أن يكون الناقد واسع المعرفة والادراك رقيق الاحساس صادق الاخلاص ومقياسه هو الطبيعة بأسرها بانسانها ومجتمعها . ثم عليه أن يتأثر لينقد بانفعال . لأن كونك ناقداً لاينفي كونك إنساناً . والانفعال يقرب بين الامزجة المتشابهة ويسمو بالمدارك إلى علو جديد . وبهذا منفعته للفنان والمتفرّج

« التصوير كجميع الفنون هو الجمال تستوعبهُ عواطف كلٍّ منا فيعبر عنهُ بانفعالاتهُ وأحلامه . أو هو التنوع في الوحدة . أو هو الوجوه النسبية المتعدّدة من الكل المطلق. فعلى الناقد البصير اذن ان ينظر الى الأثر الفنيّ والتعبير الفنيّ ومن ورائه الطبيعة وما وراءها لا يغيب عن بصره . فيشرح ما في البيان الفنيّ من معلوم ومجهول ، أو من نقص في العلاقات ، أو من علاقات مختلة . الناقد العليم القادر استاذ الحياة بما فيها من العلانية والاسرار ،

وقد كان دواماً نصيب الاقلية . ولا يطلب من الجمهور إلا أن يفهمهُ أو يفهم بعضهُ . وتربيتهُ على ذلك ميسورة في مثل هذه المعارض السنوية

(٤)

ومن مزايا هذا المعرض الذي يخلق « جوًّا » للفنّ ، ويبثّ في الجمهور رغبة في درس الفنّ ، وينشط معالجي الفن وهواته ، انه موضوع يمرن عليه كتابتا مقدرتهم في النقد التصويري . ومنهم من يبدي في ذلك إدراكا دقيقاً وإحساساً نافذاً ، وإخلاصاً مشكوراً . فلا يسئم المواهب الصالحة بالكلام الفاتر في الموضوع الحارّ ، ولا يملقُ الغرور والغطرسة بالثناء الوفير على ما هو عادي قد لا يستحقّ أكثر من النظرة السريعة

« ما نفع النقد ؟ » يتساءل شارل بودلير . ثم يجيب — « الفنان يلوم الناقد في أنهُ لا يفلح في تعليم المتفرّج الرسم والنظم . وهو كذلك لا يعلم الفنان الذي لولا فنه ما كان النقد . ولكنّ هذا اللوم لا ينطبق إلاّ على النقد الذي لا يرى ولا يشعر ولا يدرك »

« كيف يكون النقد إذن ؟ »

لبيكَ ، يا مسيو فانبير !

المسيو فانبير هو الكاتب الاجنبي الذي يكتب لمجلة بلجيكية عن حركة الادب في العالم . وإذ همّ بالكتابة عن الآداب العربية وجد انه في أمرها على جهلٍ تام . فبعث الى الدكتور طه حسين يشكو جهلهُ . وزوّد الشكوى بعشرة أسئلة يليها « ملاحظة » ، وجهها الدكتور في جريدة « السياسة » الى الادباء وحملة الاقلام . ولا أدري هل هم ردّوا عليها فهيئوا لمسيو فانبير مادة كافية لمبحثه عن الادب العربي

تعرف اوربا شيئاً غير يسير عن آداب الهند والصين واليابان والفرس والترك والارمن . ولا تعرف منّا نحن الا ما يحدِّثها به المستشرقون عن آدابنا القديمة وبعضهم ذو فضل عميم . أما عن آدابنا الجديدة فيحدثها كتابها وسياحها الذين يمرون بالشرق فيرونه كما يريدونه أو كما يتخيلون . ويحدثها بعض محاسيبها فيذكرون لها ما يهمها مباشرةً ، وقد يؤوّلون ويكيفون لتتوافق الاحاديث وهوى المصلحة

والمتحركات والسواكن . يعرّفها للفنان الذي عالجها صامتاً ويعرّفها للجمهور الذي يحدّق فيها جاهلا »

هذه بعض أقوال بودلير في النقد الفني . وهو الذي كان ناقداً ممتازاً كما كان شاعراً مطبوعاً . والكلام على النقد الفني ينطبق على النقد عموماً . اذ ان النقد كالحرية والعلم والفن لا يأتي بالطفرة ، بل هو تمرين متتابع طويل لكفاءة طبيعية

لذلك قلتُ انه إذا سرّنا ان نرى هذه المعارض الابتدائية فيسرنا كذلك ان تظهر على مقربة منها ، وتصقل عن طريقها ، موهبة النقد الذي يدرك ، ويشعر ، ويحاسب نفسه على ما يقول . مقابلا بين موضوعه وبين ما يعدله في الحياة والطبيعة والمجتمع

وهذا النقد العام الناظر الى الامور من جميع جهاتها قليل جداً في اللغة العربية التي عني أئمتها في الغالب بالنقد اللغوي وما اليه

ولذلك كان من دواعي الابتهاج ان تبدو مع النزعة الجديدة الى الحرية السياسية النزعة الى العمل الفني يحاذيها النقد الصادق الذكي

هو ثالوث حي سعيد ، بورك فيه !

دليل على أن هذه الخواطر لم تمرّ في أذهانهم بمثل هذا الاطراد . ولا لوم . وإن جاز اللوم فهو يقع أولاً على الصحف الافرنجية التي لا تعنى عندنا بغير الجانب السياسي وتغفل ما عداه . ويقع بعدئذ او قبلئذ ، على الصحف العربية التي لا تهتم برسم صورة عامة من آدابنا .
وبعد ، وقد زل بي القلم الى ما يغضب الصحف العربية والافرنجية جميعاً ، فلأمضين في الجرأة فألوم الدكتور طه حسين الذي يشغل صحيفة الادب الاسبوعية في « السياسة » بأبحاث ممتعة عن الشعراء الاقدمين ، ويتغاضى عن الادب العصري فلا ينيله كلّ ما هو جدير به من البحث . وهنا اسكت وبي شبه ذعرٍ ان تنقضّ عليّ الصواعق من كل صوب

ومن ثم أجيب عن المسائل . لا لأرسلها الى المسيو فانبير بل لأهتدي الى ما يجب أن يعرفهُ الكاتب الاجنبي ، ولأرسم لذاتي صورةً واضحةً على قدر الامكان من هذه الموضوعات المتشابكة

* * *

السؤال الاول — « هل لك أن تكتب لي ترجمة مفصلة لحياتك وآثارك الادبية ؟ »

وأدباؤنا الكاتبون باللغات الأجنبيّة يعنون بالتعبير عن شخصيتهم ، ويعالجون الموضوعات العامة لتأييد مذهب ما . فنظل مجهولين الا من الذاكرينا الوقت بعد الوقت بما يحمل على الحكم بأنّ كلّ ما لدينا فتيتٌ يقع عن موائد الغير . أو هم يفخمون بعض الحوادث والمعاني والاشخاص ويضخمونها ضاربين صفحاً عن مركزها المحدود في عالمنا الادبيّ العام

فلا عجب أن يشعر الكاتب الاجنبي بالجهل والقصور اذا هو همّ بالبحث الجدي . أما الملاحظة فأوردها قبل المسائل لأهميتها قال : « ليست هذه المسائل دقيقة ، وإنما هي أعلام تبين لك الغرض الذي أقصد اليهِ من هذا البحث . ولك الحرية المطلقة في أن تفصل ما استطعت وتبسط كل آرائك في المسائل التي القيت عليك »

وقد صدق مسيو فانبير . فليست هذه المسائل « دقيقة » وإنما هي الخطّوط الكبرى الراسمة صورة الآداب ، وهي عندي أهم من « الدقة » . اذ رغم ما نريقهُ كل يوم من مداد فاننا لم نوضح بعد ما قد توضحهُ الاجوبة الصغيرة عن هذه المسائل . وكثيرون منّا لم يفكروا فيها . وفي بعض ما يكتبه أفراد من صفوة كتابنا ،

* * *

السؤال الثالث — « ما وجهة الشعر العربي الحديث وماذا عمل فيه من المؤثرات ؟ »

الجواب — أما وجهته المعنوية فلم تبرز بوضوح حتى الآن واني لا أرى غرضاً مقرراً يرمي اليه بمجموعه أو في قطرٍ من الاقطار . إلاّ كونهُ سائراً مع الجيل الجديد من الشعراء الى التحرُّر يوماً فيوماً من الاسلوب القديم والتعبير القديم والقيود الصناعية التي يتمشى عليها انصار القديم آمنين . أما المؤثرات فأهمها الشعور بحاجة البلاد وآلامها والشعور كذلك بجمالها وخلودها ، يصحبه استفزاز العاطفة الوطنية والتغني بحميد الصفات الشرقية وتعظيم الشرق وتمجيد الحرية . ومؤثرات أخرى اكتسابية أتت عن طريق الدراسة والاطلاع على مبتكرات الغرب فلفتت الشعراء الى ما هو جدير بعنايتهم وأغانيهم ، وشرحت لهم بعض ما يخالجهم ، ودلتهم على كيفية الافصاح عنه . وعندي ان اظهر ميزة في أبناء اليوم انهم يعتلجهم القلق امام مشاكل العالم . أدركتهم حمى الحياة فهم يبحثون من المسائل ، ويعون من معاني المجتمع والطبيعة ، ويحسون من روح الوجود ما كان ولا يزال الجيل السابق

الجواب — لا ، يا سيدي المسيو فانبير ، فذلك التفصيل يستغرق حياتي الصغيرة كلها !

* * *

السؤال الثاني — « ما الينبوع الذي يستمدّ منهُ الشعر العربيّ الحديث ؟ »

الجواب — شعر شعرائنا يستمدّ الآن من ينابيع شتى لا من ينبوع واحد . فهناك الشعر المستمدّ من الشعر العربيّ القديم يتحداه ويعارضه بالوصف والتشبيب والمجاز وهو قلما استحسن الجديد . وشعر آخر يستمد من القديم كذلك الاَّ أنه يتناول بعض المعاني العصرية ويلخص شيئاً من النزعات الشائعة ، فيصبها في قوالب قديمة يحرص عليها جدّ الحرص . وهناك الشعر الجديد الصرف أي المستمد من المعاني الجديدة والانفعالات الجديدة والمعارف الجديدة (لهُ) . فيصوغها في قوالب مبتكرة متفلتاً من القيود القديمة الى تحدّي الافرنج في تعديل الاوزان وتنقيح القوافي . وهذا الشعر تختلف شعبهُ باختلاف معرفة اهلهِ للغة الفرنساوية أو الانجليزية أو غيرها . ولكن هاتين اللغتين بما نقل اليهما عن اللغات الاخرى هما الشائعتان

من النقد الادبيّ مع تمسك بأصول اللغة ومميزاتها . وقد تشتت الآن أعضاؤها . وما زالوا يعالجون كلٌّ ما يميل اليه بطبيعته من شعر وأدب ونقدٍ

وفي بيروت « عصبة الأدب » ورئيسها فليكس افندي فارس . وغاية هذه الجمعية النهوض بالادب العصري . لم تحلها الحكومة ، ولكني غير واقفة على أعمالها كجماعة منظمة وإن اطلعت على آثار أفرادها المنخوبين رجالاً ونساءً . وكان لها شبه لسان حال في جريدة اسبوعية يصدرها أحد أعضاءِ العصبة ، وهي جريدة « الشعب » التي أوقفتها الحكومة منذ عامٍ ونيف

وسمعتُ عن جماعةٍ تشبهها في حمص . إلاّ أني أجهل مبلغ قوّتها وأين هي من أعمالها ونشاطها . وقد حدّثتنا الصحف عن « منتدى التهذيب » في بغداد الذي كانت فاتحة أعمالهِ انه أقام حفلة تكريم للاستاذ جميل صدقي الزهاوي

وفي نيويرك « الرابطة القلمية » وعميدها جبران خليل جبران ، ولسان حالها جريدة « السائح » النصف الاسبوعية . وميل هذه الرابطة جليّ الى التحرر من القيود الصناعية والبيانية في الشعر والنثر وتسهيل قواعد اللغة والتصرف ببعض ألفاظها . وهو ميلٌ يتطابق وحالتها

غافلاً عنه. ومن الدلائل اعتقاده البادي في آثاره ان مشاكل العالم تحلّ «بالنصائح» وان ما نراه من التشويش والضجيج راجع الى «عناد» الناس «وغرورهم»!

***

السؤال الرابع — «أتوجد في مصر أو في غيرها جماعات منظّمة من الشعراء؟ واذا كانت هذه الجماعات موجودة فما ميولها ومَن زعماؤها؟»

الجواب — لا أرى شيئاً من ذلك في مصر. لا يوجد هنا جمعية واحدة لا للشعر ولا للنثر. وهو أمرٌ يؤسف لهُ. وبي استعداد لألوم بسببهِ أحداً ما ولكني لا أدري إلى من أوجه الملام. أما سوريا فقد كان فيها جمعيتان أو ثلاث. إحداها «الرابطة الادبية» في دمشق ورئيسها خليل بك مردم بك. لم تشتغل هذه الرابطة إلاّ سبعة شهور ثم انحلت بأمر الحكومة. وعطلت مجلتها لأنّ أحد أعضائها اشترك في حركةٍ ثوروية وألقى قصيدة اعتبرت مهيجة. فلم ينفسح لهذه الجمعية الوقت لترينا ميلها بجلاء. إلاّ انها كانت تعني بجدّة المعنى في الشعر ومتانة المبنى، وتنقل الى العربية شيئاً من آثار الافرنج، وتتعهد النزعة الأدبية الحديثة وجانباً

الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر .
والخامسة المحدثون ، وهم من بعدهم كأبي تمام والبحتري .
والسادسة المتأخرون ، وهم من بعدهم كأبي الطيب المتنبي
وأبي فرّاس » اه

هذا ما جرينا عليه في تمييز الشعر العربي وهو كما ترى
تمييز تاريخي . أي اننا ننظر إلى أطوار الشعر بالنسبة للزمان
الذي عاش فيه الشعراء دون ما شعروا بهِ وعبروا عنه
أو كظموه مما يتفق وزمانهم ووسطهم أو يسبقهما . ولا
تنتظر مني ، يا سيدي العزيز مسيو إليان ج . فانبير ،
ان أحدّثك عمّا يدور في خلدي النسائي الصغير في
ما يتعلق بهذه الأطوار ، أو ان أجازف بوصفها على غير ما
ألفنا . لأنك لو عرفت لغتنا الشريفة فتسنى لك ان تنظر
في هذا الكتيب لرأيتَ اني لم أفلح بعد في ازالة استياء
الشيخ كاظم الدجيلي بسبب « العلواء عند العرب » . أفلا
يشق عليك ان اشتبك بسببك في خصومةٍ أخرى من هذا
النوع وفي موضوع أخطر وأعمّ مع الاستاذ مصطفى
صادق الرافعي مثلاً أو مع الاستاذ جبر ضومط ؟

ثلاثة قرون مرّت على العالم العربي وهو ميت الأحياء
فلم يكن من أقوامه مجتمع ولا من لغوه صوت ورأي .

المكانية والزمانية . فهي في ديار نائية تقول بالتحرر من الماضي والسير على منهج حديث في الاسلوب والتعبير . وكلّ آثارها قدوة ناطقة بميلها وغايتها وهي من هذا الوجه أوضح «جمعياتنا» الادبية شخصية وأجلاهن نزعة

***

السؤال الخامس — « ما الأطوار التي مرّ بها الشعر العربي حتى وصل الى صورته الحاضرة ؟ »

الجواب — يقول اليازجي في كتاب « المترادف والمتوارد » : « تُقسم الشعراء الى أربع طبقات . الاولى الشعراء الجاهليون وهم الذين كانوا قبل الاسلام كامرئ القيس والاعشى . والثانية المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كلبيد وحسان . والثالثة المتقدّمون ويقال لهم الاسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق . والرابعة المولدون وهم من بعدهم كبشار بن برد وأبي نوّاس . والمراد بالعرب منهم أصحاب الطبقتين الأوليين لأنهم نشأوا على عهد الجاهلية وهم الذين يوثق بعربيتهم ويُستشهد بكلامهم . والطبقة الثالثة منهم من عدّها من العرب ، ومنهم من عدّها من المولدين لما وقع من اللحن في كلامهم ، وهو الراجح . وجعل بعضهم الطبقات ستاً . فقال

الشعر الليريكي أو الغنائي ، والشعر الديدكتيكي أو التهذيبي ، والدراماتيكي أي المفجع ، والابيكي أي القصصي الحماسي . أم تعني التطورات التي مرت بها هذه الاقسام في المذهب المدرسي والرومنتيكي والرمزي وما ينشعب منها ؟

اسمح لي أن اذكرك ، يا مسيو فانبير ، بان فرديناند برونتير الناقد الفرنسوي يوم كتب عن « الرمزيين » قال ان الآداب الفرنساوية منذ القرن السابع عشر تنقسم الى ثلاث مدارس كبرى مقابلة لثلاث فنون مختلفة : المدرسة « المدرسية » ذات الاسلوب والنظم « الهندسي » . والمدرسة الرومنتيكية التي شغفت بالوصف فكانت « تصويرية » . والمدرسة الرمزية التي يخيل انها استوحت « الموسيقى » وحاكتها . وكان لهذه المدرسة الفضل في مقاومة التعصب للقالب الشعري الذي غالى فيه «البرناسيون» (وهم شعبة من المدرسة الرومنتيكية) . فانضوى تحت لوائها جميع الذين يطمعون في ان يجعلوا بيت الشعر الواحد معبراً عن خواطر وعواطف . وفي عصر تشبث اهله « بالناتورالزم » فزيفوا الفن وزعموا انه قائم بنسخ الخطوط البادية للعيان ، قام الرمزيون يعلّمون النشء ان للاشياء

ثم عاودته الحركة في القرن التاسع عشر فنشأ أدباؤه وشعراؤه أقرب إلى تقليد القديم منهم الى ابداع الجديد وبذلك أوصلونا الى حيث نحن . أما صورة الشعر الحاضرة ... ولكن عليّ ان انتظر الأسئلة التالية

* * *

السؤال السادس — « ما العصر الذي نستطيع ان نوقت به النهضة الأدبية الحديثة ؟ »

الجواب — هو عصر النهضة والتجدد بما فيه من هدى وضلال ، وجهل يتبختر وادراك ينمو ويتهذّب

* * *

السؤال السابع — « هل ظهرت في الشعر العربي آثار للمذاهب الغربية الشعرية المختلفة ؟ أهناك تشابه ولو قليل بين هذه المذاهب الغربية وبين مذاهب الشعر العربي إن كانت هناك مذاهب للشعر العربي ؟ لو أنك أردت ان تصف الشعر العربيّ الحديث على نحو ما يصف الغربيون شعرهم فإلى أيّ مذهب من مذاهب الغربيين تضيف هذا الشعر؟ »

الجواب — كلمة « مذاهب » ليست هنا واضحة على ما يلوح لي . فلا اعلم منها ما إذا عنت الاقسام الاربعة التي اتفق الغربيون على جعلها أساسية في لغاتهم وهي :

العصر . بينما أنصار الجديد في تطور مستمرّ يدرسون العلوم الحديثة والنظريات العمرانية والدينية وفروع الادب الاجنبية التي لم يعرفها العرب . لذلك يعمد هؤلاء الى الاختزال والسهولة ليتسع المجال لكلّ ما لديهم من القول ».
وأنا ارى ضرورة وجود انصار القديم قرب الآخرين لأن عندنا جمهوراً لا يقوده غيرهم ولأنهم حرّاس ارث الماضي

وبين افراد من هذين الفريقين مشاحنات كالتي قامت وتقوم في أوربا بين مختلف النزعات الادبية . وهي بين كتابنا تلذ لي جداً . وانك قد تجد عند شاعر واحد من شعرائنا اثر المذاهب الشعرية الثلاثة دون ان يتغلب أحدها . لذلك وان كانت النزعة الشعرية ظاهرة احياناً عند بعض أفراد الشعراء فلا يتيسر تعريفها في المجموع باسم مطلق

* * *

السؤال الثامن — « أتعتقد ان هناك نهضة للغة العربية ، وإن كان نهضة فصف مع التفصيل مميزات هذه النهضة ؟ وإن لم تكن هناك نهضة فما هي اسباب الجمود ؟ »

الجواب — اعتقد ان اللغة العربية الآن في بدء نهضة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الناطقين بها . ومن أهم دلائل

روحاً نابضة وراء جمود الظواهر وحركتها »

وجميع ما بين أيدينا من شعر ونثر يا مسيو فانبير ، مزيج من هذه « المدارس » الثلاثة . فعندنا الشعراء الذين يهندسون ويبنون (والشعر العربي ممتاز « بهندسته ») ولهم من يفهمهم ولا يقدر سواهم وينعت الذين لا يهندسون «بالخياليين» حتى ولو تكلموا عن الحديد والصوان . وعندنا الرومنتيكيون او الذين يصفون بعض الاشياء والخوالج وقد تأثروا بالمذهب الغربي ، ولهؤلاء جمهورهم أيضاً . وعندنا الذين يرون وراء الظواهر ، وهؤلاء القلائل انصارهم من النشء في الغالب . وهذه النزعة هي البادية بنوع خاص في شعر « الرابطة القلمية » وفي بعض نثرها

ويتلخص الامر عندنا في نزعتين عامتين تنصر احداهما الادب القديم وتنكر الجديد ، والاخرى تقبل من الأدب القديم والروح القديم ما هي في حاجة اليه وتعدو مع الحركة الحديثة . ويقول الاستاذ سلامه موسى ما مفاده ان الفرق بين الجماعتين غير واضح كل الوضوح . وانما يمكن تلخيصه في ان أنصار القديم يقصرون درسهم على الأدب العربي والحضارة العربية ولا يرغبون في الخروج عن حضارة قديمة جليلة أدت رسالتها الى العالم الا انها لا تقوم بمطالب

كذلك اننا الآن في نهضة فريدة فيقول بالحرف « اننا في عصر لم تسعد اللغة العربية بعصر أسعد منه في دولة من دولها الغابرة » « عصرنا هذا هو أقدم العصور وأحقها بالتوقير والتبجيل لأنه وعي من الازمنة التي درجت قباله ما لم تعه الازمنة الماضية ، وبلغت أممهُ من تجارب الحياة ما لم تبلغهُ الامم الخالية »

وازيد ان مصر الآن هي عاصمة اللغة العربية كما هي عاصمة العالم العربي المعنوية

* * *

السؤال التاسع — « ما رأيك في شعراء العرب المحدثين من غير المصريين ؟ أبينهم وبين شعراء مصر صلة قوية أو ضعيفة ؟ »

الجواب — ليس الصلة قوية بينهم من حيث تفاعل الافكار ، وانما هي متشابهة من حيث الدوافع القومية والمناهج البيانية . ففي سوريا مثلاً والعراق يروج المذهب الهندسي والوصفي . والاسلوب الهندسي أو المدرسي ما زال هو المتغلب في مختلف الاقطار العربية ، والوصفي أو الرومنتيكي هو « الجديد » . فبديهي ان الصلة أحكم بين

هذه النهضة سيرها الحثيث . وهي تتناول شتيت المسائل بلغة جلية تطرح التطويل والتعقيد يوماً فيوماً دون ان تفقد شيئاً من متانتها وروحها . جملة الكتاب في هذا العصر اوضح واصدق منها في اي عصر سبق رغم كونهم لا يتلاقون دواما على الفاظ التعبير . لأن ليس لنا مجمع لغوي يعني بتقرير الفاظ نتواطأ جميعاً على استعمالها . اما المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي المصري فهما يعملان الا انهما لم يقرّا بعد شيئاً من هذا القبيل . ويعالج كتابنا معاني وشؤوناً لم يسبق اليها تاريخ اللغة فهي جديدة في وراثتنا كما هي جديدة في وراثة العالم . واجادتهم ناطقة بأهمية هذه النهضة . هذا في الأفراد . أما الجماعات ففي جمود ولا يُرجى لها ان تستيقظ بمجموعها الا شيئاً فشيئاً بمختلف البواعث التي يأتي بها الزمن

أفتح « البلاغ » وانا اكتب هـذا على مقالٍ من الاستاذ عباس العقاد . موضوعهُ « القديم والجديد » الذي يتخاصمون لاجلهِ في هـذه الايام وقد كتبه ردّاً على استفتاء أديب عراقي في الموضوع . فأجد في هذا المقال ملاحظات أساسية عن اللغـة والتعبير تعزّز ما ذكرتهُ عند مناقشة « الاجبشن ميل » . والاستاذ يعتقد

متكلمة بصوتهِ . والا فكيف يمكنني ان أقابل بين أقوال الشاعر او الكاتب وبين حالة بيئتهِ وعصرهِ لأبحث ذلك التطابق وأقرّهُ ؟ وان تعذر ذلك عليّ فهو متعذر على كل أحد . لذلك ارجح ان هذه الكلمة التي يقولونها عن بعض الكتاب والشعراء في الآداب الاوربية ، من أدلّ الكلمات على « النسبية » في الناس

* * *

ولو أردنا تطبيق هذه الكلمة على كتابنا في مصر لاستطعنا ان نجد من يمثل رأي جماعة أو يوضح اتجاه نزعة . ولكن لا يمكننا ان نجد من يتكلم بجميع مطالب عصره

ورغم ذلك فان الصوت المتغلب الآن في الآداب العربية هو صوت الاستياء والتبرم والدعوة الى الاصلاح . تعتلج النفوس العواطف والمؤثرات فتثور رواقدها فاذا بين الجيل الجديد والجيل الذي سبقه هوة . هذا يريد أن يسيطر بعدد الأعوام ولكنه لا يستطيع القيادة والهداية في تيه المشاكل . فاذا بالجيل الجديد شيخ يشعر بالمسؤولية مع اعترافه بأن الجيل السابق أدى كل ما كان في مقدوره

« لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي . ـ يقول الاستاذ عباس العقاد في مقدمته لديوان المازني ـ

ذوي النزعات المتشابهة ، وان كانت تلك « الصلة » تقصر في الغالب على نقل القصيدة أو المقال ، أو الاستحسان الكلامي والموافقة السلبية . او النقد الذي يحاول ان يكون حاذقاً وقد يجيء احياناً صبيانياً

* * *

السؤال العاشر — « من أشد شعراء العرب القدماء تأثيراً في الشعر الحديث ؟ »

الجواب — يتعذر التحديد . إنما يمكن ذكر المتنبي للمفاخرة ، والمعرّي للاستياء ، وغيرهما

* * *

السؤال الحادي عشر — « بأي شعراء أوربا أعجبتَ حتى اعتقدت ان شعره يمثل عصره وبيئتهُ ؟ »

الجواب — أعجبتُ بشعراء كثيرين . نعمت في كلّ منهم بما كان عنده اوفى وأعم فغذيت به أحد ميولي . ولكني لم أجعل يوماً تمثيل العصر كله أو البيئة بحذافيرها شرطاً لاعجابي . بل اشك ان ذلك التمثيل في مقدور شاعرٍ أو كاتب مهما يكن نبوغه عظيماً وفنه شاملا . واظن ان كلّ واحد يعطينا صورة عصرهِ وبيئتهِ بل صورة الانسانية في جميع العصور وجميع البيئات ملوّنة بلونهِ ،

والدكتور هيكل يتكلم في إحدى مقالاته عن « الالم المعنوي » الذي يعذب وهو أقسى من الالم المحسوس

وهذه الشكوى تجدها في اكثر آثارنا شعرية كانت ام نثرية . والشجعان بين أبناء هـذا الجيل هم الذين ينسون المشاكل التي تحرجهم ولا سلطان لهم عليها ، فينظرون الى ما يحيط بهم وسواء كانوا من أنصار القديم أو الحديث فانهم يعمدون الى الافادة والنفع والتنشيط . ينسون الاستياء والتفطر ما استطاعوا ولا يذكرون الا أن مسؤوليتهم كبيرة ، وان البلاد في حاجة اليهم . فيعملون

لذلك كانت ميزة الادب العصري في أنه لم يبق منزوياً او محدوداً في الفرد بل تناول فروع الحياة القومية شاعراً بانه وهذا الجمهور واحـد . وانما المسؤولية تعود على الاديب لانه أشـد من الجمهور شعوراً بالالم والحاجة وضرورة العمل

هذه حالنا عموماً ، يامسيو فانبير ، وهي اشبه ما تكون بحالة الجيل الجديد في الغرب . مزيج من ألم وقلق وثورة اصلاحية

نشعر بمشاكلنا الداخلية ونعرف اشتباكها بمشاكل العالم فنحاول الهرب الى ما يصلح الاحوال . ولكن خيال الالم لا يغيب

« ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم . فهم يشعرون شعور الشرقي ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي . وهـذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته أن نزعت الاقلام الى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية ». « ان كان هذا العصر قد هزّ رواكد النفوس وفتح أغلاقها فلقد فتحها على ساحة الالم » « وهو العصر طبيعته القلق والتردد بين ماضٍ عتيق ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون وبين ما هو كائن

« نحن في عصر التردد والاستياء . ولا بدّ لهذا الاستياء أن يأخذ مداه ويطلع على كل نقص في أحوالنا . حتى اذا تمكن من النفوس حركها الى العمل ، وعاد عليها العمل بالرضى فلا ينسى الناس يومئذ فضل شعر الضجر والاستياء »

والاستاذ المازني يضرب على هذا الوتر بعد صدور ديوانه بأعوام ، فيقول في مقال جديد : « قضى الحظ ان يكون عصرنا هذا عصر تمهيد وان يشتغل ابناؤه بقطع هذه الجبال التي تسد الطريق وبتسوية الارض لمن يأتون من بعدهم . ومن الذي يفكر في العمال الذين سوّوا الارض ومهدوها ورصفوها ؟ من الذي يعني بالبحث عن اسماء المجاهدين الذين ادموا أيديهم في هذه الجلاميد ؟ »

القومية بالتبع . وما قد ينجم عن احتكاك الميول وتضارب نزعات من نفور واستياء . اذ ليست كل غربية لتتنازل عما تحب وترغب فيه اكراماً لزوجها وحرصاً على المستحسن من عادات محيطه وتقاليد جماعته . ولا كل شرقي ـ حتى وان كان من أنصار لمرأة العاملين على انهاضها ـ ليحتمل ما ألفهُ الغربي من اختلاط النساء بالرجال ولو في أبسط المظاهر وأطهرها . وقد يحتمل فيكون مقاوماً ما يرتاحُ اليه في صميم قلبه ، وداهمهُ من جراء ذلك نكد متتابع . وهذا يجب ألاَّ يكون في الحياة العائلية

أما الفوائد ففي احتكاك الشخصيات واستيحاء الجيد النافع عند الآخرين . لأنْ لكل أمة خصائص وثروات لا يخلو اقتباسها والاهتداء اليها من بوّاعث الاستنهاض والتنشيط والتدريب

ج — المنفعة من الوجهة الوطنية أقلّ من الضرر . ذلك ان المرأة ذات العاطفة العالية قد تبث روح الوطنية وتذكيها في محيطها الا أنها تؤوّلها سهواً أو عمداً في مصلحة قومها وبلادها . لذلك كان ابنُ الوالدين المختلفي الجنسية أقرب الى شيوعية الوطنية واقتباس الحسنات منها والسيئات . وكان الزوجان من الوطن الواحد أدنى الى

زواج الشرقيين بالغربيات

(رد على استفتاء «الهلال»)

(١) السؤال ـ هل زواج الشرقيين بالغربيات مفيد أم مضر ؟
ا ـ من الوجهة الجنسية ب ـ الاجتماعية ج ـ الوطنية د ـ الاخلاقية

الجواب ـ ان زواج الشرقيين بالغربيات كـكل أمر آخر تتحاذى فيه الفائدة والضرر

ا — أما والغاية من الزواج في النظام القائم هي البنيان الاجتماعي بواسطة انشاء الاسرة وزيادة عـدد المواليد والربط بين أبناء الوطن الواحد برابطة القوميـة ، فعلى الشرقيين أن يتزوجوا من بنات بلادهم . الا انه يستحسن الاستثناء بل هو يتحتم في بعض الاحوال . لأن الشعوب كالأسر المتزاوجة على الدوام فيما بينهما ، تنحطُّ مع الوقت أخلاقياً ومعنوياً. وينتهي بها الأمر الى الاضمحلال والانقراض . فادخال بعض الدم الغريب على الدم القديم ضروريٌّ لتحسين النسل ، وتجديد القوى ، وشحذ المواهب

ب — الاضرار المباشرة للزواج المختلط من الجهة جتماعية في تبدل العادات العائلية ، وتغير المبادىء

اي اذا ساء سلوك المرأة فسهت عن كرامتها . او عندما تكون هي في حاجة الى ذلك . لأن مما لا ريب فيه ان بعض النساء ، غربيات كنّ أم شرقيات ، لا تنتظم منهن الحياةُ الا اذا عرفت تقودهنَّ يدٌ حاذقة قادرةٌ . بينما اخريات يزددن كرامةً وارتفاعاً كلما اجيز لهن التصرف بحرية

* * *

(٣) السؤال — هل من فائدة للعالم الاسلامي والعمل لوحدته في التزاوج بين المصريين والترك والافغان والفرس والمغاربة ؟

الجواب — التزاوج بين المصريين المسلمين وغيرهم من الامم الاسلامية خير ناشر للرابطة الاسلامية . وقد سبق ان المسلمين جنوا فوائد هذا التزاوج أيام الفتوحات اذ كانوا يصاهرون القوم في كل بلد ينزلونها . فلا ينقضي زمنٌ الا وهم من الأهلين . على نقيض اليونان واللاتين الذين احتلوا البلاد قبلهم. فلم يمتزجوا بالاهالي وظلوا ، حتى تقلص ظلهم، الغرباء الممقوتين . على اننا نرى العناصر الاسلامية اليوم غير ميالة الى التضحية بعنصريتها القومية في سبيل قومية اسلامية كبرى . بل نرى المصري شديد التمسك بمصريته . والتركي بتركيته الخ وان هم رغبوا في الوقت نفسه في

التفاهم والاتحاد حيال المشاكل الوطنية والقومية

د — يتعذر تحديدُ القول في الوجهة الاخلاقية لأنها مرهونة بالاخلاق الشخصية . الا أن هناك خطراً عاماً لا يستهانُ به . لأنه اذا انصرف الشرقيون الى التزوج بأجنبيات فمن يتزوّج الشرقيات ؟ ومن الجور ان تقهر بنات الشرق على عيشة الخلو والوحدة ، وقتل عواطف المحبة وبذل الذات في نفوسهن ، وأن يحرمن عذوبة الحياة العائلية لتتمتع بها الغربياتُ على حسابهن . وليس أدعى الى طرح القيود المحترمة المقبولة من وقوع الظلم والتعسف على امرىء دون أن يجني اثماً . فقد تتسرب المرارةُ الى خلقهن من هذه الناحية فيناهضن محيطهنّ تمرداً ، أو مكابرةً ، او انتقاماً

* * *

(٢) السؤال — اذا تزوج مسلم أجنبية مسيحية ، فهل يحسن أن تعيش بدينها وعاداتها أم يرغمها زوجها على تغييرها بالدين الاسلامي والعادات الشرقية وأخصها الحجاب ؟

الجواب — لا استحسن الارغام مطلقاً ، لا سيما فيما يتعلق بالدين . ولا بد ان ينظم الزوجان علاقتهما وفقاً لمزاجيهما مع بعض التساهل من الطرفين دفعاً للمشاكل والمصاعب . ولا اسوغ الارغام الا عند الضرورة القصوى ،

نهضة الشرق العربي

(رد على استفتاء « الهلال »)

السؤال ـ « هل تعتقدون ان نهضة الاقطار العربية قائمة على اساس وطيد يضمن لها البقاء ام هو فوران وقتي لا يلبث ان يخمد ؟ »

الجواب ـ يتعذَّر اطلاق حكمٍ شامل على جميع الاقطار العربية ونحن بعيدون عنها لا نعرف من أحوالها سوى ما تشرحه لنا صحفها وكتبها فضلاً عن الانباء التلغرافية والاخبار السياسية . بيد انه يمكنني أن أتكلم عن مصر وسوريا . ويظهر ان احوال البلدان الأخرى أحوالهما مع الاختلاف المحتوم الملاصق بكل قطر

لكلمة « نهضة » التي نستعملها بمعنى (Renaissance) معنيان اثنان : أحدهما تجدُّد الامة في مجموع أحوالها بعامل أو عوامل استفزّتها وتغلبت على العوامل الأخرى : كالنهضة الادبية الفنية في أوربا في القرن الخامس عشر .

ايجاد الرابطة الشرقية المعنوية للوقوف في وجه الغرب وصد تياره الجارف

* * *

(٤) السؤال — لماذا يكثر التزاوج بين المصريين المسلمين والاجانب المسلمين المستوطنين مصر ، ولا نرى أثراً كبيراً لذلك بين أقباط مصر المسيحين وغيرهم من المسيحين غير المصريين المقيمين بمصر ؟

الجواب — ان المسيحيين غير المصريين لا يتزوجون عادة الا بعد الاجتماع والتعارف ، بخلاف المسلمين الذين كانوا الى هذه الأيام يتزوجون بلا سابق معرفة شخصية بين العروسين . وقد غلبت العادات الاسلامية على الاقباط فحالت دون امتزاجهم بالمسيحيين غير المصريين . والمسلمون المصريون يشبهون المسلمين غير المصريين ، في الغالب ، عادات وأساليب اجتماعية . أما المسيحيون غير المصريين فلهم من العادات وشؤون الاجتماع على اختلاف الطبقات ما لم يألفه الاقباط . والشاذ لا يعد قياساً

وأظن ان الزواج بوجه عام أقرب الى المسلمين منه الى المسيحيين بسبب سهولة الطلاق التي تمكن كل رجل وكل امرأة من تنظيم حياتهما على طريقة جديدة في زواج جديد

شعب الى شعب خلال الدهور بحركة متموّجة : تعلو موجتها في أمة فتتجلى مواهب تلك الأمة وتأتي بأقصى ما في امكانها . ثم تهبط الموجة لتتكوّن من جديد عند شعب آخر ، بينا تتأثر بارتفاعها سائر الشعوب بدرجات متفاوتة

وكذلك الشرق العربي بعد إجهاد تسعة قرون أدّى فيها خدماً جليلة إلى العالم ، وكان بازدهار مدنيته وانتشارها وصلة بين الماضي والحاضر ـ عاد فهجع ثلاثة قرون شأن من ينام بعد مجهودٍ كبير ليستردّ قواه . وعندما استيقظ وجد نفسه وقد أحاطت به أحوال جديدة تقتضي أساليب جديدة عند من يود مجاراة الآخرين حراً لا عبداً . فنهض الشرق يطالب بكل ما تسوغه الحياة لبنيها النشيطين . ولئن بدت هذه الحركة مشلولة من جهةٍ، كفيفة من الجهة الأخرى ، تفتقر الى الدربة العامة والنظام والتنسيق فما هذا الاضطراب الا طبيعيٌّ يلازم الخطوات الاولى في جميع دوائر النشاط الانساني . وسيأتي الزمن والمران والاختبار بالحنكة المطلوبة ، والانتظام في مختلف الجوانب

واكرر ان « الدافع » موجود في جميع أقطار الشرق

والنهضة العلمية والآلية في أوربا وامريكا في القرن المنصرم وفي هذا القرن العشرين

أما المعنى الآخر فهو الانتباه لوجوب إحداث التغير والشعور بابتداء وقوع ذاك التغير . فالتجدد هنا هو التيقظ والرغبة في الأخذ بما أخذ بهِ آخرون فوسع عندهم مجال الحياة فاستفادوا بهِ وخسروا ، وتنعموا وتوجعوا . هو تحفز ومباشرة جميعاً . وهذا المعنى من النهضة يتطابق والحالة في مصر وسوريا ، بما يتضمنه من قلق واضطراب ، واندفاع ورعونة صبيانية ، واخلاص وارتباك ، ونشاط وخطأ واصابة . وبمثل هذا تبدأ دواماً النهضات الحقيقية بهذا الاسم : اذ لا طفرة في الحياة ولا بدَّ لكل نضوج ان يستكمل وقته ونظامه

أما كون هذه النهضة « قائمة على أساس وطيد » فليس ذلك بالمطلوب . اذ لا يحتاج النهوض الى « أساس » يضمن له البقاء ، بل يحتاج الى « دافع » يسوق ويستحث ويحدو . والدافع موجود ، ولذلك لن تكون هذه النهضة فوراناً وقتياً . بل هي على نقيض ذلك ابتدأت منذ عهدٍ قريب وستظلّ في تزايد بتفشي حمى الحياة بين شعوب المسكونة . ان الحضارة العالمية الكبرى تنتقل من

« فقر البيئة بتزايد عـدد سكانها » . مضت تستغل موارد الثروة الغافل عنهـا أهلها فاذا بالسفن تعود إلى البـلاد الاوربية طافحةً بالمواد الغذائية ، والمواد الغفل التي أنشأت تدير بهـا رحى الصناعة ، ثم توزع الانتاج على الآفاق فتجني أرباحه . وما زال الغرب ، وهو اكبر دار للمعامل والمصانع ، يحتاج إلى ان تمده الاقطار الاخرى بنقصه من الثمرات والاقوات والمواد الغفل ليصنع ويربح ويحيا ـ على ما اعتاد ان يحيا بعـد انتشار الاستعمار . فالغرب بالتفريق بين الاقطار الشرقية انما يدافع عن ثروته وحياته . والشرق المتيقظ يطلب كذلك ثروته وحياته . وسيتتابع الصراع بين الفريقين

وعلى أي فقد انقضت للمستعمرين أيام الهدوء والهناء . واذا كان لا بد من التموين وتبادل الانتاج بين الشعوب فيتحتم ان يختلف نوعه وطريقته بعد الآن . ان العالم كله في عذابٍ واضطراب الشرق والغرب سواء بسواء . والمؤتمرات الواحد والعشرون منذ الصلح مهزلة جعلت العالم اشد شعوراً بضرورة « تصفية كبرى محسوسة » تعدل فيها المصالح ، وتراعى الحقوق ، وتنظم المطالب بلا تحفظات ومداورات . والمستقبل وحده يعلم متى تتم تلك « التصفية » وهل هي تجيء عن طريق

بشكل الاحتلال الاجنبي . وهو طبعاً صائر من عنيف الى أعنف بتنور الاذهان والتيقظ لمعنى الحرية ، بل لدوي اسمها وحده دون ادراك معناها . ولا قبل لاحد في هذه الايام الى مقاومة هذا الصدى الرنان المتفشي في النفوس

* * *

السؤال ـ « هل تعتقدون بإمكان تضامن هذه الاقطار وتآلفها ؟ ومتى ؟ وبأي العوامل ؟ وما شأن اللغة في ذلك ؟ »

الجواب — بين هذه الاقطار منذ الآن تآلف ضمنيّ منشأه ذلك « الدافع » المكوّن من طلب الحياة الجديدة ومن كره الاستعمار والرغبة في دفع سيطرة المستعمرين عن مرافق البلاد وشؤونها . فالهزّة التي تضرب اليوم في الشرق هزّة سياسية . وغريمته هي أوربا القوية ولية الامر في الاختراع والصناعة والاقتصاد والمواصلات والحرب وما نحوها . وبديهيّ ان أوربا لا تريد هذا التضامن لانه يناهضها ليسلبها ما هي في جد الاحتياج اليه

إن ما دفع بأوربا الى الهجرة والاستعمار في بادىء الامر ليس الطمع . بل هو ذلك الباعث الاقتصادي المتلخص في

الاريون (الهنود والفرس) بالفلسفة الباطنية والالهيات .
وجاء اليونان بالفن والفلسفة النظرية . والرومان بالنظام والتشريع والتجنيد والاستعمار . ولما تحضر العرب فعلوا ما فعلته كل من هذه الدول قبلهم ، أي انهم جمعوا شتيت ما وجدوا من عناصر المدنية ، وسبكوها في قالبهم وطبعوها بطابعهم فكانوا وصلة أمينة قيمة بين الماضي والحاضر

ولما حان الوقت نقلوا قبس الرقي الى الغرب فأحسن الغرب تلقي هذه المدنية العظيمة التي تجمعت فيها جهود الدهور . فأنماها من وجهها العلمي والآلي المتفق تمام الاتفاق مع السليقة الغربية وسار بها شوطاً بعيداً

ولا يعني هذا ان الشرق ليس لهُ مثل ذلك الاستعداد . ان أساس الهندسة ، وخد الخنادق ، ووضع مبادىء العلوم الفلكية والرياضية ، جاء من أشور وبابل . كما كان الفينيقيون أول المستعمرين وأول من سلك البحار . وكما كان المصريون أول شعب وضع الانظمة ونسق الادارة

ولو نظرنا مثلا الى القانون الساري اليوم في المحاكم المصرية الاهلية (فضلا عن المختلطة) لوجدنا انه قانون نابوليون معدلا بعض الشيء وفقاً لطبيعة البلاد . وقانون نابوليون مأخوذ عن قانون يوستنيانس الروماني

لحرب أم السلم

أما الترابط بين أقطار الشرق العربي فيظل تعاطفاً أدبياً حتى ولو جلا عنه الغرب. اذ صار الناس اليوم يطمحون إلى « القوميات » ويرغبون شديداً في الاستقلال ضمن حدود وطنية طبيعية. هذا الا اذا جاءتنا الايام ببعض مباغتاتها فكثيراً ما تأتي الايام بما ليس في الحسبان. وأياً كان المستقبل فاللغة العربية خير وسيلة لهذا التعاطف الادبي والتفاهم المعنوي بين ابناء الشرق

* * *

السؤال ـ « هل ينبغي للاقطار العربية اقتباس عناصر المدنية الغربية ؟ وبأي قدر ؟ وعند اي حد يجب ان يقف هذا الاقتباس

ا — في النظامات السياسية الحديثة. ب — في الادب والشعر. ج — في العادات الاجتماعية. د — في التربية والتعليم ؟ »

الجواب — لم تقم الى الآن في الشرق والغرب والشمال والجنوب سوى مدنية واحدة تعاونت الشعوب، على غير اتفاق، ان تتناوب العمل كل في جانب من جوانبها الموافق طبيعتها. فجاء الساميون بالعنصر اللدني والنبوي. وجاء

نرى في المدنية الآن ما يزعجنا من ضلال وشطط فما نحن الا ناسون ان هذا وجه الضعف البشري الذي وجد في جميع العصور ، ولكن بأساليب مختلفة . واذا انقطعنا عن حركة الحياة سجلنا على نفوسنا البله ونحن أذكياء ، والخمول ونحن ناهضون . ولا يبقى لنا سوى ركوب الأظعان في البيداء ، والسكنى تحت بيوت الشعر ، والحداء الشجي في الليالي القمراء والرقص بالسيف والترس

لا أقول ان هذه العيشة البدوية غير جميلة . انّ فيها لهناءً وراحة ونبلا . ولكن بشر أهلها باكتساح عاجل أو آجل لانّ الحياة تتأجج حواليها ، وأصوات الآلات تهدر محلقةً فوقها وعلى مقربة منها . ان الارض تضيق بساكنيها وحمى العمل تدوخ الشعوب ، والامكنة الصالحة الغنية مطلوبة لا غنى عنها ، وللنشيط حق عليها . لأنّ نظام « الحق للقوة » نافذ في الطبيعة وليس هو من ابتكار المستبدين . فان لم يكن أهل البلاد أقوياء عارفين بالطرق الحديثة مجارين حركة العالم اكتسحوا واستعبدوا . ونفذ فيهم قانون تغلب الاصلح

في الاقطار العربية شخصية الماضي الذي لا بد ان نتكىء على بعضه دون ان يعارضنا في اكتساب ما يعود

وهذا جاء بقانونه من القانون اليوناني بعد تأثره بالمذهب الرواقي . والرواقيون واليونان جاءوا بأنظمتهم بعد تلخيص الفرس وغيرهم من القانون المصري القديم . وهكذا لم يستنبط أولئك شيئاً ، وان نحن نعتنا الاشياء مجازاً بأسماء الشعوب التي نأخذها عنها

الاقتباس تبادل بين الامم على مرور الدهور . وبينا يأتينا الأجانب يشيدون في بلادنا مدارس وجامعات يخرّجون فيها ناشئتنا على أساليبهم في التربيـة والتعليم ، ترى مثلاً وزير الزراعة الاميركية يخابر وزير الزراعة المصرية مستعلماً عن طريقة زراعة القطن ، وعن طريقة صيانته من الحشرات في وادي النيل ، ليستعين بهذه المعلومات على تحسين زراعة القطن في البلاد الامريكية

هـذا ـ فان قمنا اليوم نزاور من أوربا الانظمـة السياسيّـة ، والمنافع العلمية ، والاساليب العمرانية والآلية والتجارية ، وكل ما تبديه من نشاط حيوي جميل يشعرنا في الانسان بفتوة وذكاء عظيمين . لو أعرضنا عن هـذه المدنية الغربية ، أو بالحري عن هـذا المظهر الأوربيّ والامريكي من المدنية العالمية الكبرى ، فالى أي مظهر نتوجه وبأيّ الأساليب نأخذ ؟ واذا صممنا على ان لا

والانظمة السياسية والاجتماعية أبداً في تفاعل . وهذا من بواعث التجدد في الآداب . لأن الآداب وان كانت ترجمان عواطف راسخة في الافراد ، فان لغة هذا الترجمان وأسلوبه يختلفان باختلاف العصور والبيئات والاحوال . ولا غنى لنا عن الآداب الغربية وليس اطلاعنا عليها اقتباساً بل هو تعرفاً بالعالم واستيحاء . فلماذا يستوحي المصادر العربيــة دانتي مثلاً ، ويظل أدبه إيطالياً ؟ ويستوحي كبار شعراء الفرنسيس في القرن السابع عشر الآداب الاسبانية والعربية والانجليزية واليونانية واللاتينية فيظل أدبهم فرنسوياً ، فلا ننتفع نحن بما هو جائز للآخرين ؟ ان الانحصار في موضوع واحد يضيق الفكر ويحمل على الغرور ولا بدّ من اختلاف انماط الادب في اللغة الواحدة والوسط الواحد . لأن شاعر القصور لا يمكن ان يكون شاعر الاكواخ . والعكس بالعكس . وان كان لــكل شاعريته وعاطفته ومنفعته وصيحته وأثره في جماعته

أما في التربية والتعليم فحاجتنا الى الاساليب التي تعرفنا ببلادنا أولا وموقفها وشأنها، وتربي على الاستقلال والرجولة والنشاط والاتــكال على النفس . وتدفع رجالنا عن الوظائف الحـكومية الى الاعمال الحرة والعناية بتجارة

علينا بالحياة والحرية . عندنا عادات جميلة ووراثة اثيرة تحسن المحافظة عليها غير انها لا تكفينا . ليتغنَّ بها الشعراء ولينشدها المنشدون ولينح عليها محبو الندب والنواح . ولكن مهماز الحياة وراءنا . واقتباس المحتوم لا يغض من كرامة الامم لانها مركبة من روح وجسد . فشعرها وفلسفتها وفنونها وآلهياتها واديانها وتذكاراتها الثمينة كلٌّ هذا بمثابة غذاء الروح . اما الحياة المدنية منها ، الحياة المحسوسة ، فلها أساليبها الآلية والمالية والاقتصادية والاجتماعية . والا فالغلبة والاستعباد . ولئن تحتم حمل القيود ، فقيود يصيغها المرء لنفسه خير من قيود تربطه بها الايادي الغريبة

أما الانظمة السياسية فلا « ينبغي » أن نقتبسها ، بل تقودنا الحاجة اليها شيئاً فشيئاً وتوحي الينا الضرورة بما يحسن اقتباسه منها في صور مناسبة لحاجتنا . وهذا ما جرى لتركيا التي حوّرت نظامها السياسي ثلاث مرات في ١٥ سنة فقد أوحت اليها الاحوال بحاجتها وبما تظنه حسن العائدة عليها ، وهذا ما يجري لجميع الامم . كما فاجأت الاحوال مصراً بحركتها الوطنية التي لم تكن في الحسبان قبل شهور او اسابيع

غير أغراض الفلاسفة والزهاد في الصوامع

تتحتم اذن تنشئة مختلف القوى في جميع أفراد الامة والاستفادة بكلّ تجدُّدٍ في العالم . ويتيسر تلافي عيوب العصر ما أمكن بالمحافظة على ما في وراثتنا من حميد الاخلاق . فلنحافظ على كل جمال شرقي ، ولنروج كل فن شرقي ، ولنعتز بلغتنا الشرقية دون ان نغض الطرف عما يقدمه لنا الغرب من جمال وفن ونظام وابتكار . وليس في ذلك القضاء على شخصيتنا فالشخصيات «الذكية» تنمو وتتسع وتغنى ولا تفنى . والحياة وكل ما في الحياة حب ، أي تبادل في الاخذ والعطاء . والانسان في العالم وارث ملك لا تحده حدود الاقاليم ثم يترك الارث لمن يليه بعد ان يضيف اليه عمله الفرديّ . فالاعراض بلاهة وسجنٌ تضييق . وتحديد الحياة حرمان ومجازفة وعبودية

لقد أعطى الشرق الغرب أدياناً وأخلاقاً وفلسفة الهية وانبياء والهاً . فتلقاها الغرب شاكراً وارتقى بها . أفيخجلنا ان ننتفع باختباراته الدنيوية وعلمهِ والدنيا دنيا الجميع كما ان الخالق اله الجميع ؟

البلاد وزراعتها ومنتوجاتها واستغلال مواردها. ولا خوف أن يخنق هـذا المنهج العملي مقدرة الابتكار في الشرقيين. فما الابتكار الا من خصائص الافراد الافذاذ من كل أمة مهما عظم شأنها. وهؤلاء يظلون فوق المناهج الدراسية والانظمة لا يتقيدون بمكان ولا زمان. أما الاكثرية الساحقة فهي المقلدة المسيرة، المحتاجة الى حياة محددة معروفة السبل يسير فيها الجميع على السواء

للافراد ان يعتزلوا وينقطعوا ويرغبوا في حياة العزلة (ولو سألتهم عن هذه الحياة لما أحسنوا تعريفها ولا تجردوا فيها من مبتكرات المدنية وحاجتهم الى أبسط آلاتها ومنافعها). على ان ذلك الانقطاع لا يحيي الامم. وقد تجوز الراحة لمن جاهد كثيراً ولكنها لا تجوز لامة ما زالت تفتح عينيها لليقظة وتتحفز للنهوض. فالامة صورة مصغرة من الانسانية، والانسانية مستودع جميع النزعات والكفاءات والعبقريات والمقدرات. فالمظهر العلمي آلالي في الانسانية عبقرية بديعة مدهشة. وان كان لهذه الحضارة عيوبها، فأي حضارة، وأية حال انسانية تخلو من العيوب؟ ومصالح الاوطان والشعوب هي غير مصالح الرهبان في الاديار، وشيوخ الطرق في التكايا. وأغراضها القاسية

كتب بقلم « مي »

باحثة البادية

غاية الحياة

كلمات واشارات

المساواة

سوانح فتاة

ظلمات وأشعة

الصحائف

بين الجزر والمدّ

رجوع الموجة

الحب في العذاب (جزآن)

ابتسامات ودموع

. . .

بالفرنساوية

Fleurs de Rêve